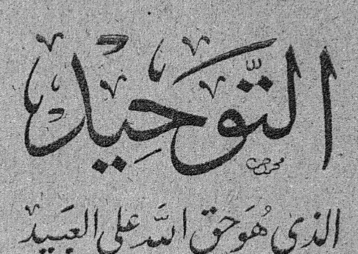


تأليف

الإمام العلامة صاحب النهضة الدينية المجدد شيخ الاسلام
محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ١٣٠٦

(يطلب من)
المكتبة السلفية
لصاحبها : محمد عبد المحسن
المدينة المنورة — باب الرحمة



اهداءات ٢٠٠١

ا.د. مـحمــــود ديـــــاب

جراح بالمستشفى الملكي المصري



تأليف

الإمام العلامة صاحب النهضة الدينية المجدد شيخ الإسلام
محمد ن عبد الوهاب المتوفى سنة ١٣٠٦

يطلب من
المكتبة السلفية
لصاحبها : محمد عبد المحسن
بالمدينة المنورة : باب الرحمة

دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ كِتَابُ التَّوْحِيدِ ﴾[1]

قَالَ اللهُ تَعَالَى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون) وَقَوْلُهُ تعالَى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) الآيَة ، وَقَوْلُهُ (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) الآيَة ، وَقَوْلُه : (وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) الآيَة ، وَقَوْلُه : (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) الآيَاتِ . قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِى عَلَيْهَا خَاتَمُهُ فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) إِلَى قَوْلِهِ (وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً) الآيَة . وَعَنْ مَعَاذ بْنِ جَبَل رَضِىَ اللهُ عَنْهُ

---

(١) التوحيد افراد الخالق بالعبادة ذاتا وصفة وأفعالا ، قال العلامة ابن قيم فى مدارج السالكين : التوحيد نوعان ، نوع فى العلم والاعتقاد . ونوع فى الإدارة والقصد ويسمى الأول التوحيد العلمى والثانى التوحيد القصدى الإرادى لتعلق الأول بالاخبار والمعرفة والثانى بالقصد والإرادة .

قَالَ كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ لِي : يَامُعَاذ أَتَدْرِي مَاحَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى الله ؟ قُلْتُ اللهُ وَرَسُولَهُ أَعْلَمُ . قَالَ فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً . قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ ؟ قَالَ لاَ تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا . أَخْرَجَا فِى الصَّحِيحَيْنِ .

فيه مسائل : الأولى الحكمة فى خلق الجن والإنس ، الثانية أن العبادة هى التوحيد لأن الخصومة فيه ، الثالثة إن من لم يأت به لم يعبد الله ففيه معنى قوله (ولا أنتم عابدون ما أعبد) ، الرابعة الحكمة فى إرسال الرسل ، الخامسة إن رسالة عمت كل أمة ، السادسة إن دين الأنبياء واحد ، السابعة المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت ففيه معنى قوله : (فمن يكفر بالطاغوت) الآية ، الثامنة أن الطاغوت عام فى كل ما عبد من دون الله ، التاسعة عظم شأن ثلث الآيات المحكمات فى سورة الأنعام عند السلف وفيها عشرة مسائل ، أولها النهى عن الشرك . العاشرة الآيات المحكمات فى سورة وفيها ثمانية عشرة مسألة بدأها الله بقوله .

(ولا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا) وختمها بقوله : (ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا) ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله : (ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة) الحادية عشرة آية سورة النساء التى تسمى آية الحقوق العشرة بدأها الله تعالى بقوله (واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا) والثانية عشرة التنبيه على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته ، الثالثة عشرة معرفة حق الله

علينا الرابعة عشرة معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه ، الخامسة عشر إن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة السادسة عشر جواز كتمان العلم (١) للمصلحة ، السابعة عشرة استجاب بشارة المسلم بما يسره ، الثامنة عشرة الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله ؛ التاسعة عشرة قول المسئول عما (٢) لا يعلم ، الله ورسوله أعلم ؛ العشرون جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض ، الحادية والعشرون تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار مع الارادف عليه ، الثانية والعشرون جواز الأرداف على الدابة ، الثالثة والعشرون فضيلة معاذ بن جبل ، الرابعة والعشرون عظم شأن هذه المسألة .

﴿ بَاب فَضْل التَّوْحِيد وَمَا يـكفر مِنَ الذُّنُوب ﴾

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) الآيَة

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرَوْحٌ مِنْهُ ،

---

(١) وجه ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر معاذ أن يكتمها الناس ولما أدركه الموت أخبر بها عند موته خروجا من الاثم أخذا بقوله صلى الله عليه وسلم « من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح لا غبار عليه .

(٢) آل فى العلم للعهد الذهنى وهو العلم الزائد على قدر الحاجة فى إقامة الدين بدليل قوله تعالى (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات) وقوله ﷺ « وليبلغ الشاهد الغائب » الحديث رواه البخارى .

وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ . أَخْرَجَاهُ ، وَلَهُمَا فِى حَدِيثِ عُثْمَانَ : فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ يَبْتَغِى بِذٰلِكَ وَجْهَ اللهِ .

وَعَنْ سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : « قَالَ مُوسَى يَارَبِّ عَلِّمْنِى شَيْئاً أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ ، قَالَ : قُلْ يَا مُوسَى لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ ، قَالَ يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هٰذَا ، قَالَ يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِى وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِى كَفَّةٍ وَلاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ فِى كَفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ » رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِىُّ وَحَسَّنَهُ عَنْ أَنَسٍ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « قَالَ اللهُ تَعَالَى يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِى بِقُرَابِ[1] الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِى لا تُشْرِكُ بِى شَيْئاً لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » .

فيه مسائل : الأولى سعة فضل الله ، الثانية كثرة ثواب التوحيد عند الله ، الثالثة تكفيره مع ذلك للذنوب ، الرابعة تفسير الآية التى فى سورة الأنعام ؛ الخامسة تأمل الخمس اللواتى فى حديث عبادة ، السادسة أنك

---

(١) القراب — بضم القاف وقيل بكسرها والضم أشهر — وهو ملؤها أو ما يقارب ملأها .

إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول لا إله إلا الله ويبين لك خطأ المغرورين ، السابعة التنبيه للشرط الذى فى حديث عتبان ، الثامنة كون أنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله ، التاسعة التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أن كثيراً ممن يقولها يخف ميزانه ، العاشرة النص على أن الأرضين سبع كالسموات ، الحادية عشرة أن لهن عمار الثانية عشرة إثبات الصفات خلافاً للأشعرية الثالثة عشرة أنك إذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله فى حديث عتبان ، إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله ، أنه ترك الشرك ليس قولها باللسان ، الرابعة عشرة تأمل الجميع بين كون عيسى ومحمد عبده ورسوله ، الخامسة عشرة معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله السادسة عشرة معرفة كونه روحا منه ، السابعة عشرة معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار . الثامنة عشرة معنى قوله ، وعلى ما كان من العمل ، التاسعة عشرة معرفة أن الميزان له كفتان العشرون معرفة ذكر الوجه .

﴿ بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) وَقَالَ : (الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ) .

عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ : أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ ؟ فَقُلْتُ أَنَا ، ثُمَّ قُلْتُ

أَمَّا إِنِّى لَمْ أَكُنْ فى صَلاَةٍ وَلٰكِنَّنِى لُدِغْتُ . قَالَ : فَمَا صَنَعْتُ ؟ قُلْتُ : ارْتَقَيْتُ ، قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذٰلِكَ ؟ قُلْتُ حَدِيثٌ حَدَّثْنَاهُ الشَّعْبِيُّ ، قَالَ : وَمَا حَدَّثَكُمْ ؟ قُلْتُ حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ أَنَّهُ قَالَ : لا رُقْيَةَ إِلاَّ مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَّةٍ .

قَالَ : قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ ، وَلٰكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلاَنِ ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِذْ دُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي هٰذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ قِيلَ لِي هٰذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ .

ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فى أُولٰئِكَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فى الإِسْلَامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ .

فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ : هُمُ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ ، وَلا يَكْتَبُونَ ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ .

فَقَامَ عُكَاشَةُ بْنُ مُحْصِنٍ فَقَالَ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِى مِنهُمْ ، قَالَ أَنْتَ مِنْهُمْ ، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِى مِنْهُمْ ، فَقَالَ سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ (١) .

---

(١) الحديث رواه البخارى مطولا ومختصرا ومسلم والنسائى والترمذى وهاك شرح ألفاظه : قوله أنقض أى سقط ، وقوله رقية : ـ بضم الراء وسكون القاف ـ وهى العوذة التى يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات وسيأتى بابها ، وقوله إلا من عين هو إصابة العائن غيره بعينه وهو أن يتعجب الشخص من الشىء حين يراه فيتضرر ذلك الشىء منه ، وقوله أو حمة بضم الحاء المهملة وفتح الميم المخففة سم العقرب ونحوهما ابن الأثير . وقد جاء فى بعض الأحاديث جواز الرقية فى بعضها للنهى والأحاديث فى القسمين كثيرة ووجه الجميع بينها أن الرقى يكره منهما ما كان بغير اللسان العربى وبغير أسماء الله تعالى وصفاته وكلامه فى كتبه المنزلة وإن يعتقد أن الرقى نافعة لامحالة فيتكل عليها ، وإياه أراد بقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم . ما توكل من استرقى ولا يكره منها ما كان فى خلاف ذلك كالتعوذ بالقرآن وأسماء الله والرقى المروية وقال أيضاً معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم «لارقية إلا من عين أو حمة» لارقية أولى وأنفع وهذا كما قيل لافتى إلا على وقد أمر صلى الله عليه وآله وسلم غير واحد من أصحابه بالرقية وسمع بجماعة يرقون فلم ينكر عليهم وقوله «الرهط» هو من الرجال مادون العشرة وقيل الأربعين . وقوله إذا رفع لى سود أى أشخاص من بعد لا أدرى من هم ، وهذا يدل على أن

فيه مسائل : الأولى معرفة مراتب الناس فى التوحيد. الثانية ما معنى تحقيقه . الثالثة ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكون لم يكن من المشركين. الرابعة ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك . الخامسة كون ترك الرقية والكى من تحقيق التوحيد. السادسة كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل : السابعة عمق علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل. الثامنة حرصهم على الخير : التاسعة فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية [1] : العاشر فضيلة أصحاب موسى .

الحادية عشر عرض الأمم عليه عليه الصلاة والسلام . الثانية عشرة

النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا يعلم الغيب وقوله « بغير حساب ولا عذاب » قيل هل يدخلون وإن كانوا أصحاب معاصى ومظالم ؟ وأجيب بأن الذين كانوا بهذه الأوصاف الأربعة ولا يكونون إلا عدوا مطهرين من الذنوب أو ببركة هذه الأوصاف يغفر الله لهم ويعفو عنهم . وقوله « فخاض الناس » أى تباحثوا فى شأنهم لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يبين للصحابة من هم السبعون وقوله (يسترقون) أى لا يطلبون الرقية ممن يرقى وقوله : (لا يكتبون) يعنى لا يعتقدون الشفاء فى الكى كما كان عليه أهل الجاهلية وقوله (لا يتطيرون) أى لا يتشاءمون بالطير كما كانت عادتهم قبل الإسلام فان العرب كانت تتطير بزجر الطير وغيره ويخرج أحدهم لسفر فيسمع لفظا يدل على مكروه فيتشاءمون منه فيرجع عن سفره والطير ما يكون فى الشر والفأل ما يكون فى الخير وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب الفأل ويكره التطير وقوله (وعلى ربهم يتوكلون) أى يفوضون الأمر إلى الله تعالى فى ترتيب المسببات على الأسباب والله أعلم .

(١) الكمية ترجع إلى العدد ، والكيفية إلى الهيئة .

أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها. الثالثة عشر قلة من استجاب للأنبياء. الرابعة عشر أن من لم يجبه أحد يأتي وحده، الخامسة عشر ثمرة هذا العلم وهو عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد في القلة. السادسة عشر الرخصة في الرقية من العين والحمة، السابعة عشر عمق علم السلف لقوله قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن كذا وكذا: فعلم الحديث الأول لا يخالف الثاني الثامنة عشر قوله (أنت منهم) علم من أعلام النبوة والعشرون فضيلة عكاشة. الحادية والعشرون استعمال المعاريض. الثانية والعشرون حسن خلقه صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿ بَابُ الْخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ ﴾

وَقَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: (إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ).

وَقَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلام: (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ) [1].

---

(١) قال الراغب الأصفهاني: الصنم جثة متخذة من فضة أو نحاس أو خشب كانوا يعبدونها متقربين به إلى الله تعالى وجمعه أصنام، قال بعض الحكماء: كل ماعبد من دون الله بل كل ما يشغل عن الله تعالى يقال له صنم وعلى هذا الوجه قال إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه: (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) فمعلوم أن إبراهيم مع تحققه بمعرفة الله تعالى واطلاعه على حكمته يكن ممن يخاف أن يعود إلى عبادة تلك الجثث التي كانوا يعبدونها فكأنه قال ـ اجنبني عن الاشتغال عما يصرفني عنك ـ اه. فكل ما تقرب به إلى الله من نار أو كوكب أوقبر صالح أو غير صالح وغير ذلك فهو صنم فنسأل الله العصمة من ذلك كله والله أعلم.

وَفِى الْحَدِيثِ : « أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الأَصْغَرِ فَسُئِلَ عنهُ فَقَالَ الرِّيَاءِ »[١] .

وَعَنِ ابْنِ مسعُودٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ ماتَ وَهُوَ يَدْعُو لِلهِ نِدًّا[٢] دَخَلَ النَّار » رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ ، وَلِمُسْلِمٍ عنْ جَابِرٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَال : « مَنْ لَقِىَ اللهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ » .

فيه مسائل : الأولى خوف الشرك ، الثانية أن الرياء من الشرك ، الثالثة أنه من الشرك الأصغر ، الرابعة أنه أخوف مايخاف منه الصالحين، الخامسة قرب الجنة والنار ، السادسة الجمع بين قربهما فى حديث واحد ، السابعة أنه من لقيه لايشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ولو كان من أعبد الناس ، الثامنة المسألة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام ، التاسعة اعتباره بحال الأكثر لقوله (رب إنهن أضللن كثيراً من الناس) ، العاشرة فيه تفسير لا إله إلا الله كما ذكره البخارى ، الحادية عشرة فضيلة من سلم من الشرك .

﴿ بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ ﴾

وَقَالَ تَعَالَى : (قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ) الآيَةَ .

---

(١) رواه أحمد .

(٢) الند النظير المشارك له فى جوهره فكل ندا مثل وليس كل مثل نداً

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بعَثَ مَعاذاً إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ : « إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ » .

وَفِي رِوَايَةٍ : « إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُوم فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبيْنَ اللهِ حِجَابٌ » أَخْرَجَاهُ .

وَلَهُمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَر : « لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولَه يفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ » فبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ [١] لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا .

فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا فقَالَ أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؟ فَقِيلَ هُوَ يَشْكِي عَيْنَيْهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأُتِيَ بِهِ فبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ ، فَبَرِيءَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ

---

(١) يدوكون : أيْ يخوضون .

وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ وَقَالَ « انفُذْ عَلَى رُسْلِكَ (١) حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ (٢) .

فيه مسائل : الأولى أن الدعوة إلى الله طريق من اتبعه صلى الله عليه وسلم ، الثانية التنبيه على الإخلاص لأن كثير من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه ، الثالثة أن البصيرة (٣) من الفرائض ، الرابعة من دلائل حسن التوحيد تنزيه لله تعالى عن المسبة ، الخامسة من قبح الشرك كونه مسبة لله ، السابعة كون التوحيد أول واجب ، الثامنة أن يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة ، التاسعة أن معنى أن يوحدوا الله معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، العاشرة ان الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لايعرفها أو يعرفها ولا يعمل بها ، الحادية عشر التنبيه على التعليم بالتدريج ، الثانية عشر البداءة بالأهم فالأهم الثالثة عشر مصرف الزكاة . الرابعة عشر كشف العالم الشبهة عن المتعلم الخامسة عشرة عن كرائم الأموال السادسة عشرة أتقاء دعوة المظلوم .

---

(١) هو بضم الفاء من باب قعد أى أمض ، والرسل بكسر الراء المهملة الهينة والتأنى أى اذهب وامض متمهلا .

(٢) حمر النعم الإبل الحمر . قال الراغب : النعم مختص بالإبل وجمعه أنعام وتسميته بذلك لكون الإبل عندهم أعظم نعمة لكن الأنعام تقابل للإبل والبقر والغنم ولا يقال لها أنعام حتى يكون فى جملتها الإبل .

(٣) البصير بالشيء العالم بما يدعو إليه بصره منه .

السابعة عشرة الاخبار بأنها لاتحجب ، الثامنة عشرة من أدلة التوحيد ماجرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء ، التاسعة عشر قوله لاعطين الراية الخ علم من النبوة ، العشرون تفله فىعين على علم من أعلامها أيضاً الحادية والعشرون فضيلة على رضى الله عنه ، الثانية والعشرون فضائل الصحابة فى دركهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح . الثالثة والعشرون الإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى . الرابعة والعشرون الأدب فى قوله على رسلك . الخامسة والعشرون الدعوة إلى الإسلام قبل القتال ، السادسة والعشرون أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا ، السابعة والعشرين الدعوة بالحكمة لقوله أخبرهم بما يجب عليهم ، الثامنة والعشرون المعرفة بحق الله فى الإسلام ، التاسعة والعشرون ثواب من ، اهتدى على يديه رجل واحد ، الثلاثون الحلف على الفتيا .

﴿ بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ ﴾

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) [1] الآيَةَ ، وَقَوْلُهُ (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِى بَرَاءٌ

---

(١) قال الراغب: الوسيلة التوصل إلى الشىء برغبة وهى أخص من الوسيلة لتضمنها معنى الرغبة قال تعالى : (وابتغوا إليه الوسيلة) وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحرى مكارم الشريعة وهى كالقربة والواسل الراغب إلى الله تعالى اه ، أقول والتوسل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم هو الاستسقاء به صلى الله عليه وآله وسلم فى حياته وثبت

مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِى فَطَرَنِى)[١] الآيَة ، وَقَوْلِهِ (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ) الآيَة ، وَقَوْلِهِ (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ) الآيَة .

وَفِى الصَّحِيحِ [٢] عَنِ النَّبِىِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللهُ كَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب : فيه أكبر المسائل وأهمها وهى تفسير التوحيد و تفسير الشهادة بينهما أمور واضحة . منها آية الأسرى بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر. ومنها آية براءة بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلها واحدا مع أن تفسيرها الذى لا إشكال فيه طاعة العلماء والعبادة فى غير المعصية لادعاؤهم إياهم ومنها قول

التوسع بغيره صلى الله عليه و آله وسلم بعد موته بإجماع الصحابة إجماعاً سكوتيا فى حديث عمر رضى الله عنه لما قال كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا وإنا نتوسل إليك الحديث بعم نبيك الحديث ولم ينكر عليه أحد من الصحابة وأما التوسل بغير هذه المسألة لا يجوز وفى هذه رسائل مؤلفة للأمة منها كتاب التوسل والوسيلة لابن تيمية . والدر النضيد للشوكانى والله أعلم .

(١) فطرنى خلقنى من الفطرة أى الخلقة .

(٢) أى صحيح مسلم .

الخليل عليه السلام للكفار : (إننى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى) فاستثنى من المعبودين ربه وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالات هى تفسير شهادة أن لا إله إلا الله فقال : (وجعلها كلمة باقية فى عقبة لعلهم يرجعون) ، ومنها آية البقرة فى الكفار الذين قال الله فيهم (وما هم بخارجين من النار) ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله فدل على أنهم يحبون الله حبا عظيما ولم يدخلهم فى الإسلام فكيف بمن أحب الند حبا أكبر من حب الله ، فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله ؟ وفيها قوله صلى الله عليه وآله وسلم ومن قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال بل ولا معرفة معناها مع لفظها بل ولا الإقرار بذلك بل ولا كونه لا يدعو الله وحده لا شريك له بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها ويا له من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع .

﴿ بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ لِبْسُ الْحَلَقَةِ وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ الْبَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ ﴾

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِىَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ) الآيَةَ .

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ رَأَى رَجُلاً فِى يَدِهِ حَلَقَةٌ مِنْ صُفْرٍ فَقَالَ : مَا هٰذَا ؟ قَالَ مِنَ الْوَاهِنَةِ فَقَالَ انْزَعْهَا فَإِنَّهَا

لاتَزِيدُكَ إلاَّ وَهْناً فَإنَّكَ لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبداً [١] ، رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ لا بَأْسَ بِهِ .

وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ مَرْفوعاً « مَنْ تَعلَّقَ تَمِيمَةً فَلاَ أَتَمَّ اللهُ لَهُ وَمَنْ تَعلَّقَ وَدَعَةً فَلاَ وَدَعَ اللهُ لَهُ » [٢] .

وَفى رِوَايَةٍ : « مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ » ، وَلِابْنِ أَبِي حَاتِم عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً فى يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَّى فَقَطَعَهُ وَتَلاَ قَوْلَهُ : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ) .

---

(١) قال ابن الأثير فى النهاية : الواهنة عرق يأخذ فى المنكب وفى اليد كلها فيرقى منها ، وقيل هو مرض يأخذ فى العضد وربما علق عليها جنس من الخرز يقال لها خرز الواهنة وهى تأخذ الرجال دون النساء ، وإنما نهاه عنها لأنه إنما أتخذها على أنها تعصمه عن الألم فكان عنده فى معنى التمائم المنهى عنها اهـ والحلقة كانت المشركون تجعلها فى عضدهم من نحاس أصفر وغيره يزعمون أنها تحفظهم من أذى العين والجن ونحوهما .

والخيط كانوا يعقدونه ويتقلدن به فنهى عنه لما فيه من شائبة الشرك .

(٢) الودعة ـ بفتحات إحدى الودع قال فى النهاية ، وهو شىء أبيض يجلب من البحر يعلق فى حلوق الصبيان وغيرهم اهـ وقوله فلا ودع الله له أى لأجله فى دعة وسكون لأن ذلك من الشرك والله أعلم .

فيه مسائل : الأولى : التغليظ فيمن لبس الحلقة ونحوها لمثل ذلك . الثانية : أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر : الثالثة : أنه لم يعذر بالجهالة .

الرابعة: أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر لقوله : « لا تزيدك إلا وهنا » . الخامسة:الانكار بالتغليظ على مثل فعل ذلك ، السادسة: التصريح بأن من تعلق شيئا وكل إليه ، السابعة : التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك ، الثامنة : أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك ، التاسعة: تلاوة حذيفة الآية ، دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الأكبر على الأصغر كما ذكر ابن عباس في آية البقرة . العاشرة: أن تعليق الودع عن العين من ذلك . الحادية عشرة : الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له ومن تعلق ودعةً فلا ودع له أي ترك الله له .

﴿ بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ ﴾ (١)

فِي الصَّحِيحِ (٢) عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ

---

(١) الرقى ـ بضم الراء وتخفيف القاف ـ جمع رقية مثل مدى ومدية وهي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات ؟ والتمائم جمع تميمة وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم فأبطلها الشرع ، والنهي في الأحاديث عام فلا وجه لتخصيصه بغير تمائم القرآن ولو كان ذلك جائزا لورد عن الشارع كما ورد الاذن بالرقى المخصوصة وقد تقدم الجمع بين أحاديث المنع من الرقية وجوازها عن ابن الأثير والله أعلم .

(٢) هو في الصحيحين .

رَسُولِ اللهِ ﷺ فى بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَأَرْسَلَ رَسُولاً أَنْ لا يَبْقَيَنَّ فى رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلادَةٍ إلا قُطِعَتْ[1] .

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ[2] رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنُ حَكِيمٍ مَرْفُوعاً : مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ ، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ[3] .

التَّمَائِمُ شَيْءٌ يُعَلَّقُ عَلَى الأَوْلادِ يَتَّقُونَ بِهِ الْعَيْنَ ، لَكِنْ إِذَا كَانَ الْمُعَلَّقُ مِنَ الْقُرْآنِ فَرَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ السَّلَفِ ، وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُرَخِّصْ فِيهِ وَيَجْعَلُهُ مِنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ مِنْهُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَالرُّقَى هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْعَزَائِمَ وَخَصَّ مِنْهَا الدَّلِيلُ مَا خَلاَ مِنَ الشِّرْكِ فَقَدْ رَخَّصَ

---

(١) قوله فأرسل رسولا ، هو زيد بن حارثة كما بينه الجاحظ ؛ وقوله من وترهو بفتحتين وأحد أوتار القوس وكان أهل الجاهلية إذا اخلولق الوتر أبدلوه بغيره وقلدوا به الدواب أعتقادا منهم أنه يرد عن الدابة العين ويدفع عنهم المكاره فنهاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنها وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئاً .

(٢) قال الحافظ التولة بكسر التاء وفتح الواو واللام ومخففة شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر وإنما كان الشرك لما يراد به من دفع المضار وجلب المنافع من غير الله .

(٣) ورواه أيضا أبو داود والحاكم .

فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْعَيْنِ وَالْحُمَةِ وَالتِّوَلَةُ هُوَ شَيْءٌ يَصْنَعُونَهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا وَالرَّجُلَ إِلَى امْرَأَتِهِ .

وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ رُوَيْفِعٍ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ « يَا رُوَيْفِعُ لَعَلَّ الْحَيَاةَ تَطُولُ بِكَ فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ أَوْ تَقَلَّدَ وَتَراً أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ فَإِنَّ مُحَمَّداً بَرِيءٌ مِنْهُ » .

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ . رَوَاهُ وَكِيعٌ [1] ، وَلَهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالُوا كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ .

فيه مسائل : الأولى تفسير الرقى والتمام ، الثانية تفسير التولة . الثالثة أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء ، الرابعة أن الرقية بالكلام الحق من العين الحق من العين والحمة ليس من ذلك ، الخامسة أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء هل هى من ذلك أم لا ، السادسة أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك ، السابعة الوعيد الشديد فى من تعلق وترا ، الثامنة فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان ، التاسعة أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف لأن مراده أصحاب عبد الله .

---

(١) وله عند أهل العلم حكم الرفع لأن مثل ذلك لا يقال بالرأى والخبر مرسل لأن سعيدا تابعى ، ووكيع هو ابن الجراح ثقة إمام صاحب تصانيف منها الجامع روى عنه الإمام أحمد وطبقته مات سنة ١٩٧ هـ .

﴿ بَابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا ﴾

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى) (١) الآيَاتِ .

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ ، وَنَحْنُ حدثاء عَهْدٍ بِكُفْرٍ ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكِفُونَ عِنْدَهَا ، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ : اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَكْبَرُ انها السُّنَنُ قُلْتُمْ وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسرَائِيلَ لِمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ لَتَرْكَبُنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ (٢) .

---

(١) اللات والعزى ومناة أسماء لأصنام كانت تعبد فى الجاهلية أما اللات فكانت لثقيف والعزى لقريش وبنى كنانة ومناة فى بنى هلال قال ابن هشام كانت لهزيل وخزاعة .

(٢) قوله «حدثاء عهد» أى قريب عهدهم بالكفر والخروج منه والدخول فى الإسلام فلم يتمكن الدين فى قلوبهم .

وفيه دليل على أن غيرهم ممن تقدم إسلامه من الصحابة لا يجهل هذا وأن المتنقل من الباطل الذى يعتاد قلبه لا يأمن من أن فيه بقية من تلك العادة كما قال المصنف وقوله « ينوطون » أى يعلقون أسلحتهم عليها تبركا بها وتعظيما لها : وقوله ذات

فيه مسائل : الأولى تفسير آية النجم ، الثانية معرفة صورة الأمر الذى طلبوا، الثالثة كونهم لم يفعلوا ، الرابعة كونهم قصدوا التقريب إلى الله بذلك لظنهم أن يحبه ، الخامسة أنهم إذا جهلوا هـــذا فغيرهم أولى بالجهل السادسة أنهم لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم ، السابعة أن النبي ﷺ لم يعذرهم الأمر بل رد عليهم بقوله الله أكبر إنها السنن لتتبعن .

أنواط ، جمع نوط وهو مصدر سمى به المنوط ، ظنوا أن هذا أمر محبوب عند الله فقصدوا والتقريب به إليه سبحانه وإلا فهم أجل قدرا من أن يقصدوا مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقوله « الله أكبر » وفى رواية « سبحان الله » المراد تعظيمه تعالى وتنزيهه عن الشرك بأى نوع كان مما لا يجوز أن يطلب أو يراد به إلا الله ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعمل التكبير والتسبيح فى حال التعجب تعظيما لله وتنزيها له سبحانه وتعالى إذا سمع من أحد ما يليق به تعالى مما فيه هضم الربوبية ونقص فى الألوهية وهكذا ينبغى لكل من يوحد الله ولا يشرك به شيئا أن يكبر ويسبح عند سماع مالا ينبغى أن يقال فى الدين وقوله (إنها السنن) بضم السين أى الطرق والمراد بها تقليد من تقدمهم من أهل الشرك والضلال ، وقوله « قلتم » الخ شبه مقالتهم هذا بقول بنى إسرائيل لكونها حذو النعل بالنعل وإن اختلفت العبارتان ، قال فى الدين الخالص وفيه أن الإنسان قد يستحسن شيئاً يظنه مقرباً إلى الله تعالى وهو مبعده من رحمته ومدنيه من سخطه وإذا كان يقع مثل هذا الحال والقال فى سلف الأمة من الصحابة رضى الله عنهم فما ظنك بهذا الزمان الأخير الفاسد الكثير الآفات ولا يعرف هذا على الحقيقة إلا من عرف ما وقع فى هذه الأزمنة والعصور فى كثير من المسلمين بالعلماء والعباد

سنن من كان قبلكم فغلط هذا الأمر بهذا الثلاث ، الأمر الكبير وهو المقصود أنه أخبر أن طلبتهم كطلبة بنى إسرائيل لما قالوا لموسى اجعل لنا إلها التاسعة أن نفى هذا من معنى لا إله إلا الله مع دقته وخفائه على أولئك ، العاشرة أنه حلف على الفتيا وهو لا يحلف إلا لمصلحة .

الحادية عشرة أن الشرك فيه كبر وأصغر لأنهم لم يرتدوا بذلك،الثانية عشرة وقولهم ونحن حدثاء عهد بكفر فيه أن غيرهم لايجهله ذلك . الثالثة عشرة ذكر التكبير عند التعجيب خلافا لمن كرهه ، الرابعة عشرة سد الذرائع ، الخامسة عشرة النهى عن التشبه بأهل الجاهلية ، السادسة عشرة الغضب فيه عند التعليم السابعة عشرة القاعدة الكلية لقوله أنها السنن ، الثامنة عشرة أن هذا علم من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر،التاسعة عشرة أن كل ماذم الله اليهود والنصارى فى القرآن أنه لنا ، العشرون أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر فصار فيها التنبيه على مسائل القبر أما من ربك فواضح وأما من نبيك فمن أخباره بأنباء الغيب وأما دينك فمن قولهم اجعل لنا إلى آخر .

والموالى والأهالى مع أرباب القبور وغـــــلوهم فى تعظيمه والخضوع لها والعكوف بها والبناء عليها وإلباسها بالثياب الفاخرة وصرف جل الإكرام لها بالحضور لديها بالمراسيم والأعراس ونحوها ويحسبون أنهم على شىء وليسوا فى الحقيقة على شىء إلا على الذنب الأكبر الذى لا يغفره الله تعالى أبداو الوزر الأعظم الذى هو الشرك الجلى والكفر الواضح ، وقوله « لتركبن سنن من كان قبلكم فيه دليل أن هذه الأمة تقلد من قبلها من الأمم الضالة وتأتى بما أتته من الأفعال الشركية والكفرية التى تخرجهم من النور إلى الظلمات ومن السنة البيضاء إلى حلك البدع والمحدثات والله أعلم .

الحادية والعشرون أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين ، الثانية والعشرون أن المقتل من الباطل الذى اعتاده قلبه لايؤمن أن يكون فى قلبه بقية من تلك العادة لقومهم ونحن حدثاء عهد بكفر .

﴿ بَابُ مَا جَاءَ فِى الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ ﴾

وَقَوْلِهِ تَعَالَى : (قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ) الآيَةِ ، وَقَوْلِهِ : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) .

وَعَنْ عَلِىٍّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ حَدَّثَنِى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : « لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ ، لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ لَعَنَ اللهُ

---

(١) قال الحافظ بن كثير : يأمره الله تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون له أى أنه أخلص لله صلاته وذبيحته لأن المشركين يعبدون الأصنام ويذبحون لها فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عماهم فيه والانقياد بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى ، قال مجاهد الذبح فى الحج والعمرة قال الإمام ابن تيمية ، أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عدته عكس حال أهل الكبر والأنفة وأهل الغنى عن الله تعالى الذين لاحاجة لهم فى صلاتهم إلى ربهم والذين لاينحرون له خوفا من الفقر ولهذا جمع بينهما فى قوله : قل إن صلاتى ونسكى .

مَنْ آوَى مُحْدِثاً ، لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ » [1] ، رَوَاهُ مُسْلِم .

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِى ذُبَابٍ ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِى ذَابٍ ، قَالُوا وَكَيْفَ ذٰلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لاَ يُجَاوِزُهُ رَجُلٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئاً فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا قَرِّبْ قَالَ لَيْسَ عِنْدِى شَىْءٌ أُقَرِّبَ قَالُوا لَهُ قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَاباً فَقَرَّبَ ذُبَاباً فَخَلُّوا سَبِيلَهُ فَدَخَلَ النَّارَ ، وَقَالُوا لِلآخَرَ :

---

(١) اللعن البعد عن مظان الرحمة ومواطنها واللعين الملعون من حقت عليه اللعنة أو دعى عليه بها .

قال صاحب النهاية : أصل اللعن الطرد والإبعاد من الله ومن الخلق السب والدعاء ، وفى الحديث جواز لعن أهل الظلم من غير تعيين وأما لعن الفاسق المعين ففيه قولان .

أحدهما : أنه جائز اختاره ابن الجوزى وغيره .

والثانى : أنه لايجوز واختاره أبو بكر عبد العزيز وشيخ الإسلام رحمهم الله تعالى وهو المتجه جمعاً بين الروايات . وقوله «محدثا» روى بكسر الدال المهملة وفتحها فعلى الأول معناه نصر جانبه وآواه وأجاره من خصمه وحال بينه وبين من يقتص منه وعلى الثانى هو الأمر المبتدع نفسه ومعنى إيوائه الرضا به والصبر عليه فإنه إذا رضى بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه ، ومنار الأرض بفتح الميم علامات حدودها ومعالمها يفعل ذلك ليغتصب من جاره أرضه والله أعلم .

قَرِّبْ فَقَالَ مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَضَرَبُوا عُنُقَهُ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ » رَوَاهُ أَحْمَدُ فِى كِتَابِ الزُّهْدِ لَهُ .

فيه مسائل : الأولى تفسير (قل إن صلاتى ونسكى) الثانية تفسير (فصل لربك وانحر) الثالثة البداءة بلعن من ذبح لغير الله ، الرابعة لعن من لعن والديه ومنه أن تلعن والدى الرجل فيلعن والديك (١) الخامسة لعن من آوى محدثا وهو الرجل يحدث شيئاً يجب فيه حق لله فليتجىء إلى من يجيره من ذلك ، السادسة لعن من غير منار الأرض وهى المراسيم التى تفرق بين حقك وحق جارك فتغيرها بتقديم أو تأخير ، السابعة مفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعصية على سبيل العموم ، الثامنة هذه القصة العظيمة وهى قصة الذباب التاسعة كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذى لم يقصده بل فعله تخلصا من شرهم ، العاشرة معرفة قدر الشرك فى قلوب المؤمنين كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبهم مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر ، الحادية عشرة أن الذى دخل النار مسلم لأنه كان كافرا لم يقل دخل النار فى ذباب ، الثانية عشرة فيه شاهد للحديث الصحيح « الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار أقرب مثل ذلك » الثالثة عشرة معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان .

---

(١) شتم الرجل والديه من الكبائر لما فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يارسول الله وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال نعم يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه .

﴿ بَاب لا يذْبح لله بِمَكَان يذْبح فِيهِ لِغَيْرِ الله ﴾

وَقَوْل الله تعَالَى : (لَاتقم فِيهِ أَبدًا) الآيَة .

عنْ ثابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إبلاً ببوَانَةَ [1] ، فَسَأَلَ النَّبىَّ ﷺ فقَالَ هَلْ كَانَ فيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ ؟ قَالُوا لاَ قَالَ فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيد مِنْ أَعْيَادِهِمْ قَالُوا لاَ ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أُوفِ بِنَذْرِكَ فَإِنَّهُ لاَ وَفَاءَ بِنَذْرٍ فى مَعْصِيَةِ اللهِ ، وَلاَ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادِهِ عَلَى شَرْطِهِمَا .

فيه مسائل : الأولى تفسير قوله (لا تقم فيه أبدا) الثانية أن المعصية قد تؤثر فى الأرض وكذلك الطاعة ، الثالثة رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة ليزول الاشكال . الرابعة استفصال المفتى إذا احتاج إلى ذلك ، الخامسة إن تخصص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع ، السادسة المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله ، السابعة المنع منه إذا كان فيها عيدا من أعيادهم ولو بعد زواله ، الثامنة أنه لا يجوز الوفاء بما نذر فى تلك البقعة لأنه

---

(١) هو بضم الباء وقيل بفتحها قال البغوى موضع فى أسفل مكة دون يلملم وقال ابن الأثير فى الغريب : هضبة من وراء ينبع .

نذر معصية ، التاسعة الحذر من مشابهة المشركين فى أعيادهم ولو لم يقصده ، العاشرة لا نذر فى معصية ، الحادية عشر لا نذر لابن آدم فيما لا يملك .

﴿ بَاب مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرِ لِغَيْرِ اللهِ ﴾

لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) (١) ، وَقَوْلُه : (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ) (٢) .

---

(١) الآية تدل على وفاء النذر ومدح من فعل ذلك فالنذر من العبادة فصرفه لغير شرك فإذا نذر طاعة وجب عليه الوفاء بها والنذر قربة إلى الله تعالى ولهذا مدح الموفين بها فإن نذر لمخلوق تقربا إليه وتشفعا منه له عند الله أو ليكشف ضره ونحو ذلك فقد أشرك فى عبادته سبحانه غير ضرورة كما أن من صلى لله وصلى لغيره فقد أشرك ؛ ووجه الدلالة من الآية الشريفة على هذا المعنى أن أمدح الموفين بالنذر والله لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحب أو ترك محرم وذلك هو العبادة فمن جاء به لغير الله تقرباً به إليه فقد أشرك .

(٢) قال ابن كثير : يخبر بأنه عالم بجميع ما يعمله العاملون من النفقات والمنذورات وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه إذا علمت ذلك تعرف أن هذه النــــذور الواقعة من عبادة بلا ريب كما قال تعالى : (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا) الآية قال الشيخ قاسم فى شرح دور البحار : النذر الذى ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد كأن يكون للإنسان غائب أو مريض وله حاجة فيأتى إلى

وَفى الصَّحِيح عَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ وَمنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِىَ اللهَ فَلاَ يعصِهِ» .

﴿ بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ الِاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ ﴾[1]

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ

فيه مسائل الأولى وجوب الوفاء بالنذر الثانية إذا أثبت كونه عبادة الله فصرفه إلى غيره شرك ، الثالثة إن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به .

قبر بعض الصلحاء ويجعل على رأسه سترة ويقول ياسيدى فلان إن رد الله غائبى أو عوفى مريضى أو قضيت حاجتى فلك من الذهب كذا أو من الفضه كذا أو من الطعام كذا أو من الماء أو من الشمع كذا أو الزيت كذا فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه : منها أنه نذر لمخلوق والنذر له لا يجوز لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق ، ومنها أن المنذور له ميت والميت لا يملك شيئا ، ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف فى الأمور دون الله واعتقاد ذلك كفر إلى أن قال : إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرهما وينقل إلى ضرائح الأولياء تقربا إليهم محرم بإجماع المسلمين نقل ذلك عنه ابن نجيم فى البحر الرائق ونقله المرشدى فى تذكرته وغيرهما عنه وزادوا وقد ابتلى الناس بهذا لاسيما فى مولد البدوى وغيره من المشهورين فى الاعتقاد ، وقال فى شرح المنهاج قريبا من هذا وكلام العلماء أهل المعرفة فى هذا الباب كثير ولا حاجة بنا إلى نقله ، وفى ذلك كفاية وكتاب الله وسنة نبيه يغنيان عن ذلك كله ، والله أعلم .

(١) قال ابن كثير : الاستعاذة هى الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر

الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً) (١) .

وَعنْ خَولَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ قَالَتْ سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ نَزَلَ منْزِلاً فقَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ لَمْ يضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذٰلِكَ » رَوَاهُ مُسْلِم (٢) .

كل ذى شر والعياذ يكون لدفع الشر واللياذ لطلب الخير اهـ ، وهذا تمثيل وإلا فما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله والاعتصام به والانطراح بين يدى الرب والافتقار إليه والتذلل لديه أمر لاتحيط به العبارة .

(١) وذلك أن الرجل من العرب كان إذا أمسى بوادنفر وخاف على نفسه قال أعوذ بسيدهذا الوادى من سفهاء قومه يريد كبير الجن قال مجاهد : كانوا إذا هبطوا واديا يقولون نعوذ بعظيم هذا الوادى فزادوا الكفار طغيانا . قال الحافظ بن كثير فى تفسيره : فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوا رهقا أى خوفا وإرهابا وذعراً حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم اهـ .

(٢) فى هذا الحديث دليل على أن شرع لأهل الإسلام أن يستعيذوا بكلمات الله بدلا عما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن . ومعنى التامات كما قال القرطبى : الكاملات التى لا يلحقها نقص ولاعيب كما يلحق كلام البشر : وقيل معناها الكافية الشافية قال شيخ الإسلام ابن تيمية وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويذ التى لايعرف معناها خشية أن يكون فيها : أستعاذة بمخلوق وذلك شرك . قال

فيه مسائل: الأولى تفسير آية الجن. الثانية وإن كان من الشرك، الثالثة الاستدلال على ذلك بالحديث لأن العلماء استدلوا به عن أن كلمات الله غير مخلوقة قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك. الرابعة فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره. الخامسة أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أو جلب نفع لايدل على أنه ليس من الشرك.

﴿ بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللهِ أَوْ يَدْعُو غَيْرَهُ ﴾ (١)

القرطبي هذا خبر صحيح وقول صادق علمنا صدقه دليلا وتجربة فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت به فلم يضرني شيء إلى أن تركته فلدغتني عقرب بالمهدية ليلا فتفكرت في نفسي فإذا أني قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات اهـ، والله أعلم.

(١) الاستغاثة هي طلب الغوث وهو إزالة الشدة: والاستغاثة طلب العون. قال بعض العلماء الفرق بينهما وبين الدعاء أن الاستغاثة لاتكون إلا من المكروب والدعاء أعم منه ومن غيره فبينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في مادة وينفرد الدعاء عنها في مادة فكل استغاثة دعاء وليس كل دعاء استغاثة. والدعاء نوعان دعاء عبادة ودعاء مسألة ويراد في القرآن هذا تارة وتارة هذا ويراد به مجموعهما أيضا. فدعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر ولهذا أنكر على من يدعوا أحداً من دونه ممن لا يملك ضراً ولا نفعا كقوله تعالى (قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعا).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه وأرضاه في الرسالة السنية فإذا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممن انتسب إلى الإسلام مرق منه مع عبادته

وَقَوْلُ اللهِ (وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ ما لاَ يَنفَعُكَ ولاَ يَضُرُّكَ فإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ ، وإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ) الآيَة ، وقَوْلِهِ (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ واعْبُدُوهُ) الآيَة ، وقَوْلِهِ (ومَنْ أَضَلُّ

العظيمة فليعلم المنتسب إلى الإسلام والسنة بهذه الأزمان قد يمرق أيضاً من الإسلام لأسباب : منها الغلو فى بعض المشايخ بل الغلو فى على بن أبى طالب كرم الله وجهه بل الغلو فى المسيح عليه السلام فكل من غلا فى نبى أو رجل صالح وجعل فيه نوعان من الإلهية مثل أن يقول :

ياسيدى فلان انصرنى وأغثنى وارزقنى وأنا فى حسبك وحفظك وحمايتك ورعايتك ونحو هذه الأقوال فكل هذا شر وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قيل فان الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتاب ليعبدوه وحده لاشريك له ولا تدعوا معه إلها والذين يدعون مع الله إلها آخر مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق وتنزل المطر وتنبت النبات وإنما كانوا يعبدونهم ويعبدون قبورهم أو يعبدون صورهم يقولون إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبعث الله سبحانه رسله تنهى أن يدعى أحد دونه لادعاء عبادة ولادعاء استغاثة واستعانة قال ومن جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعا نقله عنه صاحب الفروع وصاحب الانصاف وصاحب الاقناع وغيرهم . قال فى الدين الخالص وذكره ابن تيمية رحمه الله تعالى فى مسألة الوسائط ونقلوه منه فى الرد على ابن جرجيس اه قول أعم أن الاستغاثه

مِّمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) [1] الآيَتَيْنِ

فى الأسباب الظاهرية العادية فى الأمور الحسية فى قتال أو إدراك عدو أو سبع أو نحوه كقولهم بالزيد للمسلدين بحسب الأفعال الظاهرة وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير أو فى الأمور المعنوية فى الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله لا يطلب فيها غيره .. والله أعلم

(١) قال ابن عطية فى قوله تعالى : (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك)هذا الأمر والمخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإذا كان كذلك فأحرى أن يتحذر من ذلك غيره ، والخطاب خرج مخرج الخصوص وهو عالم الأمه قال ابن جرير : فى هذه الآية يقول تعالى ولا تدع يا محمد من دون معبودك خالقك شيئاً لا ينفعك فى الدنيا ولا فى الآخرة ولا يضرك فى دين ولا دنيا - يعنى بذلك الآلهه - يقول : أتعبدها راجيا نفعها أوخائفا ضرها فإنها لاتضر ولا تنفع فإن فعلت ذلك ودعوتها من دون الله فإنك إذا من الظالمين أى المشركين بالله والله أعلم . دلت هذه الآية على أنه سبحانه هو المنفرد بالملك والقهر والعطاء والمنع والضر والنفع دون كل ماسواه فيلزم من ذلك أن يكون هو المدعو وحده المعبود وحده فإن العبادة لا تصلح إلا لمالك النفع والضر ولا يملك ذلك ولا شيئا مما هنالك غيره كائنا من كان من أوليائه أوأعدائه فهو المستحق للعبادة والدعوة وحده من لا يضر ولاينفع . وقوله تعالى : (فابتغوا عند الله الرزق) أمر الله عباده بابتغاء الرزق عنده دون من سواه ممن لم يملك لهم رزقا .

وَقَوْلُهُ (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) [١] .

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ : أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ » .

فيه مسائل الأولى : أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف الخاص على العام . الثانية تفسير قوله (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك) الثالثة أن هذا هو الشرك الأكبر . الرابعة أن أصلح الناس لو يفعله إرضاء غيره صار من الظالمين . الخامسة تفسير الآية التي بعدها . السادسة كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفرا ، السابعة تفسير الآية الثالثة . الثامنة أن من السموات والأرض فتقديم الظرف أفاد الاختصاص واعبد من عطف العام على الخاص فان طلب الرزق من الله من العبادة التي أمر بها قال الحافظ ابن كثير معناه ابتغوا عند الله الرزق من الله من العبادة التي أمر بها قال الحافظ ابن كثير معناه ابتغوا عند الله الرزق لا عند غيره لأنه المالك له وغيره لا يملك شيئا من ذلك وأخلصوا له العبادة وحده لا شريك له وأشار له على ما أنعم عليكم إليه ترجعون فيجازي كل عامل بعمله وقوله تعالى : (ومن أضل ممن يدعو من دون الله) الآية فيه نفي سبحانه أن يكون أحد أضل ممن يدعو غيره وأخبر أنه لا يستجيب له ما طلب منه إلى يوم القيامة والآية تعم كل من يدعو من دون الله . والله أعلم .

---

(١) قرر المولى تعالى أنه الكاشف للضر لا غيره وأنه منفرد بإجابة المضطرين وأنه المستغاث لذلك وأنه القادر على دفع الضر والقادر على إيصال الخير فهو المنفرد لذلك فإذا تعين هو ذكره خرج غيره من ملك ونبي وولي وغير ذلك .

طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله كما أن الجنة لا تطلب إلا من الله التاسعة تفسير الآية الرابعة . العاشرة أنه لا أضل ممن دعا غير الله . الحادية عشرة أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه الثانية عشرة أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته . الثالثة عشرة تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو ، الرابعة عشرة كفر المدعو بتلك العبادة . الخامسة عشرة أن هذه الأمور سبب كونه أضل الناس . السادسة عشرة تفسير الآية الخامسة : السابعة عشرة الأمر العجيب وهو إقرار عبدة الأوثان بأنه لا يجيب المضطر إلا الله ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين . الثامنة عشرة حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد والتأدب مع الله .

﴿ بَابٌ ﴾

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (أَيُشْرِكُونَ مَالاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً) الآيَةَ [1] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ

---

(١) قال المفسرون : هذه الآية فيها توبيخ وتعنيف للمشركين في عبادتهم مع الله تعالى مالا يخلق شيئاً وهو مخلوق والمخلوق لا يكون شريكا للخالق في العبادة التي خلقهم لها وبين أنهم لا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون فكيف يشركون من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه وهذا برهان ظاهر ودليل باهر على بطلان ما كانوا يعبدونه من دون الله وهذا وصف كل مخلوق حتى الملائكة والأنبياء والصالحين وأشرف الخلق محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان يستنصر ربه على المشركين ويقول : اللهم أنت عضدي وأنت نصيري بك أحول وبك أصول وبك أقاتل .

دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) (١) الآيَةَ .

وَفِى الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُه ، فَقَالَ : « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ » فَنَزَلَتْ (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَىْءٌ) (٢) .

وَفِيهِ عَنْ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا

---

(١) هو الأثر الذى فى ظهر النواة يضرب مثلا للشىء الطفيف .

(٢) الحديث رواه البخارى تعليقا ووصله مسلم : والنسائى . والترمذى والإمام أحمد بن حنبل . قال ابن إسحق فى المغازى : حديث حميد الطويل عن أنس قال : كسرت رباعية النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد وشج وجهه وجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله الآية اه وذكر ابن هشام فى السيرة من حديث أبى سعيد الخدرى أن عتيبة بن أبى وقاص هو الذى كسر رباعية النبى صلى الله عليه وآله وسلم وخرج شفته السفلى وأن عبد الله بن شهاب الزهرى هو الذى شجه فى وجهه وأن عبد الله بن قميئة جرحه فى وجنته فدخل حلقتان من حلق المغفر فى وجنته ووقع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حفرة من الحفر التى عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فأخذ على ابن أبى طالب كرم الله وجهه بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورفعه طلحة ابن عبد الله حتى استوى قائما ومسح مالك بن سنان أبو أبى سعيد الخدرى الدم عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم ازدرده فقال رسول الله صلى

رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِى الرَّكْعَةِ الاخِيرَةِ مِنَ الْفَجْرِ : « اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلاَنًا وَفُلاَنًا » بَعْدَ مَا يَقُولُ سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ ، فَأَنْزَلَ اللهُ : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ) الآيَةَ .

وَفِى رِوَايَةٍ : يَدْعُو عَلَى صَفْوانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَالْحَارِثِ ابْنِ هِشَامٍ ، فَنَزَلَتْ (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) .

الله عليه وآله وسلم : من مس دمه دمى لم تصبه النار .

قال القرطبي الرباعية بفتح الراء وتخفيف الباء هى كل سن بعد ثنية . قال النووى وللأسنان أربع رباعيات ولم تقلع الرباعية من أصلها بل كسرت فذهب منها فلقة قاله الحافظ . والشج قال ابن الأثير : فى الرأس خاصة فى الأصل وهو وهو أن يضربه بشىء فيجرحه فيه ويشقه ثم استعمل فى غيره من الأعضاء قال النووى : وفى هذا وقوع الاسقام والابتلاء بالأنبياء عليهم السلام لينالوا جزيل الأجر والثواب ولتعرف أممهم ما أصابهم من الشرك فيتأسوا بهم قال القاضى : وليعلم أنهم من البشر تصيبهم محن الدنيا أو يطرأ على أجسادهم ما يطرأ على أجسام البشر ليتيقنوا أنهم مخلوقون مربوبون ولا نفتن بما أظهر على أيديهم من المعجزات ويلبس الشيطان من أمرهم مالبسه على النصارى وغيرهم اه يعنى من الغلو القبيح والعبادة لهم وليكن للمؤمنين الآن أسوة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على الأذى الحاصل من الموحدين والمارقين وليجاهدوهم وليثبتوا كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين والله أعلم .

وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِين) قَالَ : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً ، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً ، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً ، وَيَافَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مِنْ مَالِي مَاشِئْتِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً » (١) .

فيه مسائل : الأولى تفسير الآيتين : الثانية قصة أحد . الثالثة قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة الرابعة أن المدعو عليهم كفار . الخامسة أنهم فعلوا أشياء لا يفعلها غالب الكفار منها شجهم نبيهم وحرصهم على قتله ، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم . السادسة أنزل الله عليه في ذلك (ليس لك من الأمر شيء) السابعة قوله (أو يتوب عليهم أو يعذبهم) فتاب عليهم فآمنوا . الثامنة القنوت في النوازل ، التاسعة تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم . العاشرة لعنة المعين .

---

(١) أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشيرته الأقربين أن يشتروا أنفسهم بتوحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له وحده لاشريك له وطاعته فيما أمروا والانتهاء عما نهى عنه فإن ذلك هو الذي ينجي من عذاب الله لا الاعتماد على الأنساب والأحساب فان ذلك غير نافع عند رب الأرباب وليس

فى القنوت . الحادية عشر قصـــته صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه (وانذر عشيرتك الأقربين) الثانية عشر جده صلى الله عليه وسلم بحيث فعل فى هذا الأمر مانسب بسببه إلى الجنون وكذلك لو يفعله مسلم الآن ، الثالثة عشر قوله للأبعد والأقرب لا أغنى عنكم من الله شيئا حتى قال يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئا فإذا صرح وهو سيد المرسلين بأن لا يغنى شيئا عن سيدة نساء العالمين وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق ثم نظر فيما وقع فى قلوب خواص الناس اليوم تبين له التوحيد وغرابة الدين .

﴿ بَابٌ ﴾

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ [1] عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ

بدفع العقاب والعذاب ، وبين أنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يستطيع أن ينفعهم بشىء ، وهذا أكبر دليل على أنه لا ينجى من عـــذاب الله إلا الإيمان الخالص الذى هو التوحيد والعمل الصالح الذى هو عدم الشرك وأنه لا يجوز أن يسأل العبد إلا ما يقدر عليه من أمور الدنيا وأما الرحمة والمغفرة والفوز بالجنة والنجاة من النار ونحو ذلك من كل مالا يقدر عليه إلا الله فلا يجوز أن يطلب إلا منه سبحانه وإن ما عند الله لا ينال إلا بتجريد التوحيد المفيد وإخلاص العمل السديد له بما شرعه ورضيه لعباده أن يتقربوا به إليه فاذا كان لا ينفع عمه وابنته وقرابته إلا بذلك فمن ذا الذى ينفعه مع عدم هذا الإيمان والعمل بل غيره أولى بالحرمان عن هذا وأحرى به ، وفى هذا أكبر اعتبار وموعظة لمن عقل ذلك وتدبر .

(١) معنى فزع زال الفزع عنها قاله ابن عباس وابن عمر وعبد الرحمن السلمى والشعبى والحسن وغيره قال ابن جبير الذى عن قلوبهم الملائكة وإنما فزع عنهم غشية تصيبهم عند سماع كلام الله تعالى بالوحى .

رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) .

وَفِى الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِى السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خَضْعَانًا لِقَوْلِهِ : كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَّفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى

وقيل الضمير راجع إلى المشركين عند الاحتضار ويوم القيامة إذا استيقظوا مما كانوا فيه من الغفلة فى الدنيا رجعت إليهم عقولهم يوم القيامة وكشف عنها الغطاء. قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير واختار الأول ابن جرير وغيره ، قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره بعد ما نقل الاحتمالين وقد اختار ابن جرير القول الأول أن الضمير عائد على الملائكة وهذا هو الحق الذى لا مرية فيه لصحة الأحاديث فيه والآثار وذكر طرفا منها وأورد الحديث الآتى الذى أورده المصنف هنا وعزاه إلى البخارى وقال انفرد بإخراجه البخارى دون مسلم من هذا الوجه .

ورواه أبو داود والترمذى ، وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به والله أعلم اه .

لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيهَا وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ فَيَكْذِبُ مَعَهَا مَائَةَ كَذْبَةٍ فَيُقَالُ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الَّتِي سَمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ » [1] .

---

(١) قوله فى الحديث إذا قضى أى إذا تكلم الله فى الأمر الذى يوحيه إلى أمين الوحى جبريل عليه السلام بما أراده كما صرح بذلك الحديث الذى بعد هذا وكما فى رواية حديث ابن مسعود الذى رواه أبو داود وسعيد ابن منصور وابن جرير (إذا تكلم الوحى سمع أهل السموات صلصلة كجر السلسلة على الصفوان) وروى ابن أبى حاتم وابن أبى مردويه عن ابن عباس (قال لما أوحى الجبار إلى محمد صلى الله عليه وسلم دعا الرسول من الملائكة ليبعثه بالوحى فسمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحى فلما كشف عن قلوبهم سألوه عما قال الله فقال الحق واعلموا أن الله لا يقول إلا حقا) وقوله (خضعانا) بضم فسكون من الخضوع . وفى رواية خضعا بضم الأول تشديد الثانى وهو مصدر بمعنى خاضعين ، والصفوان الحجر الأملس وقوله ينفذهم بفتح الياء وسكون النون وضم الفاء وبالذال المعجمة أى يمضى فيهم والإشارة بذلك إلى القول والضمير فى ينفذهم للملائكة أى يخلص ذلك القول ويمضى فيهم حتى يفزعوا منه . وعن ابن مردويه من حديث ابن عباس (فلا ينزل على أهل السماء إلا صعقوا) والمراد بمسترق السمع الشياطين أى هم يسمعون الكلمة التى قضاها الله يركب بعضهم بعضا وصف سفيان بن عيينة ركوب بعضهم فوق بعض بالتحريف والتبديد

وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمٰوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً أَوْ قَالَ رَعْدَةً شَدِيدَةً خَوْفاً مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا سَمِعَ ذٰلِكَ أَهْلُ السَّمٰوَاتِ صَعِقُوا وَخَرُّوا لِلهِ سُجَّداً فَيَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيل ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ قَالَ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرِ قَالَ فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ »(١) .

أى التفريق بين الأصابع والمعنى يسمع الفوقانى الكلمة فيلقيها إلى آخر تحته وهلم جرا إلى أن يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن . والشهاب هو شعلة نار يرمى بها مسترق السمع وفى الحديث دليل على إثبات علو الله تعالى على خلقه على ما يليق بعظيم جلاله وأنه تعالى يزل متكلما إذا شاء الكلام وكلامه مسمع يسمعه الملائكة وهذا قول أهل السنة قاطبة سلفاً على خلف وكابر عن كابر وأبا عن جد خلافا للجهمية ونفاة المعتزلة فإياك أن تلتفت إلى مازخرفه أهل التعطيل وروجه أهل الأباطيل والله أعلم . (١) رواه ابن أبى حاتم ومعنى أخذت رجفة أى ارتجفت وهو دليل على أنها تسمع كلامه تعالى وقوله أقال رعدة شك من الراوى والراء منها مفتوحة وذكر خوف الله ظاهر فى أن السموات تخاف الله بما يجعل الله فيها من الإحسان ومعرفة خالقها

فيه مسائل : الأولى تفسير الآية . الثانية ما فيها من الحجة على إبطال الشرك خصوصا ما تعلق على الصالحين وهى الآية التى قيل أنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب . الثالثة تفسير قوله قالوا الحق وهو العلى الكبير . الرابعة سبب سؤالهم عن ذلك . الخامسة أن جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله قال كذا وكذا . السادسة ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل السابعة أنه يقول لأهل السموات كلهم لأنهم يسألونه : الثامنة أن الغشى يعم أهل السموات كلهم . التاسعة ارتجاف السموات لكلام الله العاشرة أن جبريل هو الذى ينتهى بالوحى إلى حيث أمره الله . الحادية عشر ذكر استراق الشياطين. الثانية عشر صفة ركوب بعضهم بعضا الثالثة عشر سبب إرسال الشهب. الرابعة عشر أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها وتارة ويلقيها فى أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه الشهاب . الخامسة عشرة : كون الكاهن يصدق بعض الأحيان . السادسة عشرة كونه يكذب معها مائة كذبة . السابعة عشرة أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التى سمعت من السماء . الثامنة عشر قبول النفوس للباطل كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة التاسعة عشر كونهم يلقى بعضهم إلى بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها . العشرون إثبات الصفات خلافا للأشعرية المعطلة . الحادية والعشرون بأن فى تلك الرجفة والغشى خوف من الله عزوجل ، الثانية والعشرون أنهم يخرون لله سجدا .

﴿ بَابُ الشَّفَاعَةِ ﴾ (١)

وَقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا

---

(١) الشفاعة هى السؤال فى التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم ، يقال شفع شفاعة فهو شافع وشفيع والمشفع الذى يقبل الشفاعة

إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيع)[1] ، وَقَوْلِهِ (قُلْ لِلَّهِ

والمشفع الذى تقبل شفاعته ، قال العلامة ابن قيم : إن الشفاعة ستة أنواع : الأولى الشفاعة الكبرى التى يتأخر عنها أولوا العزم من الرسل عليهم السلام حتى تنتهى إليه صلى الله عليه وآله وسلم فيقول أنا لها وذلك حين تهرع الخلائق إلى الأنبياء ليشفعوا لهم إلى ربهم حتى يريحهم من مقامهم فى الموقف وهذه شفاعة يختص بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يشاركه فيها أحد . الثانى شفاعته لأهل الجنة فى دخولها وقد ذكرها أبو هريرة فى حديثه الطويل المتفق عليه . الثالث شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار فيشفع لهم أن لايدخلوها الرابع شفاعته فى العصاة من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم والأحاديث بها متواترة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنه قاطبة وبدعوا من أنكرها وحاطوا به من كل جانب ونادوا عليه بالضلال الخامس شفاعته لقوم من أهل الجنة فى زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم وهذا مما لم ينازع فيه أحد السادس شفاعته فى بعض الكفار من أهل النار حتى يخفف عذابه وهذه خاصة بأبى طالب وحده اهـ قال فى الدين الخالص قلت : لما كان المشركون فى قديم الزمان وحديثه إنما وقعوا فى الشرك وابتلوا به لتعلقهم بأذيال الشفاعة كان ذلك هضما لحق الربوبية ونقصا لعظمة الألوهية وسوء ظن برب العالمين ، والله أعلم .

(١) معنى الانذار الاعلام بأسباب المخافة والتحذير منها قال الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى ليس كل خلقه عاتب إنما عاتب الذين يعقلون وهم المؤمنون باليوم الآخر أصحاب القلوب المتعظمة والآذان الواعية .

الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً)[١] ، وَقَوْلِهِ (مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بِإِذْنِهِ) وَقَوْلِهِ (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فى السَّمٰوَاتِ لاَ تُغْنِى شَفَاعَتَهُمْ شَيْئًا إلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) ، وَقَوْلِهِ (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فى السَّمٰوَاتِ وَلاَ فى الْأَرْضِ) الآيتَيْن [٢] .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير هذا كقوله (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) وقوله (يومئذ لا تنفع الشفاعة) الخ فإذا كان هذا فى حق الملائكة المقربين فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأنداد عند الله وهو سبحانه لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها بل قدنهى عنها ألسنةجميع رسله وأنزل بالنهى عنها جميع كتبه .

(٢) قال العلامة ابن قيم فى الكلام على هذه الآية وماقبلها مما ذكرهنا: قد قطع الله الأسباب التى تعلق بها المشركين جميعا فالمشرك إنما يتخذمعبوده لما يحصل له من النفع والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع الملك : والشركة ، والاعانة والظهور والشفاعة فإن لم يكن مالكا كان شريكا للمالك فإن لم يكن شريكا له كان معينا وظهيرا فان لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفيعا عنده فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيا مرتبا متنقلا من الأعلى إلى الأدنى فنفى الملك والشركة فيه والمظاهرة والشفاعة التى يطلبها المشرك وأثبت شفاعة لا نصيب فيها للشرك وهى الشفاعة بإذنه سبحانه فكفى بهذه الآية نورا وبرهاناً وتجريداً للتوحيد وقطعا لأصول الشرك وموارده لمن عقلها والقرآن العظيم مملوء من أمثالها ونظائرها ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع منهم تحته وتضمنه له ونصه فى نوع وقوم قدخلوا من قبل ولم يقضوا وارثاً وهذا هو الذى يحول بين القلب وبين فهم القرآن ولعمر الله إن كان أولئك خلوا فقد ورثهم

قَالَ أَبُو الْعَبَّاس : نَفَى اللهُ عَمَّا سِوَاهُ كلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مِلْكٌ أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ أَوْ يَكُونَ عَوْناً لِلهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ الشَّفَاعَة فَبَيَّنَ أَنَّهَا لاَ تَنفَعُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ كَمَا قَالَ : (وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى) .

فَهٰذِهِ الشَّفَاعَة الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ هِيَ مَنْفِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا نَفَاهَا الْقُرْآنِ .

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ لاَ يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلاً ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ تُسْمَعْ ، وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ .

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ ؟ قَالَ : « مَنْ قَالَ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ فَتِلْكَ الشَّفَاعَةِ لِأَهْلِ الإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اللهِ وَلاَ تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ » وَحَقِيقَتُه أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الّذِى يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الإِخْلَاصِ فَيَغْفِرُ لَهُمْ

من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم أو فوقهم فى الضلالة والبدعة وتناول القرآن لهم كتناوله أولئك اه قال فى الشرح وهذا الذى ذكره هذا الإمام هو حقيقة دين اسلام كما قال سبحانه : (ومن أحسن دنيا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا) .

بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ لِيُكْرِمَهُ وَيَنَالَ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ فَالشَّفَاعَةُ الَّتِي نَفَاهَا الْقُرْآنُ مَا كَانَ فِيهَا شِرْكٌ ، وَلِهَذَا أَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ .

وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ ، وَالإِخْلَاصِ . انْتَهَى كَلَامُهُ .

فيه مسائل : الأولى تفسير الآيات . الثانية صفة الشفاعة المنفية . الثالثة صفة الشفاعة المثبتة الرابعة . ذكر الشفاعة الكبرى وهى المقام المحمود . الخامسة صفة ما يفعله ﷺ أنه لا يبدأ بالشفاعه بل يسجد فإذا أذن له شفع . السادس من أسعد الناس بها ، السابعة أنها لا تكون لمن أشرك بالله . الثامنة بيان حقيقتها

﴿ بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴾

(إِنكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ) (١) الآيَة

---

(١) تأتى الهداية بمعنى الدلالة بلطف على طريق النجاة والسعادة وتأتى بمعنى التوفيق والتأييد وهو خلق الهدى فى قلب الضال فمن الأول قوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم) أى دلنا عليه وأرشدنا إليه (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) ومن الثانى قوله تعالى : (إنك لتهدى ملة أحببت) أى لا تخلق التوفيق والتأييدفى قلب من أضله الله والهداية الأولى عامة والثانية خاصة بالله تعالى وسبب نزول هذه الآية موت أبى طالب على ملة عبد المطلب كما فى الحديث الآتى بعد . قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره يقول تعالى إنك يا محمد لا تهدى من أحببت أى ليس إليك ذلك إنما عليك البلاغ والله يهدى من يشاء وله

وَفِى الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِى أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ فَقَالَ لَهُ يَا عَمُّ : قُلْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ فَقَالاَ لَهُ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ ، فَكَانَ آخِرُ مَا قَالَ : هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ » فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ

الحكمة البالغة والحجة الدامغة كما قال تعالى (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء) وكانت وفاة أبى طالب بمكة قبل الهجرة بقليل وتوفيت خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها بعده بثمانية أيام ومن حكمة الله تعالى فى عدم هداية أبى طالب إلى الإسلام ليبين لعباده أن ذلك إليه وهو القادر عليه دون من سواه فلو كان عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو أفضل خلقه من هداية القلوب وتفريج الكروب ومغفرة الذنوب والنجاة من العذاب والخلاص من النار ونحو ذالك شىء لكان أحق الناس بذلك وأولاهم به عمه أبو طالب الذى كان يحوطه ويحميه وينصره ويؤويه فسبحان من بهرت حكمته العقول وأرشد العباد إلى ما يدلهم على معرفته وتوحيده وإخلاص العمل لله وتجريده فليتنبه من يدعى النسب وهو عن الشرع من المعرضين ، والله أعلم .

آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) وَأَنْزَلَ اللهُ فى أَبِى طَالِبٍ (إِنَّكَ لاَتَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ) .

فيه مسائل : الأولى تفسير قوله (إنك لاتهدى من أحببت) الآية . الثانية تفسير قوله : (ماكان للنبى) الآية الثالثة وهى المسألة الكبيرة تفسير قوله (قل لا إله إلا الله) بخلاف ما عليه من يدعى العلم [1] الرابعة أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبى صلى الله عليه وسلم إذ قال للرجل قل لاإله إلا الله فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام الخامسة جده صلى الله عليه وسلم ومبالغته فى إسلام عمه . السادسة الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه .

---

(١) لأن معنى قل لا إله إلا الله أى أخلص التوحيد لله وحده لاشريك له لأن أبا طالب كان يعلم بما دلت عليه من الشرك بالله وإخلاص العبادة له وحده فان من قالها بعلم ويقين فقد برىء من الشرك والمشركين ودخل فى الإسلام ولأنهم كانوا يعلمون مادلت عليه وفى ذلك الوقت لم يكن بمكة إلا الإسلام أو الكفر فلا يقولها إلا من ترك الشرك وبرىء منه ولقد جهل كثير من أدعياء العلم معنى لا إله إلا الله فيحكمون على كل من تلفظ بها بالإسلام ولو كان مجاهراً بالكفر والإلحاد والزندقة كاستحلال ترك الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك مما علم حرمته من الدين ضرورة ولاسيما فى هذا العصر الذى قل فيه الموحدون حقيقة وكثر فيه أهل البدع والإلحاد ويمرقون من الدين أفواجاأفواجا كما كانوايدخلون فيه أفواجا أفواجا فنسأل الله تأييد الطائفة الباقية المتمسكة بدينها الخالى من البدع والخرافات إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير .

السابعة كونه صلى الله عليه وسلم استغفر له فلم يغفر له ونهى عن ذلك . الثامنة مضرة أصحاب السوء على الإنسان . التاسعة مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر العاشرة استدلال الجاهلية بذلك . الحادية عشر الشاهد بكون الأعمال بالخواتيم لأنه لو قالها لنفعته : الثانية عشرة التأمل فى كبر هذه الشبهة فى قلوب الضالين لأن القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها مع مبالغته ﷺ وتكريره فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها .

﴿ بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الْغُلُوُّ فى الصَّالِحِينَ ﴾

وَقَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فى دِينِكُمْ) (١) .

---

(١) الغلو هو التجاوز فى الحد ومنه غلا الشعر يغلو غلاء نهى الله أهل الكتاب عن الغلو والاطراء وهذا كثير فى النصارى فإنهم تجاوزوا الحد فى عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التى أعطاها الله إياها الله فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه بل قد غلوا فى اتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم فى كل ماقالوه سواء كان حقا أو باطلا أو ضلالا أو رشدا وصحيحا أو كذبا ولهذا قال تعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)الآية والمراد بالآية النهى لهم عن الافراد تارة والتفريط أخرى فمن الافراط غلو النصارى فى عيسى عليه السلام حتى جعلوه ربا ومن التفريط غلو اليهود فيه عليه السلام حتى جعلوه لغير رشدة وما أحسن قول الشاعر :

ولاتغل فى شىء من الأمور واقتصد　　كلا طرفى قصد الأمور ذميم

وَفى الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فى قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (وَقَالُوا لاَ تَذَرُونَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُونَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً) .

« قَالَ هٰذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ الَّتِى كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَاباً وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا وَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولٰئِكَ وَنَسِيَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ »[1] .

---

(١) الحديث رواه البخارى فى صحيحه قال فى فتح البيان : قال محمد ابن كعب : هذه أسماء قوم صالحين كانوا بنى آدم ونوح فنشأ بعدهم قوم يقتدون بهم فى العبادة فقال لهم إبليس لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق إلى العبادة ففعلوا ثم نشأ قوم من بعدهم فقال لهم إبليس إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فاعبدوهم فابتداء عبادة الأوثان كان من ذلك الوقت وسميت هذه الصورة بهذه الأسماء لأنهم صوروها على صور أولئك القوم وقال الماوردى : فأما (ود) فهو أول صنم معبود سمى وداً لودهم له وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل فى قول ابن عباس وعطاء ومقاتل وفيه يقول شاعرهم :

حاك ودفانا لا يحل لنا . لهو النساء وإن الدين قد غربا

وأما سواع فكان لهذيل بساحل البحر . وأما يعوق فكان لغطيف

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ : قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ لَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ .

وَعَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ « لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُوله » أَخْرَجَاهُ [1] .

من مرار بالجرف من سبأ فى قول قتادة وقال المهدى : ثم لمراد ثم لغطفان وأما يغوث فكان لهمدان فى قول قتادة وعكرمة وعطاء . وقال الثعلبى : كان لكهلان بن سبأ ثم توارثوه حتى صار فى همدان وفيه يقول مالك ابن نمط الهمدانى :

يريش الله فى الدنيا ويبرى ولا يبرى يعوق ولا يريش

وأما نسر فكان بذى الكلاع من حمير فى قوله قتادة ومقاتل قال الواقدى كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة النسر الطائر . اه باختصار ، والله أعلم .

---

(١) قوله لاتطرونى بضم أوله وسكون ثانيه من الاطراء وهو المبالغة فى المدح والغلو فالمعنى لاتجاوزوا الحد فى مدحى بغير الواقع فيجركم ذلك إلى الكفر كما جر النصارى إليه لما تجاوز الحد فى مدح عيسى بغير الواقع واتخذوه إلها وحرفوا قوله فى الإنجيل عيسى نبي وأنا ولدته زعموا أن الأول بتقديم الباء الموحدة التحتية وخففوا لام الثانى ، وقد ادعى البعض نحو ذلك فى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم حيث قالوا ألا نسجد كذلك نهام فما يدعيه بعض فقراء الطرق الذين طمس الله بصائرهم وبصيرتهم ، فى كونه صلى الله عليه وآله وسلم يعلم

وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ » (١) ، وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ » (٢) قَالَهَا ثَلَاثًا .

فيه مسائل : الأولى إن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب . الثانية معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين . الثالثة أول شيء غير به دين الأنبياء وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم . الرابعة سبب قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها . الخامسة أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل

ما كان ويكون من علم الغيب وأنه يتصرف فى الدنيا بعد موته ويزور من شاء ويجوب مشارق الأرض ومغاربها ويحضر مجالسهم مجالس المكاء والتصدية غلط فاحش وجهل مركب منشؤه الغلو وعدم المعرفة وقوله إنما أنا عبد ملك لله يتصرف فى بما يشاء وكيف شاء فلا خروج لى عن دائرة العبودية بوجه كسائر العباد فلا تقولوا فى حق شيئا ينافى العبودية والرسالة والله أعلم .

(١) رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده والنسائى وابن ماجه والحاكم من حديث ابن عباس .

(٢) قال فى الشرح قال الخطابى المتنطع المتعمق فى الشىء المتكلف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم ومن التنطع الامتناع من المباح مطلقا كالذى يمتنع من أكل الخبز واللحم ولا يلبس الكتان والقطن ولا يلبس إلا الصوف ويمتنع عن نكاح النساء ويظن أنه من الزهد المستحب قال شيخ الاسلام تقى الدين أى ابن تيمية فهذا جاهل ضال اه وقال النووى فى شرح مسلم أى المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود فى أقوالهم والله أعلم .

فالأول محبة الصالحين والثانى فعل أناس من أهل العلم والدين أراد به خيراً فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره السادسة تفسير الآية التى فى سورة نوح . السابعة جبلة الآدمى فى كون الحق ينقص فى قلبه والباطل يزيد الثامنة فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر ، التاسعة معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل العاشرة معرفة القاعدة الكلية وهى النهى عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه الحادية عشرة مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح الثانية عشرة معرفة النهى عن التماثيل والحكمة فى إزالتها الثالثة عشرة معرفة عظم شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها الرابعة عشرة وهى أعجب وأعجب قراءتهم إياها فى كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات فاعتقدوا أن ما هو نهى (١) الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال . الخامسة عشرة التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة السادسة عشرة ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك السابعة عشرة البيان العظيم فى قوله (لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم) فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين الثامنة عشرة نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين التاسعة عشرة التصريح بأنها لم تعبد حتى نسى العلم ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده العشرون أن سبب فقد العلم موت العلماء (٢) .

---

(١) يعنى اعتقدوا أن النهى قاصر على ما كان كفرا مبيحا الدم والمال

(٢) ولا شك أن بموت العلماء العالمين بأحكام الشريعة الغراء يفقد العلم ويذهب ويبقى حثالة أدعياء ينسبون إلى العلم كذبا ومينا وهو منهم برىء .

﴿ بَابُ مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ ﴾

فى الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ فَقَالَ : « أُولٰئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ بَنُوا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِداً وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ ، أُولٰئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ » (١)

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى غير موضع من صحيحه ومسلم والنسائى وقوله « أم سلمة » هى أم المؤمنين رضى الله عنها واسمها هند على الأصح بنت أبى أمية المخزومية هاجر بها زوجها أبو سلمة إلى الحبشة فلما رجعا إلى المدينة مات زوجها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله « كنيسة » هى بفتح الكاف معبد النصارى وقوله « أولئك » بكسر الكاف وكذلك ما بعده والإشارة إلى البانين على قبور صالحيهم المساجد والخطاب لأم سلمة زوج النبى ﷺ وقوله « شرار الخلق » بكسر الشين جمع الشين كالخيار جمع الخير وإنما كانوا شرار الخلق لأنهم ضلوا الطريق المستقيم فأضلوا وسنوا لمن بعدهم الغلو فى صالحيهم حتى أفضى بهم إلى عبادتها .

وهذا عام فى كل من فعل فعلهم من هذه الأمة التى سبق عليها القول بأن بعض الأمة يتبع سنن من كان قبلها من المشركين فنسأل الله السلامة والنجاة من ذلك

فَهٰؤُلاَءِ جَمَعُوا بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ فِتْنَةِ الْقُبُورِ وَفِتْنَةِ التَّمَاثِيلِ .

وَلَهُمَا عَنْهَا قَالَتْ : لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَفِقَ يَطرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا فَقَالَ وَهُوَ كَذٰلِكَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ـ يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا وَلَوْلاَ ذٰلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يَتَّخِذَ مَسْجِدًا ـ أَخْرَجَاهُ (١) .

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ

---

(١) أخرجه أيضا النسائى فى سننه ؛ قوله (لما نزل) على صيغة المعلوم فى رواية أبى ذر وفاعله محذوف أى لما نزل الموت ؛ وفى رواية غيره بضم النون وكسر الزاى على صيغة المجهول ، وقوله (طفق) جواب لما أى جعل ، والخميصة كساء له أعلام ؛ وقوله (إذا غتم بها كشفها) أى إذا احتبس نفسه عن الخروج كشفها عن وجهه ؛ وقوله (فقال وهو كذلك) أى على تلك الحالة وهو حال الطرح والكشف . وقوله (ويحذر ما صنعوا الخ) هو كلام الراوى لا من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وإنما كان يحذرهم من ذلك الصنيع لئلا يفعل بقبره مثله ؛ ولعل الحكمة فى ذلك أنه يصير بالتدريج شبيها بعبادة الأصنام كما هو حاصل الآن فى هذا الزمان من مقالاتهم فى قبور صلحائهم والتمسح بها والطواف حولها وتقبيل جوانبها والسجود لها لا سيما بمصر بلاد الفراعنة فنسأل الله العصمة من ذلك .

قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ : إِنِّى أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِى مِنْكُمْ خَلِيلٌ فَإِنَّ اللهَ قَدِ اتَّخَذَنِى خَلِيلاً كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أُمَّتِى خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ فَإِنِّى أَنْهَاكُمْ عَنْ ذٰلِكَ [١] . فَقَدْ نَهَى عَنْهُ

(١) قال النووى فى شرح مسلم : معنى أبرأ أى امتنع من هذا أو أنكره والخليل هو المنقطع إليه . وقيل المختص بشىء دون غيره قيل هو مشتق من الخلة بفتح الخاء وهى الحاجة ، وقيل من الخلة بضم الخاء وهى تخلل المودة فى القلب فنهى صلى الله عليه وسلم أن تكون خاصة وانقطاعه إلى غير الله تعالى وقيل الخليل من لا يتسع القلب لغيره ، قال العلماء وإنما نهى النبى ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدا خوفا من المبالغة فى تعظيمه والافتتان به فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى زيارة مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وامتدت الزيارة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة رضى الله عنها مدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبى بكر . وعمر رضى الله عنهما بنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر فى المسجد فيصلى إليه العوام ويؤدى إلى المحذور ثم بنوا جدارين من ركنى القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن

فى آخِرِ حَيَاتِهِ ثُمَّ أَنَّهُ لَعَنَ وَهُوَ فى السِّيَاقِ مَنْ فَعَلَهُ وَالصَّلاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذٰلِكَ ، وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ أَخْشَى أَنْ يتَّخِذَ مَسْجِداً فإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا لِيَبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِداً ، وَكُلُّ مَوْضِعٍ قَصَدْتَ الصَّلاةَ فِيهِ فَقَدِ اتُّخِذَ مَسْجِداً ، بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّى فِيهِ يُسَمَّى مَسْجِداً كَمَا قَالَ ﷺ : « جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضَ مَسْجِداً وَطَهُوراً » .

وَلِأَحْمَدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرْفُوعاً : « إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ، وَهُمُ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ » وَرَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ فى صَحِيحِهِ .

فيه مسائل : الأولى ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجدا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح ولو صحت نية الفاعل . الثانية النهى عن التماثيل وغلظ الأمر فى ذلك . الثالثة العبرة فى مبالغته صلى الله عليه وسلم فى ذلك كيف بين لهم هذا أولا ثم قبل موته بخمس قال ما قال لما كان فى السياق لم

أحد من استقبال القبر ولذا قيل فى الحديث (ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً) اه ، وعلم أن الخلة أرخص من مطلق المحبة وهى لا تقبل الشركة والمزاحمة وهى كمال المحبة المستغرقة للحب كما قيل :

قد تخللت مسلك الروح منى ۝ وبذا سمى الخليل خليلا

يكشف بما تقدم ، الرابعة عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر ، الخامسة أنه من سنن اليهود والنصارى فى قبور أنبيائهم ؛ السادسة لعنة إياهم على ذلك السابعة أن مراده إيانا عن قبره ، الثامنة العلة فى عدم قبر برازه ، التاسعة فى معنى اتخاذه مسجدا ، العاشرة أنه قرن بين من اتخذها وبين من تقوم عليه الساعة فذكر (١) الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه على خاتمته ، الحادية عشرة ذكره فى خطبته قبل موته بخمس الرد على الطائفتين اللتين هما أشر . (٢) أهل البدع بل أخرجهم بعض أهل السلف من الثنتين والسبعين فرقة وهم الرافضة والجهمية وبسبب الرافضة وقع الشرك وعبادة القبور وهم أول من بنى عليها المساجد ، الثانية عشرة مابلى به ﷺ من شدة النزع ، الثالثة عشرة ما أكرم به من الخلة ، الرابعة عشرة به التصريح بأنها أعلى من المحبة ، الخامسة عشرة التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة السادسة عشرة الإشارة إلى خلافته .

---

(١) كذا فى النسخة الأولى والنسخة الثانية هكذا فذكر سد الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمة فى التركيب ركاكة ، والمعنى أن النبى ﷺ ما كان ذريعة الشرك قبل وقوعه ليحذره الناس عندخاتمة أمره أى موته صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) الصحيح فى ستعمال أفعل التفضيل من الشرك والخير شر وخير بدون همزة فكان الأحسن هنا حذفها موافقة للحديث هكذا قال بعضهم أقول جاء الوجهان فى الحديث إلا أن الحذف أكثر والله أعلم .

﴿ بَابُ مَا جَاءَ فِى أَنَّ الْغُلُوَّ فِى قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾

رَوَى مَالِكٌ فِى الْمُوَطَّإِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِى وَثَنًا يُعْبَدُ ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ »[1] .

---

(١) قد استجاب الله جل وعلا دعاء نبيه ﷺ قال العلامة شمس الدين ابن القيم : فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة جدران حتى غدت أرجاؤه بدعائه فى عزة وحماية وصيان ، والحديث يدل على أن قبر النبي ﷺ لو عبد لكان وثنا لكن حماه الله تعالى بما حال بينه وبين الناس فلا يوصل إليه وقد تقدم قريبا بيان ذلك نقلا من النووى فارجع إليه .

وقد عظمت الفتنة بالقبور بتعظيمها وعبادتها حتى اتخذت دينا ربى عليها الصغير وشاب عليها الكبير يرى تغييرها بدعة وفعلها سنة ويحقق قول عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه كيف أنكم إذا ألبستكم فتنة يهرم فيها الكبير وينشأ عليها الصغير تجرى على الناس يتخذونها سنة إذا غيرت قيل غيرت السنة ، وقوله « اشتد غضب الله الخ » يدل على تحريم البناء على المساجد وتحريم الصلاة عندها وإن ذلك من الكبائر وقد روى عن الإمام مالك إمام دار الهجرة أنه كره أن يقول زرت قبر النبي ﷺ وعلل ذلك بقوله ﷺ : اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد تحديث كره رضى الله عنه إضافة هذا اللفظ إلى القبر لئلا يقع التشبه بفعل أولئك سدا للذريعة ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ومالك قد أدرك التابعين وهم أعلم الناس بهذه المسألة فدل ذلك على أنه لم يكن معروفا عندهم ألفاظ زيارة قبر نبى ﷺ اهـ والله أعلم .

وَلِابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِى قَوْلِهِ : « أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى » قَالَ : كَانَ يَلِتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ فَمَاتَ فَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ (١) .

وَكَذَا قَالَ أَبُو الْجَوْزَاءِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ يَلِتُّ السَّوِيقَ لِلْحَاجِّ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ (٢) . رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ .

---

(١) قوله اللات والعزى تقدم الكلام عليهما فيما سبق ، والسويق الحنطة أو الشعير ولته بله بالسمن أو الماء . وقوله بعد أن كان يلت السويق للحاج أى للحجاج والمعنى أن اللات كان رجلا صالحا يطعم الحجاج السويق فلما مات غلوفيه لصلاحه فعكفوا على قبره حتى عبدوه وصار قبره وثنا من أوثان المشركين نسأل الله سلامة هذه الأمة ونجاتها مما تفعل بصالحيها من الغلو والعكوف على قبورهم وطلب ما يختص بالله تعالى من طلب نفع ودفع ضر لا سيما مايقع فى مصر والعلماء ساكتون وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(٢) اللعن الطرد والبعد عن رحمة الله تعالى ، وقوله (زائرات القبور) جمع زائرة وفى رواية (زوارات القبور) وهو يدل على تحريم زيارة النساء القبور وبه قال كثير من العلماء وفى الباب أحاديث كثيرة تدل على تحريم زيارة القبور للنساء منها ما روى أبو داود والحاكم عن ابن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى فاطمة ابنته فقال ما أخرجك من بيتك ؟ فقالت أتيت أهل هذا الميت فرحمت على ميتهم فقال لها فلعلك بلغت معهم الكدى ؟

فيه مسائل : الأولى تفسير الأوثان الثانية تفسير العبادة . الثالثة أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه الرابعة قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد الخامسة ذكر شدة الغضب من الله السابعة وهي من أمها صفة معرفة صفة عبادة اللات التي هي أكبر الأوثان : السابعة معرفة أنه قبر رجل صالح الثامنة اسم صاحب وذكر معنى التسمية . التاسعة لعنة زوار القبور العاشرة لعنة من أسرجها .

قالت معاذ الله وقد سمعتك تذكر فيها ماتذكر قال لو بلغت معهم الكدى - فذكر تشدا فى ذلك - فسألت ربيعة ما الكدى فقال القبور فيما أحسب . وفى رواية « لو بلغت معهم الكدى ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك قال الحاكم صحيح الإسناد على الشيخين ولم يخرجاه . وروى ابن ماجة عن على رضى الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ فإذا نسوى جلوس قال : « ما يجلسكن قالوا الجنازة ننتظرها قال هل تغسلن ؟ قلن لا ؟ قال هل تحملن ؟ قلن لا ، قال تدلين فيمن يدلى ؟ قلن لا ، قال فارجعن مأزورات غير مأجورات » ورواه أبو يعلى من حديث أنس وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن النساء لم يدخلن فى الإذن فى زيارة القبور لأن قوله عليه الصلاة والسلام :

« كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة » صيغة تذكير لا يتناول النساء إلا تغليبا ولو كن داخلات فى هذا الخطاب لاستحب لهن زيارة القبور وما علمنا أحداً من الأئمة استحب لهن زيارة القبور ولا كان النساء على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين يخرجن إلى زيارة القبور فإن النبي ﷺ قال الإذن للرجال كما فى بعض الروايات فى مسند أحمد بأن ذلك يذكر الموت وترقق القلب ويدمع العين ومعلوم أن المرأة إذا فتح

﴿ بَابُ مَا جَاءَ فِى حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ جَنَابَ التَّوْحِيدِ

وَسَدِّ كُلِّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ إِلَى الشِّرْكِ ﴾ (١)

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ

لها هذا الباب أخرجها إلى الجزع والندب والنياحة لما فيها من الضعف وقلة الصبر. قال الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب : قد كان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور نهيا عاما الرجال والنساء ثم أذن الرجال فى زيارتها واستمر النهى فى حق النساء اه .

أقول ويكون الإذن فى زيارة القبور مخصوصا بالرجال خص بهذا الحديث فيكون من العام المخصوص وقوله : « والمتخذين عليها المساجد ظاهرة أنهم كانوا يجعلونها مساجد يصلون فيها وقيل هو أعم من الصلاة عليها وفيها ، وقد أخرج مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها أو عليها » والسراج جمع سراج أى يوقدون عليها السراج كما يفعله أهل زماننا قال أبو محمد المقدسى لو أبيح اتخاذ السراج عليها لم يلعن من فعله لأن فيه تضييعا المال فى غير فائدة وإفراطا فى تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام ؛ قال العلامة شمس الدين ابن القيم اتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها من الكبائر اه والله أعلم .

(١) الجناب هو الجانب والمراد حمايته صلى الله عليه وآله وسلم عما يقرب منه أو يخالفه من الشرك وأسبابه .

عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) [1] الآيَة .

---

(١) قال القاضى عياض فى كتابه الشفا فى تعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم . أعلم الله تعالى المؤمنين أوالعرب أو أهل مكة أو جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجهة بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وأمانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وأنه لم تكن فى العرب قبيلة إلا ولها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولادة أو قرابة ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة وأثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشده وإسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضربهم فى دنياهم وأخراهم وعزته عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم اه المراد منه . وقال الحافظ ابن كثير فى تفسيره ، يقول الله تعالى ممتنا على المؤمنين بما أرسل إليهم رسولا من من أنفسهم أى من جنسهم وعلى لغتهم كما قال إبراهيم عليه السلام (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) : وقال تعالى : (لقد من الله على المؤمنين إذا بعث فيهم رسولا من أنفسهم) . وقال تعالى : (لقد جاءكم رسولا من أنفسكم) أى منكم وبلغتكم كما قال جعفر بن أبى طالب النجاشى والمغيرة ابن شعبة لرسول كسرى إن الله بعث فينا رسولا منا نعرف نسبه وصفته ومدخله ومخرجه وصدقه وأمانته الحديث ، وقوله تعالى : (عزيز عليه ما عنتم) أى يعز الشىء الذى يعنت أمته ويشق عليها وبهذا جاء فى الحديث المروى من طرق عنه أنه قال : (بعثت بالحنفية السمحة) وفى الصحيح « أن هذا الدين يسر وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه (حريص عليكم) أى على هدايتكم ووصول النفع الدنيوى والأخرى إليكم اه ببعض تصرف .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُوراً وَلاَ تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ [1] .

---

(١) قوله (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً) قال شيخ الإسـلام ابن تيمية . أي لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور فأمر بتحرى العبادة فى البيوت ونهى عن تحريها عند القبور عكس مايفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم من هذه الأمة . وفى الصحيحين عن ابن عمر مرفوعا (اجعلوا صلاتكم فى بيوتكم ولا تتخذوها قبورا) وفى صحيح مسلم عن ابن عمر أيضا مرفوعا (لا تجعلوا بيوتكم مقابر فإن الشيطان يفر من البيت الذى يسمع سورة البقرة تقرأ فيه) وقوله (ولا تجعلوا قبرى عيدا) قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان مأخوذ من المعاودة والاعتياد فإذا كان اسماً للمكان فهو المكان الذى يقصد فيه الاجتماع وانتيابه للعبادة وغيرها كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيدا للحنفاء ومثابة كما جعل أيام العيد فيها عيدا وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى كما عوض من أعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر ، وقوله : (وصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم) يشير بذلك إلى أن ما ينالنى منكم من الصلاة والسلام على يحصل مع قولكم وبعدكم فلا حاجة لكم إلى اتخاذه عيداً تنتابونه وترددون إليه لأجل ذلك والله أعلم .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ رَأَى رَجُلا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو فَنَهَاهُ وَقَالَ : أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي عَنْ جِدِّى عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : « لاَ تَتَّخِذُوا قَبْرِى عِيداً وَلاَ بُيُوتَكُمْ قُبُوراً فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ لَيَبْلُغُنِي أَيْنَمَا كُنْتُمْ » رَوَاهُ فِى الْمُخْتَارِ (١) .

فيه مسائل : الأولى تفسير آية براءة الثانية ابعاده أمته عن هذا الحى غاية البعد الثالثة ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته الرابعة نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص مع أن زيارته من أفضل الأعمال الخامسة نهيه عن الاكثار من الزيارة السادسة حثه على النافلة فى البيت السابعة أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى فى المقبرة الثامنة تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد فلا حاجة إلا ما يتوهمه من أراد القرب التاسعة كونه صلى الله عليه وسلم فى البرزخ تعرض عليه أعمال أمته فى الصلاة والسلام عليه .

---

(١) قوله « إلى فرجة » ـ بضم الفاء وسكون الراء ـ هى الكوة فى الجدار والخوخة ونحوهما وقوله فيدخل فيها فيدعو فيها ، يدل على منع قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها قال شيخ الإسلام رحمه الله ما علمت أحدا رخص فيه لأن ذلك نوع من اتخاذه عيداً وأيضا قصد القبر للسلام غير مشروع لذلك كره مالك لأهل المدينة فكلما دخل الإنسان المسجد أن يأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها وكان الصحابة والتابعون رضى

الله عنهم يأتون إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فيصلون فإذا قضوا الصلاة قعدوا أو خرجوا ولم يكونوا يأتون القبر للسلام لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه فى الصلاة أكمل وأفضل ، وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك أو للصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم بل نهاهم فى قوله « لا تتخذوا قبرى عيدا وصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى » فبين أن الصلاة تصل إلى من بعد وكذلك السلام ؛ ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد وكانت الحجرة فى زمانهم يدخل إليها من الباب إذا كانت عائشة رضى الله عنها فيها وبعد ذلك بنى الحائط الآخر وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون عليه لا للسلام ولا للصلاة ولا للدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم ولا لسؤال عن حديث أو علم ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاما أو سلاما فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم وبين لهم الأحاديث أنه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج كما طمع الشيطان فى غيرهم فأضلهم عن قبره وقد غيره حتى ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم وينهاهم ويفتيهم ويحدثهم فى الظاهر وأنه يخرج من القبر ويرونه خارجا من القبر ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت تكلمهم وأن روح الميت تجسدت لهم فرآهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج والمقصود أن الصحابة رضى الله عنهم لم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره كما يفعله من بعدهم من الخوف وإنما كان يأتى من الخراج فيسلم عليه إذا قدم من سفر كما كان ابن عمر يفعله قال عبيد الله بن عمر عن نافع كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه ثم ينصرف قال عبد الله ما نعلم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك إلا ابن عمر اه من فتح المجيد ببعض تصرف ،

﴿ بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هٰذِهِ الأُمَّة يَعْبُدُ الأَوْثَانِ ﴾ [١]

وَقَوْلِهِ تَعَالَى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ) [٢] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكَ

وقوله فى المختار : هو اسم كتاب فى الحديث جمع فيه مؤلفه ـ الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله المقدسى الحافظ ضياء الدين أحد الأعلام ـ الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين . قال الإمام الذهبى فى ترجمته : أفنى عمره فى هذا الشأن مع الدين المتين والورع والفضيلة التامة والإتقان فالله يرحمه ويرضى عنه والله أعلم .

(١) أوثان جمع وثن يطلق على كل ما قصد بنوع من أنواع العبادة من دون الله صورة كان أو غير صورة قال صاحب النهاية : وقد يطلق الوثن على غير الصورة ومنه حديث عدى بن حاتم قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم وفى عنقى طيب من ذهب فقال لى ألق هـذا الوثن فلذلك أطلقه بعضهم على القبور والمشاهد وغيرها واستدل بقول الخليل عليه السلام : (إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا) مع قوله : (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) وقوله (أتعبدون ما تنحتون) والله أعلم .

(٢) أما الجبت فيطلق على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك قال الجوهرى فى الصحاح : والطاغوت والشيطان فى صورة إنسان يتحاكمون إليه وهو صاحب أمرهم . وقال الإمام مالك : هو كل ما يعبدون من دون الله عز وجل وبقية الآية وهو قوله تعالى : (ويقولون للذين كفروا هؤلاء

مَثُوبَةً عِنْـــدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ)[1] ، وَقَوْلِهِ : (قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى

أهدى من الذين آمنوا سبيلا) قال الحافظ بن كثير فى تفسيره : أى يفضلون الكفار على المسلمين بجهلهم وقلة دينهم وكفرهم بكتاب الله الذى بأيديهم وقد روى ابن أبى حاتم بسنده إلى عكرمة قال جاء يحي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة فقالوا لهم أنتم أهل الكتاب وأهل العلم فأخبرونا عنا وعن محمد فقالوا ما أنتم ومحمد؟ نحن نصل الأرحام وننحر الكوماء ونسقى الماء على اللبن ونفك العانى ونسقى الحجيج ومحمد صنبور قطع أرحامنا واتبعه سراق الحجيج من غفار فنحن خيراً أم هو ؟ فقالوا (أنتم خير وأهدى سبيلا) فأنزل الله تعالى (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا) الآية .

(١) قال الحافظ ابن كثير أى هل أخبركم بشر من ذلك مثوبة عندالله أى هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا وهم أنتم الذين تتصفون بهذه الصفات المفسرة بقوله من لعنه أى أبعده من رحمته وغضب عليه أى غضبا لا يرضى بعده أبدا وجعل منهم القردة والخنازير (وعن ابن مسعود قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القردة والخنازير أهى مما مسخ الله فقال إن الله يهلك قوما أو قال لم يمسخ قوما فيجعل لهم نسلا ولا عقبا وأن القردة والخنازير كانت قبل ذلك رواه مسلم وهذه الآية جواب لقولهم لم نر أهل دين أقل حظا فى الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم والقردة أصحاب السبت والخنازير كفار مائدة عيسى . وقد روى عن ابن عباس أن الذين مسخوا كلاهما من أصحاب السبت فشبابهم مسخوا قردة

أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً)[٢] .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ

ومشايخهم مسخوا خنازير وقوله وعبد الطاغوت أى وجعل منهم من عبد الطاغوت أى أطاع الشيطان فيما سول له وقدور فيه قراءات كثيرة يرجع معناها إلى أنكم يا أهل الكتاب الطاعنين فى ديننا الذى هو توحيد الله تعالى وأفراده بالعبادة دون ما سواه كيف يصدر منكم هذا وأنتم قد وجد منكم جميع ما ذكر ولهذا قال فى آخر الآية (أولئك شر مكانا) أى مما تظنون بنا (وأضل عن سواء السبيل) وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل ليس فى الطرف الآخر مشاركة كقوله عز وجل (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا) والله أعلم .

(١) قوله (الذين غلبوا على أمرهم) الذى قال ذلك أصحاب الكلمة والنفوذ زمن أصحاب الكهف أى قالوا نتخذ على أصحاب الكهف مسجداً ليعرفوا فقصدهم الناس يتبركوا فيهم كما يفعل غالب جهال المسلمين الآن وبعض خواصهم وهذا على جهة الذم لهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم (لعن اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد يحذر ما فعلوا) وقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه لما وجد قبر دانيال فى مانه ز بالعراق أمر أن يخفى عن الناس وأن تدفن تلك الرقعة التى وجدوها عنده فيها شىء من الملاحم وغيرها والله أعلم .

لَدَخَلْتُمُوهُ » قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ «فَمَنْ»[١] أَخْرَجَاهُ .

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَأَنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا ، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ وَإِنِّي سَأَلْتُ

---

(١) (قوله لتتبعن سنن) بفتح السين المهملة أى طريق من كان قبلكم وقوله (حذو القذة بالقذة) ينصب حذو على المصدر والقذة بضم القاف واحدة القذاذ وهو ريش السهم القذة الأخرى فوقع كما أخبر صلى الله عليه وسلم وهو علم فى ذلك كما تشبه قذة السهم أى لتتبع طريقهم فى كل ما فعلوه وتشبهوهم من أعلام النبوة وقوله (حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) وفى حديث آخر (حتى لو كان فيهم من يأتى أمه علانية لكان من أمتى من يفعل ذلك) أراد صلى الله عليه وسلم أن أمته لا تدع شيئا مما كان يفعله اليهود والنصارى إلا فعلته كله لا تترك منه شيئا ولهذا قال ابن عيينة . من فسد من علمائنا ففيه شبه اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى وقوله (قال فمن) استفهام تقرير أى فمن هم غير أولئك ولا يخفى على العاقل أنه لو تتبع أفعال الناس الذين يدعون مسلمين الآن لرأى غالبهم ليسوا على كل شيء من صفات المسلمين لا فى المأكل والمشرب والملبس ولا فى العبادات بل عباداتهم مشوبة بأشياء من أعمال المجوس والمشركين وعوائدهم تشبه عوائد اليهود والنصارى ولا واعظ ولا زاجر يمنعهم من ذلك ويحذرهم عاقبته نسأل الله صلاح الأمة وصلاح قادتها من أمراء وعلماء وأئمة وإلا فعلى الإسلام والمسلمين السلام .

رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَـدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَإِنَّ رَبِّي قَالَ يَا مُحَمَّـدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا »[1] ، وَرَوَاهُ الْبَرْقَانِي فِي صَحِيحِهِ ، وَزَادَ

---

(١) قوله «زوى لى الأرض» أى جمع يقال زويت الشيء جمعته وقبضته يريد تقريب البعيد منها حتى اطلع عليه اطلاعه على التقريب بأن طويت له الأرض وجعلت مجموعة كهيئة كف فى مرآة ينظره بأبصر ماتملكه أمته من أقصى مشارق الأرض ومغاربها ، وقوله « وإن أمتى ستبلغ ملكها ما زوى لى » قال القرطبى هذا الخبر وجد مخبره كما صلى الله عليه وآله وسلم وكان ذلك من دلائل نبوته وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن يبلغ أقصى طنجة الذى هو منتهى عمارة المغرب إلى أقصى المشرق مما وراء خراسان والنهر وكثير من بلاد السند والهند والصين ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال ولذلك لم يذكر عليه السلام أنه أريه ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه : قوله « وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض » .

قال القرطبى : يعنى به كنز كسرى وهو ملك الفرس وكنز قيصر وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما وقدقال صلى الله عليه وسلم (والذى نفسى بيده لتنفض كنوزهما فى سبيل الله) وعبر بالأحمر على كنز قيصر لأن الغالب عندهم

كان الذهب وبالأبيض عن كنز كسرى لأن الغالب عنده كان الجوهر والفضة ووجد ذلك فى خلافة عمر فإنه سيق إليه تاج كسرى وحيلته وما كان فى بيوت أمواله وجميع ما حوته مملكته على سعتها وعظمتها وكذلك فعل الله بقيصر وقوله (وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة بعامة) هكذا ثبت فى أصل المصنف رحمه الله بعامة بالباء كما قاله صاحب فتح المجيد وهى رواية صحيحة فى صحيح مسلم وفى بعضها بحذفها قال القرطبى وكأنها زيادة لأن عامة صفة السنة والسنة الجدب الذى يكون به الهلاك العام ويسمى الجدب والقحط سنة ويجمع على سنين كما قال تعالى (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) أى الجدب المتوالى وقوله (من سوى أنفسهم) أى من غيرهم من الكفار من هلاك بعضهم بعضا يسبى بعضهم بعضا وقد حصل ذلك ومن أراد تفاصيل ما وقع فعليه بكتب التاريخ لأن هنا ليس محل ذكره أسأل الله السلامة والتوفيق وقوله (فيستبيح بيضتهم) .

قال الجوهرى: بيضة كل شىء حوزته وبيضة القوم ساحتهم وعلى هذا فيكون معنى الحديث أن الله لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ما حازوه فى البلاد والأرض ولو اجتمع عليهم من بأقطار الارض وهى جوانبها . وقوله (حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضا) الظاهر أن حتى عاطفة أو تكون لانتهاء الغاية أى أن أمر الأئمة ينتهى إلى أن يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضا وقد سلط الله بعضهم على بعض كما هو حاصل وواقع الآن لكثرة اختلافهم وتفرقهم وحبهم المناصب والرياسة وجمعهم المال وعدم الرجوع إلى الأمر البين من الدين نسأل الله السلامة وقوله (وإن ربى قال يا محمد إذا قضيت قضاءاً فانه لا يرد) يعنى إذا حكمت حكما مبرما نافذا فانه لا يرد بشىء ولا يقدر أحد على رده كما قال صلى الله

« وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ مِنَ الْمُضِلِّينَ وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَتَانٌ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ وَأَنَّهُ سَيَكُونَ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى » (١) .

عليه وآله وسلم (ولا راد لما قضيت) والله أعلم .

والبرقانى هو الإمام الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن غالب الخوارزمى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وتوفى سنة خمس وعشرين وأربعمائة قال الخطيب كان ثبتا ورعا لم نر فى شيوخنا أثبت منه عارفا بالفقه كثير التصانيف صنف مسندا ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان وجمع حديث النورى وحديث شعبة وطائفة وهذا الحديث رواه أبو داود بتمامه بسنده إلى أبى قلابة .

(١) قوله (وإنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين) أراد والله أعلم الأمراء والعلماء والعباد فيحكمون فيهم بغير علم فيضلوهم كما قال تعالى :

(وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) وكان يقول بعض هؤلاء يقول لأصحابه من كان له حاجة فليأت إلى قبرى فانى أقضيها له ولا خير فى رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب ونحو هذا وهذا هو الضلال البعيد يدعو أصحابه إلى أن يعبدوه من دون الله ويسألوه مالا يقدر عليه من قضاء حاجتهم وتفريج كرباتهم وقد قال تعالى (يدعو من

. . . .

دون الله مالا يضره ومالا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره أكبر من نفعه) الآية قال فى فتح المجيد : ومن هذا الضرب من يدعى أنه يصل مع الله إلى حال تسقط عنه التكاليف ويدعى أن الأولياء يدعون ويستغاث بهم فى حياتهم ومماتهم وأنهم ينفعون ويضرون ويدبرون الأمور فى سبيل الكرامة وأنه يطلع على اللوح المحفوظ ويعلم أسرار الناس وما فى ضمائرهم ويجوز بناء المساجد على قبور الأنبياء والصالحين وإيقادها بالسراج ونحو ذلك من الغلو والافراط والعبادة لغير الله اﻫ ، وقوله (وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة) وقد وقع ذلك فان السيف لما وقع بقتل عثمان رضى الله عنه وأرضاه لم يرفع وكذلك يكون إلى يوم القيامة لكن قد يكثر تارة ويقل أخرى ويكون فى جهة ويرتفع عن أخرى وقوله « ولا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالمشركين » الحى واحد الأحياء وهى القبائل وفى رواية أبى داواد (حتى يلحق قبائل من أمتى بالمشركين والمعنى أنهم يكونون معهم ويرتدون برغبتهم من أهل الإسلام ولحوقهم بأهل الشرك وقوله : « حتى تعبد فئتان » الخ الفئتان هو الجماعات الكثيرة قاله صاحب النهاية وسيفسره المصنف بعد وفى رواية أبى داود (حتى تعبد قبائل من أمتى الأوثان) .

وقد تقدم لك فيما سبق أن الوثن يطلق على كل ما يتخذ قربة من دون الله ولقد غلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم حتى صار المعروف منكرا والمنكر معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة وطمست الأعلام واشتدت غرابة الإسلام وقل العلماء وغلب السفهاء وتفاقم الأمر واشتد البأس وظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ولكن لاتزال طائفة من الأمة المحمدية قائمة بالحق لا يضرها من خالفها حتى يأتى أمر الله ، والله أعلم .

فيه مسائل . الأولى تفسير آية النساء . الثانية تفسير آية المائدة (١) الثالثة تفسير آية الكهف الرابعة ومن أهمها معنى الإيمان بالجبت والطاغوت فى هذا الموضع هل هو اعتقاد قلب أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها الخامسة قولهم إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهـــدى سبيلا من المؤمنين السادسة وهى المقصود بالترجمة أن هذا لابد أن يوجد فى هذه الأمة كما تقرر فى حديث أبى سعيد السابعة التصريح بوقوعها أعنى عبادة الأوثان فى هذه الأمة فى جموع كثيرة الثامنة العجب العجاب خروج من يدعى النبوة مثل المختار (٢) مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه أنه من هذه الأمة وأن الرسول حق وأن القرآن حق وفيه أن محمدا خاتم النبيين ومع هذا يصدق فى هـــذا كله مع التضاد الواضح وقد خرج المختار فى آخر عصر الصحابة وتبعه كثير التاسعة البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى لا بل تزال عليه طائفة العاشرة الآية العظمى أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خالفهم إلى شرط الساعة الحادية عشرة أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة الثانية عشرة ما فيهن من الآيات العظيمة منها إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال وإخباره بأنه أعطى الكنز وإخباره بإجابة دعوته لأمته فى الاثنين وإخباره بأنه منع الثالثة وإخباره بوقوع السيف وأنه لا يرفع إذا وقـــع وإخباره بظهور المتنبئين فى هذه الأمة وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة وكل هذا وقع كما أخبر مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون فى العقول . الثالثة عشر حصرة الخوف على أمته من الأئمة المضلين . الرابعة عشر التنبيه على معنى عبادة الأوثان .

---

(١) آية النساء هى قوله تعالى (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) وآية المائدة وهو قوله تعالى (قل هل أنبئكم) الخ .

(٢) هو ابن أبى عبـــد الثقفى خرج وغلب على الكوفة فى أول خلافة ابن الزبير وأظهر محبة أهـــل البيت ودعا الناس إلى طلب قتلة الحسين فتبعهم

﴿ بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ ﴾ (١)

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ

فقتل كثير آمن باشر ذلك وأعان عليه فأحبه الناس ثم ادعى النبوة وزعم أن جبريل عليه السلام يأتيه ، وقد ادعى النبوة غيره أيضا من الرجال والنساء. وممن أدعى ذلك زمن الرسول عليه الصلاة والسلام مسيلمة الكذاب فانه ادعى النبوة باليمامة والأسود العنسى باليمن وفى زمن خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، طليحة بن خويلد فى بنى خزيمة وسجاح فى بنى تميم وقتله الأسود قبل أن يتوفى النبى صلى الله عليه وسلم ومسيلمة فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه قتله وحشى قاتل حمزة يوم أحد وشاركه فى قتله مسيلمة يوم اليمامة رجل من الأنصار وتاب طليحة ومات على الإسلام فى زمن عمر رضى الله عنه ، ونقل أن سجاج تاب أيضا . وممن ادعى النبوة أيضا الحرث الكذاب خرج فى خلافة عبد الملك بن مروان فقتل وخرج فى خلافة بنى العباس جماعة أيضا وقد أهلك الله تعالى من وقع له منهم ذلك . والله أعلم .

(١) السحر فى اللغة عبارة عما خفى ولطف سببه كما قاله ابن كثير ولهذا جاء فى الحديث إن من البيان لسحراً وسمى السحر سحراً لأنه يقع خفيا آخر الليل قال أبو محمد المقدسى فى الكافى السحر عزائم ورقى وعقد تؤثر فى القلوب والأبدان فيعرض ويفرق بين المرء وزوجه . قال الله تعالى (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) وقال سبحانه :(ومن شر النفاثات فى العقد) يعنى السواحر اللاتى يعقدن فى سحرهن وتنفثن فى عقدهن ولو لا أن للسحر حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه وقد روى البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : إن النبى .

مِنْ خَلَاقٍ)[1] ، وَقَوْلُه : (يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ) .

صلى الله عليه وسلم سحر حتى إنه ليخيل إليه أن يفعل الشيء وما يفعله أنه قال لها ذات يوم أتانى ملكان فجلس أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال ما وجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الأعصم فى مشط ومشاطة فى جف طلعة ذكرى فى بئر ذروان وقد نقلنا أقوال علماء الإسلام فى سحر النبى صلى الله عليه وآله وسلم قديما وحديثاً فى تعليقنا على كتاب تجريد التوحيد المفيد للعلامة المقريزى وحققنا أنه قال لا يمتنع السحر بالنبى صلى الله عليه وسلم لأنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ليخيل إليه فكان غاية هذا فيه صلى الله عليه وسلم إنما فى جسده وظاهر جوارحه لا فى عقله وقلبه فهو مرض من الأمراض وإصابته بالسم لا فرق بينهما فلا يقدح فى مقام النبوة والله أعلم .

(١) قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره أى ولقد علم اليهود الذين استبدلوا بالسحر عن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لمن فعل فعلهم ذلك أنه ماله فى الآخرة من خلاق قال ابن عباس . ومجاهد . والسدى : من نصيب

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ماله فى الآخرة من جهة عند الله وقال عبد الرزاق وقال الحسن ليس : له دين . وقال سعد عن قتادة فى الآخرة من خلاق قال ولقد علم أهل الكتاب فيما عهد الله إليهم أن الساحر لا خلاق له فى الآخرة اهـ وقد نقل عن ابن هبيرة من كتابه الأشراف على مذاهب الأشراف أقوال العلماء فى حقيقة السحر وحكم الساحر وتعلم السحر فقال أجمعوا على أن السحر له حقيقة إلا أبا حنيفة فانه قال لا حقيقة له عنده اختلفوا فيمن يتعلم السحر ويستعمله فقالوا وأبو حنيفة ومالك

قَالَ عُمَرُ : « الْجِبْتُ السِّحْرُ وَالطَّاغُوتُ مِنَ الشَّيْطَانُ » (١) .

وأحمد : يكفر بذلك ومن أصحاب أبي حنيفة من قال إن تعلمه ليتقيه أو ليجتنبه فلا يكفر ومن تعلمه معتقداجوازه أو أنه ينفعه كفر وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر . وقال الشافعي رحمه الله : إذا تعلم السحر قلنا له صف لنا سحرك فان وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر وإن كان لا يوجب الكفر فان اعتقد إباحته فهو كافر قال ابن هبيرة : وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله فقال مالك وأحمد وقال الشافعي وأبو حنيفة لا فاما أن قتل بسحره إنسانا فانه يقتل عند مالك والشافعي . وأحمد ، وقال أبو حنيفة : لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك أو يقر في حق شخص معين وإذا قيل فانه يقتل حداً عندهم إلا الشافعي فانه قال يقتل والحالة هذه قصاصا وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته ؟ فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد في المشهور عنهم :

لا تقبل وقال الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى: تقبل وأما ساحر أهل الكتاب فعند أبي حنيفة إنه يقتل الساحر المسلم وقال مالك وأحمد والشافعي لا يقتل يعني لقصة لبيد بن الأعصم واختلفوا في المسلمة الساحرة فعند أبي حنيفة أنها لا تقتل ولكن تحبس ؛ وقال الثلاثة حكمها حكم الرجل والله أعلم (فائدة) أنفع ما يستعمل لإذهاب الشيطان ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم المعوذتان وفي الحديث « لم يتعوذ بمثلهما » وكذلك قراءة آية الكرسي فانها مطردة للشيطان .

(١) قد تقدم الكلام على الجبت والطاغوت صفحة ٥٩ فارجع إليه.

وَقَالَ جَابِر : « الطَّوَاغِيتُ كُهَّانٌ كَانَ يَنزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٍ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ . قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : الشِّرْكُ بِاللهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ »[1] .

---

(١) هذا الحديث ذكره المصنف هكذا بدون عزو إلى كتاب وهو في الصحيحين ، رواه أيضا أبو داود والنسائي وهناك شرح ألفاظه ، قوله (اجتنبوا أي ابعدوا من الاجتناب وهو أبلغ من ابعدوا واحذروا ونحو ذلك نحو قوله تعالى : (ولا تقربوا الزنا) لأن النهي عن القربان أبلغ من النهي عن المباشرة وأما قوله تعالى (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) وقوله «الموبقات» بموحدة وقاف المهلكات جمع موبقة وسميت كذلك لأنها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليه من العقوبات وفي الآخرة من العذاب وقوله : (الشرك بالله) أي أحدها الشرك بالله والشرك جعل أحد شريكا لآخر ، والمراد هنا اتخاذ إله غير الله وقوله : (والسحر) أي الثاني السحر وهو في اللغة صرف الشيء عن وجهه وقد تقدم الكلام عليه مستوفى عليه قريبا وقوله : (وقتل النفس) أي الثالث من فعل الموبقات قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق بأن تفعل ما يوجب قتلها كالشرك . والنفس بالنفس والزاني بعد الاحصان والحرمة نفس المسلم

المعصوم . والمعاهد كما ورد فى الحديث (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنـــة) واختلاف العلماء فيمن قتل مؤمنا متعمداً هل له توبة أم لا ؟ فذهب ابن عباس . وأبو هريرة . وغيرهما إلى أنه لا توبة له استدلالا بقوله تعالى : (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها) قال ابن عباس نزلت هذه الآية وهى آخر ما نزل وما نسخها شىء ، وفى رواية لقد نزلت فى آخر ما نزل ما نسخها شىء حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نزل وحى ، ويشهد له ما رواه النسائى وأحمد عن معاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كل ذنب عسى أن يغفره الله إلا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا) وذهب جمهور الأئمة خلفا عن سلف إلى أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله تعالى فان تاب وأناب وعمل صالحا بدل الله سيئاته حسنات كما قال تعالى (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما) ؛ وقوله (وأكل الربا) أى الرابع أكل الربا وهو فضل مال بلا عوض وهو يشمل جميع أنواعه قال تعالى (الذين يأكلون الربى لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) الآيات . قال العلامة ابن دقيق العيد وهو مجرب لسوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك . وقد تكلمنا على ما يتعلق بالربا وأحكامه ومذاهب علماء السلف فى تفاصيل وتحقيق الحق من ذلك فى تعليقنا على أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد بما يكفى ويشفى فارجع إليه ، وقوله (وأكل مال اليتيم) أى الخامس أكل مال اليتيم ـ وهو المنفرد فى اللغة وهو من مات

وَعَنْ جُنْدَبٍ مَرفُوعاً : « حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ » (١) رَوَاهُ بَجَالَةَ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ الصَّحِيحُ إِنَّهُ مَوْقُوفٌ .

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ بَجَالَةَ بْنِ عَبْدَةَ قَالَ : كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ . قَالَ فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ (٢) .

أبوه قبل أن يبلغ ، وفى البهائم من ماتت أمه والمراد التعدى فيه وعبر بالأكل لأنه أعم وجوه الانتفاع كما قال تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) الآية وقوله (والتولى يوم الزحف) أى السادس الفرار والادبار عن الكفار وقت التحام القتال ويكون كبيرة إذا فر إلى غير فئة أو غير متحرف لقتال كما قيد به فى الآية ، وقوله (قذف المحصنات الغافلات) أى السابع قذف المحصنات القذف فى الأصل - رمى البعير استعير الشتم والعيب والبهتان المحصنات جمع محصنه - بفتح الصاد - اسم مفعول أى التى أحصنها الله تعالى وحفظها من الزنا وبكسر الصاد إسم فاعل - أى التى حفظت فرجها من الزنا والمراد بهن الحرائر العفيفات والمراد رميهن بزنا أو لواط ، وقوله (المؤمنات) احترز به عن الكافرات فان قذفهن ليس من الكبائر وإن كانت ذمية فقذفها من الصغائر لا يوجب الحد وفى قذف الأمة المسلمة التعزير دون الحد والله أعلم .

(١) قوله ضربة روى بالهاء وبالتاء وكلاهما صحيح وقد تقدم أقوال العلماء فى حكمه عن أبى هبيرة آنفا فراجعه .

(٢) هذا الأثر رواه البخارى فى صحيحه كما قال المصنف رحمه الله

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا فَقُتِلَتْ [1] .

وَكَذٰلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدَبٍ قَالَ أَحْمَدُ عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ [2] .

فيه مسائل الأولى تفسير آية البقرة * الثانية تفسير آية النساء * الثالثة تفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما * الرابعة أن الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الإنس * الخامسة معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهى السادسة أن الساحر يكفر * السابعة أنه يقتل ولا يستتاب * الثامنة وجود هذا فى المسلمين على عهد عمر فكيف بعده .

تعالى لكن لم يذكر قتل السواحر وظاهر الحديث أنه يقتل عن غير استتابة وهو كذلك على المشهور عن أحمد ، وبه قال مالك لأن علم السحر لا يزول بالتوبة ، وعن أحمد يستتاب فان تاب قبلت توبته ، وبه قال الشافعى لأن ذنبه لا يزيد عن الشرك والمشرك يستتاب وتقبل توبته ولذلك صح إيمان سحرة فرعون وتوبتهم والله أعلم .

(١) هذا الأثر رواه مالك فى الموطأ فى باب ما جاء فى الغيلة والسحر وقال بعد ذكره الساحر الذى يعمل السحر ولم يعمل ذلك له غيره هو . مثل الذى قال الله تبارك وتعالى فى كتابه (وقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق) فأرى أن يقتل ذلك إذ عمل هو ذلك نفسه اهـ وحفصة رضى الله عنها هى أم المؤمنين بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خنيس بن حذافة ماتت سنة خمس وأربعين والله أعلم .

(٢) وهم عمر وحفصة وجندب .

﴿ بَابُ بَيَانُ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ ﴾ (1)

قَالَ أَمْجَدُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جعفرٍ حَدَّثَنَا عَوْفُ عَنْ حَيَّانَ بْنِ الْعَلاَءِ حَدَّثَنَا قَطَن بْنِ قَبِيصَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ « إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الْجِبْتِ » (2). قَالَ عَوْفٌ : الْعِيَافَةَ زَجْرُ الطَّيْرِ

---

(1) فللسحر أنواع كثيرة أعظمها الأحوال الشيطانية التي غرب كثيرا من العوام والجهال فاغتر بها كثير من الناس وظنوا أنها تدل على ولاية من جرت على يده ويعدونها كرامة . وللامام ابن تيمية كتاب سماه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فانه حق فيه صفات كل منهما واستدل لذلك بآيات قرآنية وأحاديث نبوية نطالعه فإنه ينفعك إن شاء الله تعالى .

(2) العيافة ـ بكسر العين ـ هي زجر الطير والتفاؤل والاعتبار في ذلك بأسمائها كما يتفاءل بالعقاب على العقاب وبالغراب على الغربة وبالهدهد على الهدى والفرق بينهما وبين الطيرة هي التشاؤم بها وقد يستعمل التشاؤم بغير الطير من حيوان وغيره كذا في المراقاة على المشكاة وقال ابن الأثير العيافة زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها ـ وهو من عادة العرب كثيرا ـ وهو كثير في أشعارهم يقال عاف تعيف عيفا إذا زجر وحدس وظن وبنو أسد يذكرون بالعيافة ويوصفون بها قيل عنهم أن قوما من الجن تذاكروا عيافتهم فأتوهم فقالوا ضلت لنا ناقة فلو أرسلتم معنا من يعيف فقالوا لغليم منهم انطلق معهم فاستردفه أحدهم ثم ساروا فلقيهم عقاب كاسرة إحدى جناحيها فاقشعر الغلام وبكى فقالوا مالك ! فقال كسرت

وَالطَّرْقُ الخَطُّ يَخُطُّ بِالأَرْضِ ، وَالجِبْتُ قَالَ الحَسَنُ : رَنَّةُ الشَّيْطَانِ.

جناحا ورفعت جناحا وحلفت بالله صراحا ما أنت بانسى ولا تبغى لقاحا اه .

وعوف هذا ـ هو ابن أبى جميلة البصرى المعروف بعوف الاعرابى ـ توفى سنة ست أو سبع وأربعين وله ست وثمانون سنةوالطرق ـ بفتح الطاء وسكون الراء ـ هو ما فسره به عوف وقال ابن الاثير الطرق الضرب بالحصى الذى يفعله النساء وقيل هو الخط فى الرمل اه واقتصر العلامة الزمخشرى فى الفائق على الأول ونقل ابن الاثير تفسير الخط عن ابن عباس قال ابن عباس الخط هو الذى يخطه الحازى وهو علم قد تركه الناس يأتى صاحب الحاجة إلى الحازى فيعطيه حلوانا فيقول له اقعد حتى أخط لك وبين يدى الحازى غلام له معه إلى ميل ثم يأتى أرض رخوه فيخط فيها خطوطا كثيرة بالعجلة لئلا يلحقها العدد ثم يرجع فيمحوا منها على مهل خطين خطين وغلامه يقول للتفاؤل ابن عيان أسرع البيان ـ فان بقى خطان فهما علامة النجح وإن خط واحد فهو علامه الخيبة اه أقول وهو مايسمى فى زماننا بخط الرمل وهومعروف شائع فى هذا العصر يتعيش به كثير من الدجالين وأصحاب الحيل المتكهنين يوهمون الرعاع الجهلة أنهم يطلعون على المغيبات وهو فى الحقيقة خداع ومكر وحيل ما أنزل الله به من سلطان نسأل الله السلامة من ذلك .

والطيرة سيأتى الكلام عليها فى بابها إن شاء الله تعالى والجبت تقدم الكلام عليه . وقوله قال الحسن رنة الشيطان جاء فى تفسير تقى بن مخلد أن إبليس رن أربع رنات . رنة حين لعن . ورنة حين أهبط . ورنة حين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورنة حين نزلت فاتحة الكتاب . وقد روى ابن أبى حاتم بسنده عن سعيد بن جبير قال . لما لعن الله تعالى إبليس . تغيرت

إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ . وَلِأَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ الْمُسْنَدِ مِنْهُ (١) . وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ (٢) ، وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ

صورته عن صورة الملائكة ورن رنة فكل رنه منها فى الدنيا إلى يوم القيامة والرنة الصوت والله أعلم .

(١) لم يذكر التفسير الذى فسره بهعون : ورواه أبوداود بالتفسير المذكور فى سننه بدون كلام الحسن تنبه .

(٢) قال الحافظ المنذرى وأخرجه ابن ماجه ورواه أيضا الامام أحمد فى مسنده ، وقوله (من اقتبس) أى أخذ وحصل وتعلم . وقول علماء من النجوم أى من علومها أو مسألة من علمها . وقوله : (شعبة) أى طائفة وقطعة من علم النجوم ومنه الحديث (الحياء شعبة من الايمان) أى جزء منه وقوله (فقد اقتبس شعبة من السحر) أى المحرم ، تعلمه وقوله : (زادا مازاد) أى كلما زاد من تعلم علم النجوم زاد فى الاثم الحاصل بزيادة الاقتباس من شعبة هذا إذا كان اللفظ من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون من كلام الراوى ويكون معناه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . زاد فى التقبيح ما زاد إلا أنه احتمال بعيد . قال الخطابى علم النجوم المنهى عنه هو ما يدل عليه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التى لم تقع بمجىء الأمطار وتغير الأشعار وأما ما يعلم به من أوقات الصلاة وجهة القبلة فغير داخل فيما نهى عنه اهـ

أَبِي هُرَيرَةَ : « مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ »[1] .

وفى شرح السنة ـ المنهى عنه من علوم النجوم ـ مايدعيه أهلها من معرفة الحوادث التى لم تقع وربما تقع فى مستقبل الزمان مثل أخبارهم بوقت هبوب الرياح ومجىء ماء المطر ووقوع الثلج وظهور الحر والبرد وتغير الأسعار ونحوها ويزعمون أنهم يستدركون معرفتها بسير الكواكب واجتماعها وافتراقها وهذا علم استأثر الله به لا يعلمه أحد غيره كما قال الله تعالى (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث) فأما ما يدرك بطريق المشاهدة من علم النجوم الذى يعرف به الزوال وجهة القبلة فانه غير داخل فيما نهى عنه قال الله تعالى وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) وقال تعالى (وبالنجم هم يهتدون) فأخبر الله تعالى أن النجوم طرق لمعرفة الأوقات والمسالك ولولاها لم يهتد الناس فى استقبال الكعبة . وقد روى عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال تعلموا من النجوم ماتعرفون به القبلة والطريق ثم أمسكوا والله أعلم .

(١) الحديث رواه النسائى عن أبى هريرة مرفوعا ورواه أيضا ابن مردويه ؛ وقوله « عقد عقدة ثم نفث فيها » العقدة جمعها عقد وهى ما تعده الساحرة ويقال لها عزيمة أيضا كما قاله الراغب ، وبيان ذلك أن السحرة إذا أرادوا السحر عقدوا الخيوط ونفثوا على كل عقدة حتى ينعقد ما يريدون من السحر . والنفث هو النفخ مع الريق وهو دون التفل قال العلامة ابن القيم فى كتابه بدائع الفوائد فى تفسير المعوذتين فصل الشر

الثالث شر النفاثات فى العقد وهذا الشر هو شر السحر فان النفاثات فى العقد من السواحر اللاتى يعقدن الخيوط وينفثن على كل عقدة حتى ينعقد مايريدون من السحر والنفث هو النفخ مع ريق وهو دون التفل وهو مرتبة بينهما والنفث فعل الساحر فاذا تكيف بالخبث والشر الذى يريده بالمسحور ويستعين عليه بالأروح الخبيثة نفث فى تلك العقد نفخا معه ريق فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج للشر والأذى مقترن بالريق الممازج لذلك وقد تساعد هو والروح الشيطانية على أذاء المسحور فيقع فيه السحر بإذن الله الكونى القدرى لا الأمر الشرعى اه .

وحمل النفاثات فى الآية على من يسعى بالغيبة والنميمة بعد ، وقد ثبت فى الصحيح عن أبى سعيد الخدرى (أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال يامحمد اشتكيت ، فقال نعم فقال بسم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك) وقوله (ومن سحر فقد أشرك) ويدل على أن الساحر مشرك وقد حكى الحافظ عن بعض العلماء أن السحر لا يأتى إلامع الشرك وقوله (ومن تعلق شيئاوكل إليه) أى من تعلق قلبه شيئا حيث يعتمد عليه ويرجوه وكله الله إلى ذلك الشىء فمن تعلق قلبه بربه وخالقه ومولاه وسيده كفاه ووقاه وحفظه من كل شىء يضره ويؤذيه وتولاه تعالى بنفسه وهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير قال الله تعالى (أليس الله بكاف عبده) ومن تعلق قلبه بشىء من المخلوقين وكله الله تبارك وتعالى إلى من تعلق به ولا يشك أحد من العبادفى أن من وكل إلى غيرالله هلك وخسر وضل ضلالا بعيدا فليتنبه أهل عصرنا الذين يدعون الإسلام وينتسبون إليه إلى ذلك ولا يعرجون إلى المقابر والأضرحة ويهرولون إليها إذا أصيبوا بشىء من بلايا الدنيا وليلوذوا بجناب الله تعالى وليلجأوا إليه تعالى دون ما سواه

وَعنِ ابنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « أَلاَ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْةُ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةَ بَيْنَ النَّاسِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١) .

---

(١) قوله (ألا أنبئكم بالعضة) ألا أداة تنبيه وأنبئكم أخبركم والعضة قال النووى فى شرح مسلم هذه اللفظة رووها على وجهين : أحدهما العضة ـ بكسر العين وفتح الضاد المعجمة ـ على وزن العدة والزنة والثانى العضة ـ بفتح العين وإسكان الضاد ـ وزن الوجه وهذا الثانى هو الأشهر فى روايات بلادنا يعنى دمشق والأشهر فى كتب الحديث وكتب عربية والأول أشهر فى كتب اللغة وتقدير الحديث والله أعلم ألا أنبئكم بالعضة الفاحش الغليظ التحريم اهـ قال العلامة الزمخشرى أصلها العضة فعلة من العضة وهو من البهت فحذفت لامه كما حذفت من السنة والشفة وأطلق على النميمة عضة لأنها تنفعك عن الكذب والبهتان غالبا ولذا قال ابن عبد البر عن يحى ابن أبى كثير يفسد النمام والكذب فى ساعة مالا يفسده السحر فى سنة وقد عدها بعض العلماء من السحر ووجهه أنه يقصد الأذى بكلامه وعمله على وجه المكر والحيلة فأشبه السحر وحكم النميمة التحريم إجماعا قال ابن حزم اتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة فى غير النصيحة الواجبة اهـ وهى من الكبائر ، وللامام الشوكانى رسالة سماها رفع الريبة فيما يجوز وما لايجوز من الغيبة وقد طبعتها ضمن مجموعة الرسائل المنيرية حقق فيها المسألة فارجع إليه فانها تنفعك إن شاء الله تعالى وقوله (القالة بين الناس) كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس كما قاله صاحب النهاية ، لايخفى على العاقل اللبيب فساد النميمة وشدة ضررها فانها تجعل الصاحب المخلص عدوا لدودا

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً »[1].

فيه مسائل : الأولى أن العافية والطرق والطيرة من الجبت . الثانية تفسير العافية والطرق . الثالثة أن علم النجوم من نوع السحر . الرابعة العقد مع النفث من ذلك . الخامسة أن النميمة من ذلك السادسة أن من ذلك بعض الفصاحة .

والقريب بعيدا والمحب مبغضا لاسيما إذا كانت بين العائلات والأقارب والجيران فان الضرر يزداد الفساد يعظم فليتق الله النمام فى نفسه وفى أخيه وقومه وعشيرته وليخف الله فى يوم لا ينفع فيه مال ولا قوة إلا من أتى الله مخلصا له ولدينه ونبيه وإخوانه المسلمين المؤمنين بقلب سليم .

(١) الحديث أخرجه أيضا أبو داود والترمذى وقد أورد البخارى سبب قول النبي ﷺ ذلك فى كتاب الطب ولفظه (أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا وإن بعض البيان لسحرا قال النسيابورى صاحب مجمع الأمثال قاله ابن بدر وقيس بن عاصم فسأل عليه الصلاة والسلام عمرو بن الاهتم عن الزبرقان ؟ فقال عمرو مطاع فى أدنيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان يارسول الله إنه ليعلم منى أكثر من هذا ولكنه حسدنى فقال عمرو أما والله أنه لزمر المروءة ضيق العطن أحمق الوالد لئيم الخال والله يارسول الله ماكذبت فى الأولى ولقد صدقت فى الآخرى ولكنى رجل رضيت

. . . .

فقلت أحسن ما علمت وسخطت أقبح ما وجدت فقال عليه الصلاة والسلام (إن من البيان لسحرا) يعني أن بعض البيان يعمل السحر .

ومعنى السحر إظهار الباطل في صورة الحق . والبيان اجتماع الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب مع اللســــان ، وإنما شبه بالسحر لحدة عمله في سامعه وسرعة قبول القلب له قال المنذري وقد اختلفت العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم وإن من البيان لسحراً فقيل أورده مورد الذم لتشبيهه بعمل السحر لغلبة القلوب وتزيينه القبيح وتقبيحه الحسن وإليه أشار الإمام مالك رضي الله عنه فانه ذكر هـذا الحديث في الموطأ في باب ما يكره من الكلام قيل إن معناه أن صاحبه يكسب به من الاثم ما يكسبه الساحر بعمله وقيل أورده مورد المديح أي أنه تمال به القلوب ويرضى به الساخط ويذل به الصعب ويشهد له أن من الشعر لحكمة ا هـ ، وقال أبو عبيد البكرى الأندلسي في شرح كتاب الأمثال للحافظ أبي عبيد القاسم بن سلام ، الناس يتلقون هـذا الحديث على أنه في مدح البيان وأدرجوا في كتبهم هـذا التأويل وتلقاه العلماء على غير ذلك وبوب مالك في الموطأ عليه باب ما يكره من الكلام لحمله على الذم وهذا هو الصحيح في تأويله لأن الله تعالى قد سمى السحر فساداً في قوله تعالى : (ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين) ا هـ أقول وهـذا ظاهر صنيع أبي داود لأنه قال بعد ماأورده كأن المعنى أن يبلغ من بيانه أي يمدح الإنسان فتصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله ثم يذمه فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله الآخر فكأنه سحر السامعين بذلك ا هـ ولا شك أن البيان ينقسم إلى نوعين نوع يجعل الحق في قالب الباطل والباطل في قالب الحق فيستميل صاحبه قلوب الجهال حتى يقبلوا الباطل ويشكروا الحق وهـذا مذموم لا شك فيه ونوع يوضح الحق ويقرره ويبطل

﴿ بَابُ مَا جَاءَ فِى الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ ﴾ (١)

رَوَى مُسْلِمٌ فِى صَحِيحِهِ عَنْ بعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عنِ النَّبِيِّ ﷺ

الباطل وبينه وهذا لا ريب فى مدحه جاءت الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه وأتباعهم من بعدهم والله أعلم .

(١) أى هذا باب فيما جاء فى حكم الكهان من الأحاديث الكاهن قال فى اللسان الذى يتعاطى الخبر عن الكائنات فى مستقبل الزمان ويدعى معرفة الأسرار وقد كان فى العرب كهنة كشق وسطيح وغيرهما فنهم من كان يزعم أن له تابعا من الجن يلقى إليه الأخبار ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات وأسباب يستدل بها على مواقع من كلام من يسأل له أو فعله أو حاله وهذا يخصونه باسم العراف كالذى يدعى معرفة الشىء المسروق ومكان الضالة ونحوهما .

قال الأزهرى وكانت الكهانة فى العرب قبل بعث النبى صلى الله عليه وسلم فلما بعث نبينا وحرست السماء بالشهب ومنعت الجن والشياطين من استراق السمع وإلقائه إلى الكهنة بطل علم الكهانة وأزهق الله أباطيل الكهان بالفرقان الذى فرق الله عز وجل بين الحق والباطل وأطلع الله سبحانه نبيه ﷺ بالوحى على ما شاء من علم الغيوب التى عجز الكهنة عن الاحاطة فلا كهانه اليوم بحمد الله ومنه واغنائه بالتنزيل عنها اه وقد يقع فى هذه الازمان وقبلها ما يخبر به الجن من مواليهم من الانس عن الأشياء الغائبة بما يقع فى الأرض من الأخبار فيظنه الجاهلون وضعفة العقول كشفا وكرامة ، قال فى فتح المجيد وقد اغتر بذلك كثير من الناس يظنون المخبر لهم بذلك عن الجن وليا لله وهو من أولياء الشيطان كما قال تعالى (ويوم نحشرهم جميعا

قَالَ : « مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ يَوْماً »⁽¹⁾ .

يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الآية والله أعلم .

(١) العراف هو الذى يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعى معرفتها بها وهو من جملة أنواع الكهان وسيأتى بعد فى كلام المصنف قال الخطابى وغيره العراف هو الذى يتعاطى معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ونحوهما وظاهر الحديث أن الوعيد يترتب على مجيئه وسؤاله سواء صدقه أو شك فى خبره وقوله (لم تقبل له صلاة) قال النووى فى شرح مسلم معناه أنه لاثواب له فيها كذا قال جمهور أصحابنا ولا بد من هذا التأويل فى الحديث فان العلماء متفقون على أنه لايلزم من العراف إعادة صلوات أربعين ليلة اه المقصود منه ، ولا يخفى عليك أن هذا فى حق السائل فما يكون حكم المسئول من الوعيد والزجر ويوجد من هؤلاء طائفة دجالون منتشرون فى الأسواق يلبسون على ضعفاء العقول وجهلة المسلمين يوهمونهم أن لهم إطلاعا على المغيبات ويسلبون الناس أموالهم ظلما ولازاجر ولا رادع عن ذلك وكان الواجب على العلماء والأمراء أن يأخذوا على أيدى هؤلاء الدجالين ويمنعونهم من البلاد والأسواق لتستريح منهم البلاد والعباد .

قال القرطبى : يجب على من قدر على ذلك من محتسب وغيره أن يقيم من يتعاطى شيئا من ذلك من الأسواق وينكر عليهم أشد التنكير وعلى من يجىء إليهم ولا يغتر بصدقهم فى بعض الأمور ولا بكثرة من يجىء

وَعنْ أَبِي هُرَيرَةَ عنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَتَى كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فقَدْ كَفرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَللْأَرْبَعَةِ وَالْحَاكِمِ وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا عنْ أَبِي هُرَيرَةَ : « مَنْ أَتَى عَرَّافاً أَوْ كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فقَدْ كَفرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ » (١) .

وَلِأَبِي يَعْلَى بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ مَوْقُوفاً وَعنْ عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ مَرفُوعاً : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ لَهُ أَوْ تَكَهَّنَ

إليهم ممن ينتسب إلى العلم فاهم غير راسخين فى العلم بل من الجهال بما فى إتيانهم من المحذور والله أعلم .

(١) هكذا بيض لاسم الراوى المصنف ولعل المؤلف نقله من كتاب الزواجر لابن حجر لأنه عزا الحديث إلى الأربعة ولم يذكر راوى الحديث فذكره المصنف هكذا وبيض له الأجل أن يراجع عن رواى الحديث ويكتبه فاخترمته المنية فبقى بياضا وقد راجعت عليه فى كتاب المستدرك للحاكم فرأيته رواه عن أبى هريرة ورواه الإمام أحمد والحاكم والبيهقى عن أبى هريرة مرفوعا وحديث أبى داود مختصر هنا وأصله فى سننه هكذا عن أبى هريرة (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أتى كاهنا فصدقه بما يقول أو أتى امرأة فى دبرها فقد برىء بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم) والحديث المتكلم فيه وعلى فرض صحته فهو محمول على استحلال ذلك ليجمع بينه وبين حديث أول الباب والله أعلم .

أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ وَمنْ أَتَى كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ » رَواهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ [١] .

وَرواهُ الطَّبَرَانِيُّ فى الْأَوْسط بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ ابنِ عبَّاسٍ دُونَ قَوْلِهِ (وَمنْ أَتَى) إِلَى آخِرِهِ .

قَالَ الْبَغَوِيُّ : الْعَرَّافُ الَّذِى يَدَّعِى معْرِفَةَ الْأُمُورَ بِمُقَدِّماتٍ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى الْمَسْرُوقِ وَمَكَانَ الضَّالَّةِ وَنحْوِ ذٰلِكَ ، وقِيلَ هُوَ الْكَاهِنُ ، والْكَاهِنُ هُوَ الَّذِى يُخْبِرُ عنِ الْمَغَيَّبَاتِ فى الْمُسْتَقْبَلِ ، وقِيلَ الَّذِى يُخْبِرُ عَمَّا فى الضَّمِير .

وقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بنُ تَيْمِيَةَ الْعَرَّافِ : اسْمٌ لِلْكَاهِنِ والْمُنَجِّمِ والرَّمَّالِ ونحْوِهِمْ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فى مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ بِهٰذِهِ الطُّرُقِ .

---

(١) قال الحافظ ابن حجر فى تلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير . روى أنه صلى الله عليه وسلم قال (ليس منا من سحر أو سحر له أو تكهن أو تكهن له) الطبرانى من حديث الحسن عن ابن حصين وأبو نعيم من حديث على ابن أبى طالب . والطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس وفى الأول استحق بن ربيع ضعفه الفلاس والراوى عنه أيضا . وفى حديث ابن عباس زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام وهما ضعيفان اه .

وقَالَ ابنُ عبَّاسٍ فِى قَوْمٍ يكْتُبُونَ أَبَا جَادْ [١] وينْظُرُونَ فى النُّجُومِ مَا أَرَى مِنْ مَالُه فى الآخِرَةِ فَعَلَ ذٰلِكَ لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلَاقٍ .

فيه مسائل : الأولى ألا يجتمع تصديق الكاهن من الايمان بالقرآن الثانية التصريح بأنه كفر . الثالثة ذكر من تكهن له الرابعة ذكر من تطير له الخامسة ذكر من سحر له السادسة ذكر من تعلم أبا جاد السابعة ذكر الفرق بين الكاهن والعراف .

﴿ بَابُ مَا جَاءَ فِى النُّشْرَة ﴾ [٢]

عنْ جَابِرٍ أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عنِ النُّشْرَةِ فقَالَ : « هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ » رَواهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ وأَبُو دَاوُدَ وقَالَ سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا فقَالَ ابنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هٰذَا كلهُ ، وفِى الْبُخَارِىِّ عنْ قِتَادَةَ

---

(١) هو حساب الجمل فيقطعون حروف أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت فيجعلون الألف واحد والباء اثنين والجيم ثلاثة والدال أربعة والهاء خمسة إلى نهاية الحرف العاشر ثم يبدءون بالكاف من كلمن ويجعلونها عشرة واللام عشرين وهكذا إلى أن أتم حروف هذه الكلمات .

(٢) قال ابن الأثير فى النهاية : النشرة - بالضم ضرب من الرقية والعلاج يعالج من كان يظن أنه به مسامن من سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء أى يكشف ويزال ، وقال الحسن النشرة من السحر وقد نشرت عنه تنشيراً اه .

قُلْتُ لِابْنِ الْمُسَيَّبِ رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ [١] أَوْ يُؤْخَذُ عَنِ امْرَأَتِهِ أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنَشَّرَ قَالَ لاَ بَأْسَ بِهِ إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الْإِصْلاَحَ فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ انْتَهَى .

وَرَوَى عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ : لاَ يَحِلُّ السِّحْرَ إِلاَّ سَاحِرٌ .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ : النُّشْرَةُ حَلُّ السِّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ ، وَهِيَ نَوْعَانِ : حَلٌّ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ، وَهُوَ الَّذِى مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، وَعَلَيْهِ

---

(١) قوله (طب) هو بكسر الطاء ـ السحر يقال طب الرجل بالضم إذا سحر قال فى النهاية : كنوا بالطب عن السحر تفاؤلا بالبرء كما كنوا بالسليم عن اللديغ ا هـ وقوله : (ويؤخذه) بفتح الواو مهموز وتشديد الخاء المعجمة بعدها ذال معجمة أى يحبس عن امرأته ولا يصل جماعها ، والأخذ بضم الهمزة الكلام الذى يقوله الساحر ، وقوله (أيحـــل) بضم الياء وفتح الحاء مبنى للمفعول وقوله (أو ينشر) بتشديد المعجمة وقوله (لا بأس به) أى الفعل يعنى أن النشرة لا بأس بها لأنهم يريدون بها الاصلاح أى إزالة السحر ولم ينه عما يراد به الاصلاح وقد تقدم الكلام على الرقية الجائزة بما فيه الكفاية فارجع إليه ، ومما يدل على صفة النشرة الجائزة ما رواه ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ليث بن أبى سليم قال بلغنى أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تقرأ فى إناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور الآية التى فى سورة يونس (فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله) إلى قوله (إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) والله أعلم .

يُحْمَلُ قَوْلُ الحَسَنِ فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالْمُنْتَشِرُ إِلَى الشَّيْطَانِ بِمَا يُحِبُّ فَيَبْطُلُ عَمَلَهُ عَنِ الْمَسْحُورِ . وَالثَّانِي النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ ، وَالْأَدْوِيَةِ وَالدَّعَوَاتِ الْمُبَاحَةِ فَهَذَا جَائِزٌ .

فيه مسائل : الأولى النهى عن النشرة ، الثانية الفرق بين المنهى عنه والمرخص فيه مما يزل الأشكال .

﴿ بَاب مَا جَاءَ فِى التَّطَيُّرِ ﴾ (١)

---

(١) هذا باب فى بيان ماجاء فى التطير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الناهية عن التطير والزاجرة عن الطيرة . قال العلامة مجد الدين بن الجزرى فى النهاية : الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن هى التشاؤم بالشىء وهو مصدر تطير يقال وتخير خيره ولم يجىء من المصادر هكذا غيرهما وأصله فيما يقال التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير فى جلب نفع أو دفع ضر اه قال ابن القيم فى كتابه مفتاح دار السعادة ومن ذلك هؤلاء أصحاب الطير السانح والبارح والعقيد والنطيح وأصل هذا أنهم كانوا يزجرون الطير والوحش ويثيرونها فما تيامن منها وأخذ ذات اليمين سموه سانحا وما تياسر منها سموه بارحاً وما استقبلهم منها فهو الناطح وما جاءهم من خلفهم سموه العقيدة فمن العرب من يتشاءم بالبارح ويتبرك بالسانح ومنهم من يرى خلاف ذلك . قال المدائنى : سألت روية بن العجاج ما السانح ؟ قال ماولاك ميامنه قال . قلت فما البارح ؟ قال : ماولاك مياسره والذى يجىء من قدامك فهو الناطح والنطيح والذى يجىء من خلفك

. . . .

فهو القاعد والعقيد يقول اه ، أقول وهى خواطر وحدوس وتخمينات لاأصل لها فن يترك بشيء مدحه ومن تشاءم به ذمه ولم تكن العرب قاطبة تعتقدها هذا وتقول به فقد ثبت بعضهم إنكار ذلك فنهم الرقشى حيث يقول :

ولقد غدوت وكنت لا ... أغدو على واق وحاتم
فإذا الاشائم كالايا ... من والأ يا من كالأشائم
وكذاك لاخير ولا ... شر على أحد بدائم
لايمنعك من بغاء ... الخير تعاقد التمائم
قد خط ذلك فى السطور ... الاليات القدائم

ويعنى بالواق الصرد وبالحاتم الغراب سموه حاتما لأنه كان عندهم يحتم بالفراق وقال الكميت :

وما أنا ممن يزجر الطير همه ... أطار غراب أم تعرض ثعلب
ولاالسانحات البارحات عيشة ... أمر سليم القرن أم أمر عضب

ومما كان أهل الجاهلية يتطيرون به ويتشاءمون منه العطاس كما يتشاءمون بالبوارح والسوانح ، قال رؤبة بن العجاج يصف فلاه :

قطعتها ولم أهب عطاسا ... وقال امرؤ القيس :

وقد اغتدى قبل العطاس بهيكل ... شديد مشيد الجنب فعم المنطق

أراد أنه كان يتنبه للصيد قبل أن يتنبه الناس من نومهم لئلا يسمع عطاسا فيتشاءم بعطاس وكانوا إذا عطس من يحبونه قالوا عمراً أو شبابا وإذا عطس من يبغضونه قالوا له ريا قحابا . والورى كالرى داء يصيب الكبد فيفسدها والقحاب كالسعال وزنا ومعنى ! وكان تشاؤمهم بالعطسة الشديد أشد .

وقد شفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمته فى الطيرة حين سئل عنها فقال ذاك شيء يجده أحدكم فلا يصدنه وهو الصحيح ، وفى خبر آخر إذا تطيرت فلا ترجع ، قال العلامة شمس الدين بن القيم : واعلم أن

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)[1] .

التطير إنما يضر من أشفق منه وخاف وأما من لم يبال به يعبأ به شيئا لم يفده البتة ولاسيما إن قال عند رؤية مايتطير به أوسماعه اللهم لاطير إلا طيرك ولاخير إلا خيرك ولا إله غيرك اللهم لايأتى بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت ولا حول ولاقوة إلابك فالطيرة باب من الشرك وإلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته يكبر ويعظم شأنها على من أتبعها نفسه واشتغل بها وأكثر العناية وتذهب وتضمحل عمن لم يلتفت إليها ولا ألقى إليها باله ولا شغل بها نفسه وفكره واعلم أن من كان معتنيا بها قائلا بها كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة فى اللفظ والمعنى ما يفسده عليه دينه وينكد عليه عيشه فإذا سمع سفر جلال أو أهدى إليه تطير به وقال سفر وجلاء وإذا رأى ياسمينا أوسمع اسمه تطير به وقال ياس ومعين وإذا رأى وسوسته أوسمعها قال سنوء يبقى سنة وإذا خرج من داره فاستقبله أعور أو أشل أو أعمى أو صاحب آفة تطير به أو تشاءم بيومه اهـ . فكن أيها الفاعل حريصا على اتباع دينك متأسيا برسولك حافظ على سير سلفك غيرملتفت إلى عادة الجاهلية ولاموافق إلى الفرق والضلالية واعتقد أن التطير ليس له تأثير ينفع ولايضر .

ونسأل الله تعالى أن يوفقنى وإياك إلى هدى الرسول صلى الله عليه وسلم فى العقيدة والقول فى الحركات والكتاب والله أعلم .

(١) قوله (ألا) أداة تنبيه وهو رد لمقالتهم الباطلة وهى قولهم إذا جاءتهم قالوا حسنة لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وفسرت

وَقَوْلِهِ : (قَالُوا طَائِرُكُمْ) (١) الآيَة .

الحسنة بالخطب والرخاء والسيئة بالجدب والمرض والحاصل أن آل فرعون إذا أصابتهم الحسنة أى الخطب والسعة والعافية قالوا لنا هذه أى نحن الجديرون والحقيقيون به ونحن أهله وإن تصبهم سيئة أى بلاء وقحط تطيروا بموسى ومن معه فيقولون هذا بسبب موسى وأصحابه أصابنا بشؤمهم فقال الله تعالى : (ألا إنما طائرهم عند الله) أى ليس شؤمهم إلا عند الله أى من قبله وحكمه كما قال ابن عباس ، وقال الزجاج : المعنى ليس الشؤم الذى واعدوا به من العقاب عنده لا ما ينالهم فى الدنيا ، وقوله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى بسبب جهلهم ولو فهموا وعقلوا أن موسى عليه السلام ما جاء إلا بالخير والبركة والفلاح لمن آمن به وصدق برسالته واتبعه فسعادة الناس باتباعهم أنبياءهم وشقاوتهم بمنابذة ما جاءوا به وهذا حال كل نبى مع أمته وكذلك حال الرعاء الجهال مع علمائهم العاملين نسأل الله التوفيق والهداية لأقوم طريق ، والله أعلم .

(١) هذا رد عن كذب الرسل فأصيبوا بالبلاء ولما ضاقت عليهم الحيل وعييت بهم العلل ادعوا أن سبب البلاء جاء من قبل الرسل وبسببهم وهذا ديدن الجهلة حيث يتمنون بكل مايوافق شهواتهم وإن كان مستجلبا لكل شر ويتشاءمون بما لايوافقهم وإن كان مستتبعا لكل خير ، والمعنى أن طائركم أى سبب شؤمكم معكم لا من قبلنا كما تزعمون وهو سوء عقيدتكم وقبح أعمالكم ، وقد أخرج ابن المنذر عن ابن عباس أنه فسر الطائر بنفس الشؤم أى شؤمكم معكم وهو الإقامة على الكفر وأما نحن فلا شؤم معنا لأننا ندعوا إلى التوحيد وعبادة الله تعالى وفيه غاية اليمن والخير والبركة ، وعن أبى عبيدة والمبرد طائركم أى

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : « لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صِفَرَةَ » أَخْرَجَاهُ . زَادَ مُسْلِمٌ : وَلاَ نَوْءَ وَلاَ غَوْلَ (١) .

حظكم ونصيبكم فى الخير والشر معكم فى أفعالكم إن خير اخير وإن شرا فشر . ومناسبة ذكرى الآيتين فى الترجمة أن الطير من أعمال الجاهلية المشركين وقد ذمهم الله تعالى ومقتهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التطير وأخبر أنه شرك . والله أعلم .

(١) قال فى النهاية العدوى واسم من الأعداء كالرعوى والبقوى من الارعاء وذلك أن يكون ببعير جرب مثلا فتتقى مخالطته بإبل أخرى حذار أن يتعدى مابه من الجرب إليها فيصيبها ماأصابه وقد أبطله الإسلام لأنهم كانوا يظنون أن المرض بنفسه يتعدى فأعلمهم النبى ﷺ أنه ليس الأمر كذلك وإنما الله هو الذى يمرض وينزل الداء ولهذا قال بعض الأحاديث :(فمن أعدى البعير الأول) أى من أين صار فيه الجرب ، والهامة بتخفيف الميم على المشهور وقيل بتشديده ، وقد ذكر لها الامام النووى فى شرح مسلم تأويلين :

أحدهما أن العرب كانت تتشاءم بالهامة الطائرة المعروف من طير الليل وقيل هى البومة قالوا كانت إذا سقطت على دار أحدهم يراها ناعية له نفسه كانت تعتقد أن عظام الميت وقيل روحه تنقلب هامة تطير وهذا تفسير أكثر العلماء وهو المشهور ويجوز أن يكون المراد النوعين فإنهما جميعاً باطلان فبين النبى ﷺ إبطال ذلك وضلالة الجاهلية فيما تعتقده من ذلك اه ، وقوله

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ

« ولا صفر » هو بفتح الفاء وقد ذكر له أيضا تأويلين : أحدهما المراد تأخيرهم تحريم المحرم إلى صفر وهو المنسأ الذى كانوا يفعلونه وبهذا قال مالك وأبو عبيدة ، والثانى أن الصفر دواب فى البطن وهى دود وكانوا يعتقدون أن فى البطن دابة تهيج عند الجوع وربما قتلت صاحبها وكانت العرب تراها أعدى من الجرب وهذا التفسير هو الصحيح ، وبه قال مطرف وابن وهب ، وابن حبيب . وأبو عبيد وخلائق من العلماء وقد ذكره مسلم عن جابر بن عبد الله راوى الحديث فيتعين اعتماده يجوز أن يكون المراد هذا والأول جميعا وأن الصفرين جميعا باطلان لا أصل لهما ولا تعريج على واحد منهما وقوله ، « ولا نوء » سياق الكلام عليه فى بابه إن شاء الله تعالى وقوله « ولا غول » هو بضم الغين المعجمة واحد الغيلان قال فى النهاية وهو جنس من الجن والشياطين قال العلامة محي الدين النووى قال جمهور العلماء كانت العرب تزعم أن الغيلان فى الفلوات وهى جنس من الشياطين فتتراءى للناس وتتغول تغولا أى تتلون تلونا فتضللهم عن الطريق فتهلكهم فأبطل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك وقال آخرون ليس المراد بالحديث نفى وجود الغول وإنما معناه إبطال ما يزعمه العرب من تلون الغول بالصور المختلفة واغتيالها قالوا ومعنى لاغول أى لاتستطيع أن تضل أحدا ويشهد له حديث آخر (لاغول ولكن السعالى) قال العلماء . السعالى بالسين المفتوحة والعين المهملتين وهم سحرة الجن أى ولكن فى الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل وفى الحديث الآخر (إذا تغولت الغيلان فنادوا بالاذان) أى ادفعوا شرها بذكر الله تعالى وهذا دليل على أنه ليس المراد نفى أصل وجودها وفى حديث أبى أيوب كان لى تمرة فى سهوة وكانت الغول تجىء فتأكل منه اهـ.

وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ ، قَالُوا وَمَا الْفَأْلُ ؟ قَالَ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ » [١] .

وَلِأَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ [٢] قَالَ : ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ « أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا فَإِذَا

---

(١) الفأل كما قال ابن الأثير مهموز فيما يسر ويسوء والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء وربما استعملت فيما يسر يقال تفاءلت بكذا أو تفاءلت على التخفيف والقلب وقد أولع الناس بترك همزه تخفيفا وإنما أحب الفأل لأن الناس إذا أملوا فائدة الله ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوى فهم على خير ولو غلطوا فى جهة الرجاء فان الرجاء لهم خير وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر ، وأما الطيرة فان فيها سوء الظن بالله وتوقيع البلاء. ومعنى التفاؤل مثل أن يكون رجل مريض فيتفاءل مما يسمع من كلام فيسمع آخر يقول يا سالم أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول يا واجد فيقع فى ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته اه وقوله « ولا عدوى ولا طيرة » قال العلامة ابن القيم ، هذا يحتمل أن يكون نفيا وأن يكون نهياً أى لا تطيروا ولكن قوله فى الحديث ولا عدوى ولا صفر ولا هامة يدل عن أن المراد النفى وإبطال هذه الأمور التى كانت الجاهلية تعانيها والنفى فى هذا أبلغ من النهى لأن النفى يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره والنهى إنما يدل على المنع منه اه والله أعلم .

(٢) وهكذا وقع فى جميع النسخ « عقبة بن عامر » وهو غلط صوابه « عروة بن عامر » كذا أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما وهو مكى اختلف

رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ لاَ يَأْتِى بِالْحَسَنَاتِ إِلاَّ أَنْتَ وَلاَ يُدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلاَّ أَنْتَ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ » .

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعاً : الطِّيَرَةُ شِرْكٌ الطِّيَرَةُ شِرْكٌ وَمَا مِنَّا إِلاّ ، وَلَـكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ (١) . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِىُّ

فى نسبه فقال أحمد عن عروة بن عامر القرشى ، وقال غيره الجهنى ، واختلف فى صحته .

(١) قوله (الطيرة شرك) صريح فى تحريم الطيرة وأنها من الشرك لاعتقادهم أن الطيرة تجلب لهم نفعا وتدفع عنهم ضرا فإذا عملوا بموجبها فكأنهم أشركوا بالله فى ذلك ويسمى شركا خفيا ؛ ومن اعتقد أن شيئاً سوى الله ينفع أو يضر بالاستقلال فقد أشرك شركا جليا ؛ قال القاضى إنما سماها شركا لأنهم كانوا يرون ما يتساءلون به سببا مؤثرا فى حصول المكروه وملاحظة الأسباب فى الجملة شرك خفى فكيف إذا انضم إليها جهالة وسوء اعتقاد ، وقوله (وما منا إلا) أى وما منا أحد إلا من يخطر له من جهة الطيرة شىء ما لتعود النفوس بها فحذفت المستثنى كراهة أن يتلفظ به : قال الخطابى . معناه إلا من قد يعتر به الطيرة ويسبق إلى قلبه الكراهية فيه فحذف اختصاراً للكلام واعتمادا على فهم السامع اهـ وهذه الجملة ليست من قول النبى ﷺ وإنما هى من قول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه كما قال المصنف بعد رحمة الله تعالى وقال العلامة شمس الدين بن القيم : وهذه اللفظة وما منا إلى آخر مدرجه فى الحديث ليس من كلام النبى صلى الله عليه وسلم كذا قاله بعض

وَصَحَّحَهُ وَجَعَلَ آخِرَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ .

وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرو : « مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ ، قَالُوا فَمَا كَفَّارَةُ ذٰلِكَ ؟ قَالَ أَنْ يَقُولَ : اللَّهُمَّ لاَ خَيْرَ إِلاَّ خَيْرُكَ وَلاَ طَيْرَ إِلاَّ طَيْرُكَ وَلاَ إِلٰهَ غَيْرُكَ » .

الحفاظ وهو الصواب فان الطيرة نوع من الشرك كما هو فى أثر مرفوع (من رد الطيرة فقد قارف الشرك) وفى صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمى أنه قال يا رسول الله ومنا أناس يتطيرون فقال ذلك شيء يجد . أحدكم فى نفسه فلا يصدنه فأخبر أن تأذيه وتشاؤمه بالطير إنما هو فى نفسه وعقيدته لا فى المتطير به فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذى يطيره ويصده لا ما رآه وسمعه فأوضح صلى الله عليه وسلم لأمته الأمر وبين لهم فساد الطير ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة ولا فيها دلالة ولا نصبها سببا لما يخافونه ويحذرونه لتطمئن قلوبهم ولتسكن نفوسهم إلى وحدانيته تعالى التى أرسل بها رسله وأنزل بها كتبه وخلق لأجلها السموات والأرض وعمر الدارين الجنة والنار فسبب التوحيد من أجله جعل الجنة دار التوحيد وموجباته وحقوقه والنار دار الشرك ولوازمه وموجباته فقطع ﷺ علق الشرك من قلوبهم لئلا يبقى فيها علقة منها ولايتلبسوا بعمل من أعمال أهله البتة اهـ ببعض تصرف وقوله (ولكن الله يذهبه بالتوكل) أى يذهبه الله بسبب الاعتماد عليه والاستناد إليه سبحانه والله أعلم .

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ » [١] .

فيه مسائل : الأولى التنبيه على قوله (ألا إنما طائرهم عند الله) مع قوله (طائركم معكم) الثانية نفي العدوى الثالثة نفي الطيرة الرابعة الهامة الخامسة نفي الصفر السادسة أن الفأل ليس من ذلك بل مستحب السابعة تفسير الفأل الثامنة أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهبه الله بالتوكل التاسعة ذكر ما يقول من وجده العاشرة التصريح بأن الطير شرك الحادية عشر تفسير الطيرة المذمومة .

﴿ بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ ﴾ [٢]

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ قَالَ قَتَادَةُ : خَلَقَ اللهُ هٰذِهِ النُّجُومَ

---

(١) هذا حد الطيرة المنهي عنها لأنها ما يحمل الإنسان على المضي فيما أراده ويمنعه من المضي فيه كذلك بخلاف الفأل الذي كان يحبه رسول الله ﷺ فإن فيه نوع بشارة فيسر به العبد ولا يعتمد عليه بخلاف ما يمضيه أو يرده فإن للقلب فيه نوع اعتماد وهذا فرق واضح فاحفظه هداك الله .

(٢) قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى التنجيم هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية وقال الملا كاتب حلبي في كتابه كشف الظنون وهو علم يعرف به الاستدلال على حوادث علم الكون والفساد بالتشكلات الفلكية وهي أوضاع الافلاك والكواكب كالمقارنة والمقابلة والتثليث والتسديس والتربيع إلى غير ذلك وهو عند الاطلاق تنقسم إلى ثلاثة أقسام حسابيات وطبيعيات ووهميات اه وقد تقدم بيانه

لِثَلاثٍ : زِينَةً لِلسَّماءِ ، وَرُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ ، وَعَلاماتٍ يُهْتَدَى بِهِ .
فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذٰلِكَ أَخْطَأَ أَوْ ضَاعَ نَصِيبُهُ ، وَكَلَّفَ مَالاَ عِلْمَ لَهُ
بِهِ انتهى (١) .

ما يجوز منه ومالا يجوز منه عن الخطابي وغيره وتفصيل ذلك فى باب بيان شىء من أنواع السحر فارجع إليه وسيأتى زيادة على ذلك أيضاً والله أعلم .

(١) ذكر هذا الأثر البخارى رحمه الله تعالى فى صحيحه معلقا وأخرجه عبد الرازق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وغيرهم قال فى الشرح وأخرجه الخطيب فى كتاب النجوم عن قتادة ولفظه : قال إنما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوما للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف مالا علم له به وإن ناسا جهلة بأمر الله قد أحدثوا فى هذه النجوم كهانة من أعرس بنجم كذا وكذا ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ولعمرى ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والطويل والقصير والحسن والذميم وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر بشىء من هذا الغيب ولو أن أحد علم الغيب لعلمه آدم الذى خلقه الله بيديه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شىء اهـ قال الشارح بعد أن ساق ما تقدم فتأمل ما أنكر هذا الامام مما حدث من هذه المنكرات فى عصر التابعين ومازال الشر يزداد فى كل عصر بعدهم حتى بلغ الغاية فى هذه الأعصار وعمت به البلوى فى جميع الأمصار فمقل ومستكثر وعز فى الناس من ينكره وعظمت المصيبة فى الدين فانا لله وإنا إليه راجعون وقوله (خلق الله هذه النجوم لثلاث) قال تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما

وَكَرِهَ قَتَادَةَ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ الْقَمَرِ وَلَمْ يُرَخِّصْ ابْنُ عُيَيْنَةَ ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا . رَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ الْمَنَازِلِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ (١) .

للشياطين) أى ولقد زينا السماء الدنيا منكم أى التى هى أتم دنوا منكم من غيرها فدنوها بالنسبة إلى ما تحت وأما بالنسبة إلى من حول العرش فبالعكس . والمصابيح جمع مصباح وهو السراج تجوز به عن الكواكب وتنكيرها للتعظيم أى بمصابيح لا للسماء الدنيا ، والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصـــدر سمى به ما يرجم به أى يرمى فصار له حكم الأسماء الجامدة ولذا جمع : والمراد بالشياطين مسترقوا السمع وقال تعالى (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) والعلامات الدلالات على الجهات يهتدى بها الناس فى ذلك كما قال الله عزوجل (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) أى لتعرفوا بها جهة قصدكم وليس المراد ليهتدى بها فى الغيب كما يزعمه المنجمون ويبطل دعواهم زيادة على ما تقدم قول قتادة فمن تأول فيها غير ذلك أى زعم فيها غير ما ذكر الله فى كتابه من هذه الثلاث فقد أخطأ حيث زعم شيئاً ما أنزل الله به من سلطان وأضاع نصيبه من كل خير لانه شغل نفسه بما يضره ولا ينفعه هدانا الله إلى السنة .

(٢) ذكر الخطابى فيما يتعلق بعلم النجوم من حيث القبلة وجهتها فقال أما علم النجوم الذى يدرك من طريق المشاهدة والحد الذى يعرف به الزوال وتعلم به جهة القبلة فانه غير ادخل فيما نهى عنه وذلك أن معرفة صدر الظل ليس بأكثر من أن الظـــل مادام متناقصا فالشمس صاعدة

وَعَنْ أَبِى مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ : مُدْمِنُ الْخَمْرِ ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِى صَحِيحِهِ (١) .

نحو وسط السماء من الأفق الشرقى وإذا أخـــذ فى الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربى وهـذا علم يصح إدراكه بالمشاهـدة إلا أن أهل هذه الصناعة قد دبروها بما اتخذوها من الآلات التى يستغنى الناظر عن مراعاة مدته ومراصدته وأما ما يستدل به فى النجوم على جهة القبلة فإنها كواكب رصدها أهل الخبرة من الأئمة الذين لانشك فى عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها وصدقهم أخبر به عنها فكان إدراكهم الدلالة منها بالمعاينة وإدراكنا ذلك بقبول خبرهم إذا كانوا عندنا غير متهمين فى دينهم ولا مقصرين فى معرفتهم اه تقدم الكلام على ذلك فى بابه فارجع إليه هديت والله أعلم .

(١) الحديث رواه أيضا الطبرانى فى معجمه الكبير والحاكم وقال صحيح وأقره الحافظ أبو عبد الله الذهبى رحمه الله تعالى وتمامه (ومن مات وهو يد من الخمر سقاه الله من نهر الغوطة نهر يجرى من فروج الموسات يؤذى أهل النار ريح فروجهن) وقوله (ثلاثة لا يدخلون الجنة)هذا من نصوص الوعيد التى كره السلف الصالح رضى الله عنهم تأويلها وقالوا أمروها كما جاء وهو يرجع إلى مشيئة الله سبحانه وتعالى فان عذبه فباستحقاقه

﴿ بابُ ماَ جاَءَ فى الِاسْتِسقْاَءِ بِالْأَنْوَاءِ ﴾ (١)

ذلك وإن غفر له فبفضله وعفوه ورحمته ومعنى قوله مدمن الخمر المداوم على شربها حتى مات ولم يتب وقطع الرحم عدم صلة الأقارب بما يليق بهم قال تعالى : (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم) وقطع الرحم من الكبائر ، وقوله (وصدق بالسحر) أى بجميع أنواعه ومنه النجوم وهذا وجه مطابقة الحديث للترجمة قال الحافظ أبو عبد الله الذهبى فى كتابه عد الكبائر ويدخل فيه تعلم السيما وعملها وعقد المرء عن زوجته ومحبة الزوج لامرأته وبغضها وبغضه وأشباه ذلك بكلمات مجهولة قال وكثير من الكبائر بل عامتها إلا الأقل يجهل خلق من الأمة تحريمه وما بلغه الزجر فيه وإلا الوعيد عليه اهـ .

(١) أى باب فى بيان حكم الاستسقاء بالانواء مستنبطا من الكتاب والسنة والاستسقاء طلب السقيا والمراد به هنا نسبة السقيا ويجيء بالمطر إلى الانواء وهو جمع نوء قال الإمام النووى فى شرح مسلم وأما النوء ففيه كلام طويل قد لخصه الشيخ أبو عمرو وابن الصلاح رحمه الله فقال النوء فى أصله ليس هو نفس الكواكب فإنه مصدر ناء النجوم ينوء نوءا أى سقط وغاب وقيل أى نهض وطلع ، وبيان ذلك أن ثمانية وعشرين نجما معروفة المطالع فى أزمنة السنة كلها وهى المعروفة بمنازل القمر الثمانية والعشرين يسقط فى كل ثلاث عشر ليلة منها نجم فى المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله فى المشرق من ساعة وكان أهل الجاهلية إذا كان عند ذلك مطر ينسبونه إلى الساقط الغارب منهما ، قال الأصمعى : إلى الطالع منهما قال أبو عبيد : ولم أسمع أحداً ينسب النوء للسقوط إلا فى هذا الموضع ثم أن النجم

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) (١) .

نفسه قد يسمى نوء يسميه الفاعل بالمصدر قال أبو اسحق الزجاج فى بعض أماليه الساقطة فى المغرب هى الأنوار والطالعة فى المشرق هى البوارخ اه ذكر ابن الأثير فى النهاية قريبا من هذا إلا أنه قال هى ثمان وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة منزلة اه والله أعلم .

(١) ونظم الآيات القرآنية التى قبلها هكذا (فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسم لو تعلمون عظيم * إنه لقرآن كريم * فى كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين * أفبهذا الحديث أنتم مدهنون * وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) أخبر سبحانه بأن الأمر عظيم لا يحتاج إلى قسم ما فضلا عن هذا القسم العظيم وهو مواقع النجوم أى مساقط كواكب السماء ومغاربها كما جاء فى رواية عن قتادة والحسن على أن الوقوع بمعنى السقوط والغروب وتخصيصا بالقسم لما فى غروبها من زوال أثرها والدلالة على مؤثر دائم لا يتغير ولذا استدل الخليل صلوات الله وسلامه عليه بالأفوال على وجود الصانع عز وجل أو لأن ذلك وقت قيام المجتهدين والمبتهلين إليه تعالى وأوان نزول الرحمة والرضوان عليهم روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة مرفوعا (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له) وقال جماعة منهم ابن عباس النجوم نجوم القرآن ومواقعها ، أوقات نزولها روى النسائى ، وابن جرير والحاكم وصححه ، والبيهقى فى الشعب عنه أنه قال (أنزل القرآن فى ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم فرق فى السنين » وفى لفظ « ثم نزل من الدنيا

فيه مسائل الأولى الحكمة فى خلق النجوم . الثانية الرد على من زعم غير اللوح الثالثة ذكر الخلاف فى تعلم المنازل والرابعة الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل .

إلى الأرض نجوما ثم قرأ (فلا أقسم بمواقع النجوم) وأيد هذا بأن الضمير فى قوله تعالى بعد (إنه لقرآن كريم) يعود حينئذ على ما يفهم من مواقع النجوم حتى يكاد يعد كالمذكور صريحا وقوله (إنه لقرآن كريم) تعظيم للقسم مكرر مؤكد له وجواب لو إما متروك أريد به نفى علمهم أو محذوف ثقته بظهوره أى لعظمتموه أو اعملتم بموجبه .

وقوله تعالى (فى كتاب مكنون) وصف آخر للقرآن أى كائن فى كتاب مصون عن غير المقربين من الملائكة عليهم السلام لا يطلع عليه من سواهم فالمراد به اللوح المحفوظ كما روى عن الربيع بن أنس وغيره وقيل فى كتاب مصون عن التبديل والتغير وهو المصحف الذى بأيدينا وقوله تعالى (لا يمسه إلا المطهرون) إما صفة بعد صفة لكتاب مراداً به اللوح فالمراد بالمطهرون الملائكة عليهم السلام أى المنزهون عن كدر الطبيعة ودنس الحظوظ النفسية . وإما صفة أخرى لقرآن والمراد بالمطهرون المطهرون عن الحدث الأصغر والأكبر بحمل الطهارة على الشرعية ، والمعنى لا ينبغى أن يمس القرآن إلا من هو على طهارة من الناس وهو بمعنى النهى نظير قوله تعالى (الزانى لا ينكح إلا زانية) بل هو أبلغ من النهى الصريح وقوله عزو جل (تنزيل من رب العالمين) صفة أخرى للقرآن أى منزل وقوله جل ذكره (أفبهذا الحديث) أى تعرضون فبهذا الحديث الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لإعظامه وإجلاله والإيمان بما تضمنه وأرشد

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ »[1] .

إليه وهو القرآن الحكيم (أنتم مدهنون) متها ونون به ، وعن ابن عباس والزجاج مدهنون مكذبون . وعن مجاهد أى منافقون فى التصديق به تقولون للمؤمنين آمنا به وإذا خلوتم إلى إخوانكم قلتم إنا معكم فعلى الأول الخطاب للكفار وعلى الثانى المنافقين والأول أولى ، وقوله (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) أى شكركم تقولون مطرنا بنجم كذا وكذا وبنوء كذا وكذا فأنزل الله تعالى وتجعلون شكركم أنكم إذا مطرتم تكذبون ومعنى جعل شكرهم التكذيب جعل التكذيب مكان الشكر فكأنه عينه عنده فهو من باب تحية بينهم ضرب وجيع ، وأكثر الروايات أن قوله تعالى (وتجعلون) الخ نزل فى القائلين مطرنا بنوء كذا من غير تعرض لماقيل [وأخرج مسلم وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة وضعها الله وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا فنزلت هذه الآية (فلا أقسم بمواقع النجوم - حتى إذا بلغ - وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) قال العلامة شمس الدين بن القيم أى تجعلون حظكم من هذا الرزق الذى به حياتكم التكذيب به يعنى القرآن وبهذا يظهر لك وجه استدلال المواف بالآية على ذلك والله أعلم .

(١) كتب فى الشرح على قوله (أربع فى أمتى من أمر الجاهلية

لايتركونهم) الخ ستفعلها هذه الأمة لما مع العلم بتحريمها أو مع الجهل بذلك مع كونها من أعمال الجاهلية المذمومة المكروهة المحرمة والمراد بالجاهلية هنا ماقبل البعثة سموا بذلك لفرط جهلهم وكل مايخالف ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فهو جاهلية فقد خالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كثير من أمورهم أو أكثرها وذلك يدرك بتدبر القرآن ومعرفة السنة ولشيخنا رحمه الله مصنف لطيف ذكر فيه ما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية فيه فبلغ مائة وعشرين مسألة ، قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى أخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم ذما لمن لم يتركه وهذا يقتضى أن كل ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم فى دين الإسلام وإلا لم يكن فى إضافة المنكرات إلى الجاهلية ذم لها ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم وهذا كقوله تعالى (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) فان فى ذلك ذما للتبرج وذما لحال الجاهلية الأولى وذلك يقتضى المنع فى مشابهتهم فى الجملة وقوله (والفخر بالأحساب) أى التعاظم على الناس بالآباء ومآثرهم ذلك جهل عظيم إذ لا كرم إلا بالتقوى كما قال تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقال تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً الآية ولأبى داود عن أبى هريرة مرفوعا (إن الله أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها با لاباء إنما هو مؤمن تقى أو فاجر شقى الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان) قوله (والطعن فى الأنساب) أى الوقوع فيها بالعيب والطعن ولما عير أبو ذر رضى الله عنه رجلا بأمه قال النبى صلى الله عليه وسلم (أعيرته بأمه أنك امرؤ فيك جاهلية) فدل . على أن الطعن فى الأنساب من عمل الجاهلية وأن المسلم قد يكون فيه شىء من هذه الخصال المسماة

على أن الطعن فى الأنساب من عمل الجاهلية وأن المسلم قد يكون فيه شىء من هذه الخصال المسماة بجاهلية ويهودية ونصرانية ولايوجب ذلك كفره ولا فسقه قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى . قوله (الاستسقاء بالنجوم) أى نسبة المطر إلا النوء وهو سقوط النجم كما أخرج الإمام أحمد بن حنبل عن جابر السوائى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (أخاف على أمتى ثلاثا استسقاء بالنجوم وحيف السلطان وتكذيبا بالقدر) فإذا قال قائلهم مطرنا بنجم كذا فلا يخلو إما أن يعتقد أن له تأثيرا فى إنزال المطر فهذا شرك وكفر وهذا هو الذى يعتقد أهل الجاهلية وأما أن يقول مطرنا بنوء كذا مثلا لكن مع اعتقاده أن المؤثر هو الله وحده لكنه أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم والصحيح أن نسبة ذلك إلى النجم ولو على طريق المجاز ممنوعة فقد صرح ابن مفلح فى الفروع بأنه يحرم قول القائل مطرنا بنوء كذا وجزم فى الانصاف بتحريمه ولو على طريق المجاز ولم يذكر اختلافا قال فى الشرح وذلك أن القائل لذلك نسب ما هو من فعل الله تعالى الذى لا يقدر عليه غيره إلى خلق مسخر لاينفع ولا يضر ولا قدرة له على شىء فيكون ذلك شركا أصغر والناحية هى رفع الصوت بالندب على الميت ومثله افراط رفعه بالبكاء وإن لم يقترن بندب ولا نوح والنهى عنها لأنها تسخط لقضاء الله تعالى اسمه وذلك ينافى الصبر المأمور به وقوله (النائحة إذا لم تتب قبل موتها) هى التى ترفع صوتها بالندب على الميت وفيه تنبيه على أن التوبة تكفر الذنب مهما عظم وهـــذا مجمع عليه فى الجملة وتكفر أيضا بالحسنات الماضية والمصائب ودعاء المسلمين بعضهم لبعض وبالشفاعة بإذن الله وعفو الله عمن شاء ممن لايشرك به شيئا وعن ابن عمر رضى الله عنه مرفوعا (إن الله تعالى يقبل توبة العبد مالم

وَقَالَ : « النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَلَهُمَا عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ (١)

يغرغر) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه وابن حبان وقوله : تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب)قال الإمام القرطبي : السربال واحد السرابيل وهى الثياب والقميص يعنى أنهن يلطخن بالقطران فيكون لهن كالقمص حتى يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم ورائحتهن أنتن وألمها بسبب الجرب أشد والقطران ـ بفتح القاف وكسر الطاء ـ ما يتقطر من الهناء فيدهن به الابل وقرىء (من قطران) أى بكسر أوله وسكون ثانيه وبعد الهمزة ـ أى من نحاس مزاب قد أتى حرها وبه فسره ابن عباس رضى الله عنه وقوله (ودرع من جرب) يعنى يسلط على أعضائه الجرب والحكة بحيث يغطى بدنها تغطيه الدرع وهو القميص لأنها كانت تخرج بكلماتها المحرقة قلوب ذوى المصيبات ، والله أعلم .

(١) قوله : (صلى لنا) اللام بمعنى الباء أى صلى بنا قال الحافظ ابن حجر : وفيه إطلاق ذلك مجازاً وإنما الصلاة لله ، والحديبية قال النووى فيها لغتان

تخفيف الياء وتشديدها والتخفيف هو الصحيح المشهور المختار ـ وهى بضم الحاء المهملة ـ وفتح الدال وبالياء الساكنة وباء موحدة مكسورة قرية سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه عندها وبينها وبين مكة مرحلة وبعضها فى الحل وهى أبعد الحل من البيت وقوله (على إثر سماء) هو بكسر الهمزة وإسكان الثاء وبفتحهما جميعا لغتان مشهورتان والسماء المطر لأنه ينزل من السحاب . ويطلق السماء على كل ما ارتفع . وقوله (فلما انصرف) أى من صلاته التفت إلى المأمومين فقال (هل يدرون) الاستفهام للتنبيه وفى النسائى ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة وهذا الحديث يدخل فى الأحاديث القدسية وقوله - (قالوا الله ورسوله) أعلم هذه صفة المؤمن العاقل إذا سئل عما لا يعلم وكل العلم إلى عالمه وما أحسن أدب الصحابة مع نبيهم اللهم ارزقنا الأخلاق المرضية والآداب العالية ، وقوله : (أصبح من عبادى مؤمن) الاضافة هنا للعموم بدليل قوله مؤمن وكافر وكقوله تعالى (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) قال الإمام النووى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم وأما معنى الحديث فاختلفت العلماء فى كفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين : أحدهما هو كفر بالله سبحانه وتعالى سالب لأصل الإيمان مخرج من ملة الاسلام قالوا وهذا فيمن قال ذلك معتقداً أن الكواكب فاعل المدبر منشىء للمطر كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم ومن اعتقد هذا فلا شك فى كفره ـ وهذا القول هو الذى ذهب إليه جماهير العلماء والشافعى منهم وهو ظاهر الحديث قالوا وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا معتقداً أنه من الله تعالى ورحمه وإن النوء ميقات له وعلامة أعتبارا بالعادة فكأنه قال مطرنا فى وقت كذا فهذا لا يكفر واختلفوا فى كراهته

وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا ذَٰلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ .

وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ ، وَفِيهِ قَالَ بَعْضُهُمْ لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) إِلَى قَوْلِهِ (تُكَذِّبُونَ) .

فيه مسائل الأولى تفسير آية الواقعة . الثانية ذكر الأربع التى من أمر الجاهلية الثالثة ذكر الكفر فى بعضها . الرابعة أن من الكفر مالا يخرج عن الملة . الخامسة قوله أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بسبب نزول النعمة . السادسة التفطن للايمان فى هذا الموضع . السابعة التفطن

والأظهر كراهته لكنها كراهة تنزيه لا إثم فيها وسبب الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بصاحبها ولأنها شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم. والقول الثانى فى أصل تأويل الحديث أن المراد كفر نعمة الله تعالى لاقتصاره على إضافة الغيث إلى الكوكب وهذا فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب ويؤيد هذا التأويل الرواية الأخيرة فى الباب (أصبح من الناس شاكر وكافر) وفى الرواية الأخرى (ما أنعمت على عبادى من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين) وفى الرواية الأخرى (ما أنزل الله تعالى من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين) فقوله بها يدل على أنه كفر بالنعمة والله أعلم أقول مقتضى بيان سبب الكراهة أن الكراهة كراهة تحريم لا تنزيه لأن من قال كلمة مترددة بين الكفر وغيره لا يصح أن يقال لا إثم عليه بل يفتح للقائل بذلك باب التساهل والتمادى فى ذلك فالأظهر أنه يأثم بذلك والله أعلم .

للكفر فى هذا الموضع الثامنة التفطن لقوله لقد صدق نوء كذا التاسعة إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام منها لقوله (أتدرون ماذا قال ربكم) العاشرة وعيد النائحة .

﴿ بَابُ ﴾

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ) (١) .

وَقَوْلِهِ : (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ) إِلَى قَوْلِهِ (أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ) (٢) .

---

(١) أخبر الله تعالى ذكره أن من أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً فهذا ند فى المحبة لا فى الخلق والربوبية لأن هذا لم يثبته أحد من الأرض بخلاف ند المحبة فان أكثر الناس قد اتخذوا من دون الله أنداداً فى الحب والتعظيم ثم قال تباركت أسماؤه (والذين آمنوا أشد حبا لله) وفى تقدير الآية قولان أحدهما والذين آمنوا أشد حبا من أصحاب الأنداد لأندادهم وآلهتهم التى كانوا يحبونها ويعظمونها من دون الله تعالى والثانى والذين آمنوا أشد حبا لله من محبة المشركين بالأنداد لله فان محبة المؤمنين خالصة ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسط منها والمحبة الخالصة أشد من المشتركة وقد قيلت فى المحبة رسوم وحدود كثيرة لا يسع هذا المختصر بسطها والله أعلم .

(٢) قول الله جل وعلا (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » (١) أَخْرَجَاهُ

وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من رسول الله ورسوله)الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأمر عليه السلام بأن يثبت المؤمنين ويقوى عزائمهم على الإنتهاء عما نهوا عنه من موالاة الآباء والإخوان ويزهدهم وفيمن يجرى مجراهم ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا الدنيئة على وجه التوبيخ والترهيب وقوله (وأموال اقترفتموها) أى اكتسبتموها وأصل الاقتراف اقتطاع الشيء من مكانه إلى غيره (تجارة) أى أمتعة اشتريتموها للتجارة والربح (تخشون كسادها) بفوات وقت رواجها (ومساكن ترضونها) أى منازل تعجبكم الإقامة فيها أحب إليكم من الله ورسوله بالحب الاختيارى المستتبع لأثره الذى هو الملازمة وتقديم الطاعة لاميل الطبع فانه أمر جبلى لا يمكن تركه ولا يؤاخذ عليه ولا يكلف الإنسان بالامتناع عنه والله أعلم .

(١) نقل الإمام النووى كلام الخطابى فى معنى الحديث قال : قال الإمام أبو سليمان الخطابى لم يرد به حب الطبع بل أراد به حب الاختيار لأن حب الانسان نفسه طبع ولا سبيل إلى قلبه قال فمعناه ولا تصدق فى حبى حتى تفنى فى طاعتى نفسك تفك وتؤثر رضاى على هواك وإن كان فيه هلاكك هذا كلام الخطابى وقال ابن بطال والقاضى عياض وغيرهما رحمة الله عليهم المحبة ثلاثة أقسام محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد ومحبة مشا كلة

عَنْهُمَا عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ »[1] .

واستحسان كمحبة سائر الناس لجمع صلى الله عليه وسلم أصناف المحبة فى محبته. قال ابن بطال رحمه الله : ومعنى الحديث أن من استكمل الايمان علم أن حق النبى صلى الله عليه وسلم آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين لأنه به صلى الله عليه وسلم استنقذنا من النار وهدينا من الضلال قال القاضى عياض رحمه الله تعالى ومن محبته صلى الله عليه وسلم نصرة سنته والذب عن شريعته وتمنى حضور حياته فيبذل ماله ونفسه دونه قال وإذا تبين ماذكرناه تبين أن حقيقة الايمان لاتتم إلا بذلك ولا يصح الا بتحقيق إعلاء قدر النبى صلى الله عليه وسلم ومنزلته على قدر كل والد وولد ومحسن ومفضل ومن لم يعتقد هذا واعتقد هذا واعتمد ما سواه فليس بمؤمن اهـ ، والله أعلم .

(١) هذا حديث عظيم وأصل من أصول الاسلام وقال العلماء رحمهم الله تعالى معنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات فى رضا الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وإيثار ذلك على عرض الدنيا ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تصح المحبة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم حقيقة وحب الآدمى فى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وكراهة الرجوع إلى الكفر إلا لمن قوى بالإيمان يقينه واطمأنت به نفسه وانشرح له صدره وخالط لحمه ودمه وهذا هو الذى وجد

حلاوته والحب فى الله من ثمرات حب الله تعالى . من كلام القاضى عياض رحمه الله تعالى باختصار ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم من المهاجرين والأنصار فى عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم . وعهد أبى بكر وعمر رضى الله عنهما يؤثر بعضهم بعضا على نفسه محبة فى الله وتقربا إليه كما قال تعالى : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وفى سنن ابن ماجة عن عمر رضى الله عنهما قال . لقد رأيتنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومامنا أحد يرى أنه أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم ، قال الامام الورع أبو محمد عبد الله بن أبى حمزة فى كتابه - بهجة النفوس - ظاهر الحديث يدل على أن الايمان على قسمين بحلاوة وبغير حلاوة ومنه قوله عليه السلام : (الايمان إيمانان إيمان لايدخل صاحبه النار وإيمان لايخلد صاحبه فى النار فالايمان الذى لا يدخل صاحبه النار هو ماكان بالحلاوة والايمان الذى لا يخلد صاحبه فى النار هو ماكان بغير حلاوة والكلام عليه من وجوه) ونقتصر على ما يتعلق بالموضوع (الوجه الأول) الحلاوة المذكورة هل هى محسوسة أو معنوية قد اختلف العلماء فى ذلك فحملها قوم على المعنى وهم الفقهاء وحملها قوم على المحسوس وأبقوا اللفظ على ظاهره من غير أن يتأولون أهل الصفة والصواب معهم فى ذلك والله أعلم لأن ما ذهبوا إليه أبقوا به لفظ الحديث على ظاهره من غير تأويل وهو أحسن من التأويل مالم يعارض لظاهر اللفظ معارض ويشهد لما ذهبوا إليه أحوال الصحابة رضى الله عنهم والسلف الصالح وأهل المعاملات لأنه قد حكى عنهم أنهم وجدوا الحلاوة محسوسة فمن جملة ما حكى فى ذلك حديث بلال رضى الله عنه حين صنع به ماصنع فى الرمضاء إكراها على الكفر وهو يقول أحد أحد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وكذلك أيضاً عند موته أهله يقولون واكرباه وهو يقول ، واطرباه .

غدا ألقى الأحبة محمدا وحزبه

فزق مرارة الموت بحرارة اللقاء وهى حلاوة الايمان ومنها حديث الصحابى الذى سرق فرسه بليل وهو فى الصلاة فرأى السارق حين أخذه فلم يقطع لذلك صلاته فقيل له فى ذلك ؟ فقال : ما كنت فيه أكبر من ذلك ولاذاك إلا الحلاوة التى وجدها محسوسة فى وقته ذلك ، ومنها حديث الصحابيين الذى جعلهما النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه ليلة يحرسان جيش فنام أحدهما وقام الآخر يصلى فإذا الجاسوس من قبل العدو قد أقبل فرآهما فسكبد الجاسوس القوس ورمى الصحابى فأصابه فبقى على صلاته ولم يقطعها ثم رماه ثانية فصابه فلم يقطع لذلك صلاته ثم رماه ثالثة فأصابه فعند ذلك أيقظ صاحبه وقال لولا أنى خفت على المسلمين ما قطعت صلاتى وما ذاك إلا لشدة ما وجد فيها من الحــــلاوة حتى أذهبت عنه ما يجده من ألم السهام ، ومثل هذا ما حكى عن كثير من أهل المعاملات يطول الكلام وفيما ذكرناه كفاية (إلى آخر ما ذكره من الوجوه) قال :

فلأجل هذه النسبة وهذا الاتحاد الذى بين الشجرة والايمان عبر عليه السلام فى الحديث بالحلاوة ولم يعبر بغيرها ليقطع المثال فى كل الحالات ، ومنه قوله عليه السلام (الناس كشجر ذات جنان يوشك أن يعوذ كشجر ذات شوك) الحديث فشبههم عليه السلام أيضاً بالشجرة وهم كذلك لاشك فيه من تقدم من السلف كان إيمانهم كاملا بتبعيتهم للأمر والنهى وحبهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم والنصيحة التى كانت بينهم حتى لقد كانوا إذا التقى بعضهم مع بعض يقولون تعال نؤمن فكان شجرة إيمانهم تناهت فى الطيب والحلاوة وأما اليوم فقد ذهب ذلك وظهر ماأخبر به عليه السلام لرجوعهم كشجر ذات شوك لعدم اتباعهم للأمر والنهى وترك النصيحة بينهم والغش الذى .

وَفِى رِوَايَةٍ « لَا يَجِدُ أَحَدٌ طَعْمَ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى » إِلَى آخِرِهِ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ « مَنْ أَحَبَّ فِى اللهِ وَأَبْغَضَ فِى اللهِ وَوَالَى فِى اللهِ وَعَادَى فِى اللهِ فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلَايَةُ اللهِ بِذٰلِكَ (١) وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذٰلِكَ وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ

فى صدورهم فرجع موضع النصيحة غشا وموضع الامتثال مخالفة فلم يبق معهم فى صفة الإيمان فبقى فى غالب أحوالهم إلا النطق بالكلمة وما عداها من الأفعال بعد ما يقتضيه الإيمان فبقى لهم الأصل وذهبت ثمرته التى هى الأعمال كما هى شجرة السدر مع الثمرة إذا أبدلت مكانها فالأولى كانت تطعم الثمر له حلاوه. والثانية تنبت الشوك هذا هو حال عامتهم اليوم اللهم إلا القليل النادر لقوله عليه السلام : (لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة لا يضرهم من خالفهم) فهذه الطائفة التى أخبر بها عليه السلام هى التى لم تزل تطعم وتتناهى فى الحلاوة فما كان السلف رضى الله عنهم ولولاهم ما أمطرت السماء قطرة ولا أنبتت خضرة ولوقع الهلاك بمن تقدم ذكرهم ولكنه عز وجل يمهلهم لمجاورتهم لأهل الإيمان المتحققين إكراما لأوليائه وترفيعا جعلنا الله من أوليائه بمنه ويمنه :

(١) الولاية - بفتح الواو لاغير - الأخوة والمحبة والنصرة وبالكسر الانابة والمراد هنا الأول ، وروى أحمد والطبرانى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا يجد العبد صريح الايمان حتى يحب لله ويبغض لله فإذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاية لله .

النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا وَذَٰلِكَ لاَ يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئاً » [١] رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) قَالَ الْمَوَدَّةُ [٢] .

فيه مسائل : الأولى آية البقرة الثانية تفسير آية البقرة ، (٣) الثالثة وجوب محبته صلى الله عليه وسلم وتقديمها على النفس والأهل والمال الرابعة نفي الايمان لايدل على الخروج عن الإسلام ، الخامسة أن للايمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لايجدها ، السادسة أعمال القلب الأربع التي لا تناول ولاية الله إلا بها ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها السابعة فهم الصحابي للواقع أن

---

(١) أنظر يا أخي — حماني الله وإياك مخالفة الشرع الشريف واتباع الهوى النفس الخبيثة — إلى قول ابن عباس رضي الله عنه وهو في عصر الصحابة والقرن الأول المشهور له بالأخيرية وقارن بينه وبين عصرنا هذا الفاسد أهله فلقد وقعت الموالاة على الشرك والبدع والفسوق والعصيان وقد وقع كل ما أخبر به الرسول ﷺ بقوله (بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ) فنسأل الله السلامة في ديننا وأهلنا إنه بعباده رءوف رحيم .

(٢) روى هذا الأثر عبد بن حميد وابن جرير الطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم ، والحاكم وصححه ، والمودة التي كانت بينهم في الدنيا خانتهم أحوج ما كانوا إليها وتبرأ بعضهم من بعض كما قال الله عزوجل في كتابه . (وقال إنما أتخذتم من دون الله أو ثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً) الآية .

(٣) قوله « الثانية » هي التي ذكرت في قوله تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم) إلى قوله (ومساكن ترضونها) والله أعلم .

عامة مؤخاة الناس على أمر الدنيا الثامنة تفسير وتقطعت بهم الأسباب التاسعة أن من المشركين من يحب الله حبا شديداً، العاشرة الوعيد من كانت الثمانية أحب إليه عنده من دينه الحادية عشرة أن من اتخذ ندا تساوى محبة الله فهو الشرك الأكبر .

﴿ بَابُ ﴾

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [1] ، وَقَوْلُهُ : (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ

---

(١) قوله : (إنما ذلكم الشيطان) الخطاب للمؤمنين واسم الإشارة إلى المثبط والشيطان إبليس لأنه علم له والمراد بالأولياء أبو سفيان وأصحابه أو المتخلفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى على الأول أن يخوفكم أولياءه بأن يعظمهم فى قلوبكم وعلى الثانى أن يوقعهم فى الخوف أو يخوفهم من أبى سفيان وأصحابه (فلا تخافوهم) أى فلا تخافوا أولياءه الذين خوفكم إياهم (وخافون) فى مخالفة أمرى إن كنتم مؤمنين لأن الايمان يقتضى أن تؤثروا خوف الله تعالى على خوف الناس قال ابن القيم رحمه الله : الخوف عبودية القلب فلا يصلح إلا الله كالذل والانابة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرهما من عبودية القلب .

والخوف عرفه الامام الجنيد أبو القاسم هو توقيع العقوبة على مجارى الأنفاس قال الامام شمس الدين فى مدارج السالكين فى منزلة الخوف وهى من أجل منازل الطريق وأنفعها للقلب وهى فرض على كل أحد قال الله تعالى : (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) وقال تعالى : (فإياى فارهبون) وقال تعالى (ولا تخشوا الناس واخشون)

مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ)[١] الآيَة .

وقال الخوف المحمود . والصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عزوجل فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط . قال فى الشرح : والخوف من حيث هو على ثلاثة أقسام أحدها خوف السر وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أو يصيبه بما يكره كما قال تعالى عن قوم هود عليه السلام أنهم قالوا له ، (أن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه) الآية وقال تعالى : (ويخوفونك بالذين من دونه) وهذا هو الواقع من عباد القبور ونحوها من الأوثان ويخافونها ويخوفون بها أهل التوحيد الثانى أن يترك الانسان مايجب عليه خوفا من بعض الناس فهذا محرم وهو نوع من الشرك بالله المنافى لكمال التوحيد وهذا هو سبب نزول هذه الآية كما قال تعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) الآيات ، وفى الحديث: إن الله تعالى يقول للعبديوم القيامة مامنعك إذا رأيت المنكر أن لاتغيره فيقول رب خشية الناس فيقول إياى كنت أحق أن تخشى الثالث الخوف الطبيعى وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك فهذا لايذم كما قال تعالى فى قصة موسى عليه السلام (فخرج منها خائفا يترقب) الآية انتهى .

(١) أى إنما يليق بعمارة مساجد الله سبحانه وتعالى من آمن بالله واليوم الآخر على الوجه الذى تعلق به الوحى وأقام الصلاة أى داوم عليها مستوفية لأركانها وسننها على منهج الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه المصطفين الأخيار وآتى

وَقَوْله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِى اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ) [1] الآيَة .

الزكاة أى أخرجها وأعطاها مستحقها من الأصناف الثمانية . والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استرم منها وقمها وكنسها وتنظيفها وتزيينها بالفرش لا على وجه يشغل قلب المصلى عن الحضور كما هى غالب المساجد الآن وإدامة العبادة والذكر ودراسة العلوم الشرعية فيها ونحو ذلك وصيانتها مما لم تبن له فى نظر الشارع كحديث الدنيا والغناء على مآذنها كما هو معتاد الناس اليوم والأذكار غير المشروعة ورفع الأصوات فيها يفعل ذلك ولا يخشى أحد إلا الله تعالى فيعمل بموجب أمره ونهيه غير آخذ له فى الله لومة لائم ولا مانع له خوف وظلم والله أعلم .

(١) قوله ومن الناس أى بعض الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله أى لأجله جل وعلا أو فى سبيله بأن عذبهم المشركون على الايمان به كما حصل فى مبدأ النبوة جعل فتنة الناس أى زلوا مايصيبهم من أذيتهم كعذاب الله فى الآخرة فجزعوا من ذلك ولم يصبروا وأطاعوا الناس وكفروا بالله تعالى كما يطيع الله تعالى من يخاف عذابه سبحانه فيؤمن به ولئن جاء نصر من ربك من فتح وغنيمة ليقولن إنا كنا معكم مشايعين لكم فى الدين فأشركونا فيما حصل من الغنيمة أومقاتلين معكم ناصرين لكم فرد الله عليه ذلك بقوله (أو ليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين) أى لايخفى عليه حالهم فيعلم بما فى صدور العالمين من الأخلاق والنفاق . ومتى كان الرب تبارك وتعالى كذلك فلا يليق بحال الانسان أن يخاف غيره نسأل الله الصدق والإخلاص فى العبادة لله وحده لاشريك له .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرفُوعاً : « إِنَّ مِنْ ضِعفِ الْيَقِينِ أَن تَرْضِيَ النَّاسَ بِسَخْطِ اللهِ ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللهِ ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَالاَ يُؤْتِكَ اللهُ إِنَّ رِزْقَ اللهِ لاَ يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ وَلاَ يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةَ كَارِهٍ » [1] .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنِ الْتَمَسَ رِضَاَ اللهِ بِسَخْطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَاَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ سَخَطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ

---

(١) الحديث لم يبين المؤلف من خروجه وهو مذكور فى الحلية لأبى نعيم ورواه البيهقى أيضا وأعله بمحمد بن مروان السدى وقال ضعيف .

وفيه أيضاً عطية العوفى ذكره الذهبى فى الضعفاء والمتروكين ، وتمامه (وإن الله بحكمته جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط) .

ومعنى الحديث صحيح وإرضاء الناس بسخط الله هو أن تؤثر رضاهم على رضى الله وذلك إذا لم يقم بقلبه من إعظام الله وإجلاله وهيبته ما يمنعه من استجلاب رضى المخلوق بما يجلب له سخط خالقه وربه ومليكه الذى يتصرف فى القلوب ويفرج الكروب ويغفر ما شاء من الذنوب ، ولا شك أن هذا يدخل فى أنواع الشرك نسأل الله السلامة .

النَّاسَ » رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ (١) .

فيه مسائل الأولى تفسير آية آل عمران الثانية تفسير آية براءة الثالثة تفسير آية العنكبوت الرابعة أن اليقين يضعف ويقوى الخامسة علامات ضعفه ومن ذلك هذه الثلاث السادسة أن إخلاص الخوف لله من الفرائض السابعة ذكر ثواب من فعله الثامنة ذكر عقاب من تركه .

﴿ بَابُ ﴾ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا (٢) إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) الآيَةَ .

---

(١) الحديث رواه أيضا الترمذي بلفظ قريب من هذا ، ورواه أبو نعيم أيضا واعلم أن خير الناس من أرضى الله بسخط الناس فعليك يا أخي بمجاهدة نفسك وكفها عن غيها لأن من اتقى الله كفاه مؤنة الناس وكان في حرز منيع قال الله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) ومن أرضى الناس بسخط الله فلم يغنوا عنه من الله شيئا قال الحافظ بن رجب رحمه الله تعالى فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب فكيف يقدم طاعة الله من هو من تراب على طاعة رب الأرباب أم كيف يرضى التراب بسخط الملك الوهاب إن هذا لشيء عجاب ، والله أعلم .

(٢) التوكل الاعتماد وهو من أعمال القلب وتقديم المعمول يفيد الحصر والمعنى إن كنتم مؤمنين فلا تعتمدوا إلا على الله وحده ، ومن هذه الجهة استدل المصنف بأن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله وحده لا شريك له فالتوكل أجمع أنواع العبادة وأعظمها لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة الخالصة فإن العبد إذا اعتمد على الله في جميع أموره الدينية والدنيوية دون كل من سواه صح إخلاصه ومعاملته مع الله تعالى .

والآيات والأحاديث فى هذا الباب كثيرة جدا قال الإمام شمس الدين بن القيم فى كتابه ـ مدارج السالكين ـ التوكل نصف الدين ونصفه الثانى الانابة فان الدين استعانة وعبادة فالتوكل هو الاستعانة والانابة هى العبادة ، ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها ولا تزال معمورة بالنازلين لسعة متعلق التوكل وكثير حوائج العالمين ، وعموم التوكل ووقوعه ومن المؤمنين والكفار والأبرار والفجار والطير والوحش والبهائم ، فأهل السموات والأرض المكلفون وغيرهم فى مقام التوكل وأن تباين متعلق توكلهم فأولياؤه وخاصته يتوكلون عليه فى حصول ما يرضيه منهم وفى إقامته فى الخلق فيتوكلون عليه فى الايمان ونصرة دينه وإعلاء كلمته وجهاد أعدائه وفى محابه وتنفيذ أوامره ، دون هؤلاء من يتوكل عليه فى استقامته فى نفسه وحفظ حاله مع الله فارغا عن الناس ، ودون هؤلاء يتوكلون عليه فى معلوم يناله من رزق أوعافية أو نصر على عدو أو زوجة أو ولد ونحو ذلك ودون هؤلاء من يتوكل عليه فى حصول الاثم والفواحش فان أصحاب هذه المطالب لاينالونها غالبا إلا باستعانتهم بالله وتوكلهم عليه بل قد يكون توكلهم عليه أقوى من توكل كثير من أصحاب الطاعات ، ولهذا يلقون أنفسهم فى المتالف والمهالك معتمدين على الله أن يسلمهم ويظفرهم بمطالبهم .

فأفضل التوكل فى الواجب أعنى واجب الحق وواجب الخلق وواجب النفس وأوسعه وأنفعه التوكل فى التأثير فى الخارج فى مصلحة دينية . فأوفى دفع مفسدة دينية وهو توكل الأنبياء فى إقامة دين الله ودفع فساد المفسدين فى الأرض ، وهذا توكل ورثتهم ثم الناس بعد فى التوكل على حسب هممهم ومقاصدهم .

واختلف العلماء أرباب القلوب الحية فى معنى التوكل فذهبوا مسلكين :

الاول إلى أن التوكل مفرد ، وقال العلامة أبو عبد الله الشهير بابن قيم الجوزية قال الإمام أحمد بن حنبل؟ رضى الله عنه التوكل عمل القلب ومعنى ذلك أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح ولا هو فى باب العلوم والادراكات ومن الناس من يجعله فى باب المعارف والعلوم فيقول هو علم القلب بكفاية الرب للعبد .

ومنهم من يفسره بالسكون وخمود حركة القلب فيقول التوكل هو انطراح القلب بين يدى الرب كانطراح الميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف يشاء وهو ترك الاختيار والاسترسال مع مجارى الاقدار قال سهل التوكل الاسترسال مع الله على ما يريد .

ومنهم من يفسره بالرضا فيقول هو الرضا بالمقدور قال بشر الحافى يقول أحدهم توكلت على الله يكذب على الله لو توكل على الله رضى بما يفعل الله وسئل عن يحيى بن معاذ متى يكون الرجل متوكلا فقال إذا رضى بالله وكيلا .

ومنهم من يفسره بالثقة بالله والطمأنينة إليه والسكون إليه ومنهم من جعله مركبا من أمرين أو أمور قال أبو سعيد الخدرى التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب .

وقال أبو تراب النخشى هو طرح البدن فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية فإن أعطى شكر وإن منع صبر فجعله مركبا من خمسة أمور وأجمع القوم على أن التوكل لاينافى القيام بالأسباب فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد قال سهل بن عبد الله من طعن فى الحركة فقد طعن فى السنة ومن طعن فى التوكل فقد طعن فى الإيمان فالتوكل حال النبى صلى الله عليه وسلم والكسب سنته فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته ، فترك الاسباب المأمور بها قادح فى التوكل وقد تولى الحق إيصال العبد بها وأما ترك الأسباب المباحة فان تركها لما هو أرجح منها مصلحة فممدوح وإلا فهو مذموم والله أعلم .

وَقَوْلِهِ (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ[١] قُلُوبُهُمْ) الآيَة ، وَقَوْلِهِ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ)[٢] الآيَة ، وَقَوْلُهُ (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَالَ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا لَهُ : (إِنَّ النَّاسَ قَدْ

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى وما رجا أحد مخلوقا ولا توكل عليه إلا خاب ظنه فيه فانه مشرك (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) وقال شارح الأصل : قلت لكن التوكل على الله قسمان أحدهما التوكل فى الأمور التى لا يقدر عليها إلا الله كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت فى رجاء مطالبهم من نصر أو حفظ أو رزق أو شفاعه فهذا شرك أكبر ، الثانى التوكل فى الأسباب الظاهرة كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما قدره الله تعالى عليه من رزق أو وقع أذى ونحو ذلك فهو نوع شرك أصغر والوكالة الجائزة هى توكيل الانسان فى فعل ما يقدر عليه نيابة عنه لكن ليس له أن يعتمد عليه فى حصول ما وكل فيه بل يتوكل على الله فى تيسير أمره الذى يطلبه بنفسه أونائبه وذلك من جملة الأسباب التى يجوز فعلها ولا يعتمد عليها بل يعتمد على المسبب الذى أوجد السبب والمسبب .

(١) وجلت خافت لأنه من الوجل وهو الخوف .

(٢) أى كافيك الله .

جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا) الآيَةَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ .

فيه مسائل الأولى إلى أن التوكل من الفرائض الثانية أنه من شروط الايمان الثالثة تفسير آية الأنفال (١) الرابعة تفسير الآية فى آخرها الخامسة تفسير آية الطلاق السادسة عظم شأن هذه الكلمة السابعة وأنها قول إبراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ فى الشدائد .

﴿ بَابُ ﴾

مَا جَاءَ فِى قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ (٢) اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) وَقَوْلُه (وَمَنْ يَقْنُطُ (٣) مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) .

---

(١) يريد قوله تعالى (وعلى ربهم يتوكلون) .

(٢) قال صاحب النهاية مكر الله إيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه قيل هو استدراج العبد بالطاعات فيتوهم أنها مقبولة وهى مردودة اه يعنى أن الله تبارك وتعالى يسبغ على العبد نعمة على عصيانه وكفره ثم يأخذه بغتة وهو لا يشعر ، أراد المؤلف رحمه الله تعالى بهذه الآية التنبيه على أن الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب وأن ينافى كمال التوحيد كما أن القنوط من رحمة الله كذلك وهذا يرشد إلى أن المؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء كما يدل على ذلك كتاب الله الحكيم وسنة من بالمؤمنين رؤوف رحيم .

(٣) القنوط استبعاد الفرج واليأس منه وهو يقابل الأمن من مكر الله وكلاهما ذنب عظيم ، وأورد المصنف رحمه الله تعالى هذه الآية مع التى قبلها تنبيها على أنه

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ الْكَبَائِرِ قَالَ : « الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَالْيَأْسِ مِنْ رَوْحِ [1] اللهِ ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ » [2] .

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ [3] ، فَقَالَ الشِّرْكُ بِاللهِ وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ رَوَاهُ عَبْدِ الرَّازق [4] .

فيه مسائل الأولى تفسير آية الأعراف ، الثانية تفسير آية الحجر ، الثالثة شدة الوعيد فيمن أمن من مكر الله الرابعة شدة الوعيد فى القنوط .

لايجوزلمن خاف الله تعالى أن يقنط من رحمته بل يكون دائما خائفا راجيا يخاف ما وقع منه من الذنوب والمعاصى ويرجون رحمة ربه ويعمل بطاعته .

(١) بفتح الراء الرحمة .

(٢) هذا الحديث رواه البزار وابن أبى حاتم من طريق شبيب ابن بشر عن عكرمة عن ابن عباس ورجاله ثقات إلا شبيب والأشبه أن يكون موقوفا قال ابن قيم الجوزية رحمه الله الشرك بالله هضم الربوبية وتنقص للالهية وسوء ظن برب العالمين .

(٣) الكبيرة كل ذنب ختم فى كتاب الله أو سنة رسوله بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب زاد ابن تيمية أو نفى الايمان .

(٤) قال الشارح ورواه ابن جرير بأسانيد صحاح .

﴿ بَابٌ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللهِ ﴾

---

(١) الصبر فى اللغة الحبس والكف ومنه قتل فلان صبراً أى إذا أمسك وحبس ومنه قوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) أى احبس نفسك معهم فالصبر حبس النفس من الجزع والتسخط وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن التشويش وهو ثلاثة أنواع صبر على طاعة الله وصبر عن معصية الله وصبر على امتحان الله فالأولان صبر على ما يتعلق بالكسب والثالث صبر على ما لا كسب للعبد فيه .

وقال صاحب منازل السائرين الصبر حبس النفس على المكروه وعقل اللسان عن الشكوى وهو من أصعب المنازل على العامة وأوحشها فى طريق المحبة وأنكرها فى طريق التوحيد اه وهو واجب بإجماع الأمة قال الإمام أحمد بن حنبل ذكر الله تعالى الصبر فى القرآن فى نحو تسعين موضعا وهو من الإيمان بمنزلة الرأس فى الجسد ولا إيمان لمن لا صبر له كما أن لا جسد لمن لا رأس له .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه خير عيش أدركناه بالصبر وفى الحديث الصحيح « الصبر ضياء » رواه الإمام أحمد ومسلم وللبخارى ومسلم مرفوعا « ما أعطى أحد عطاء خيراً من الصبر وأوسع من الصبر » وفى الحديث الصحيح عجبا لأمر المؤمن أن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار بأن يصبروا على الأثرة التى يلقونها بعده حتى يلقوه على الحوض وأمر عند ملاقاة العدو بالصبر وأمر بالصبر عند المصيبة وأخبر .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) (١) .

أنه إنما يكون عند الصدمة الأولى ، وأمر المصاب نأنفع الأمور له وهو الصبر والاحتساب فان ذلك يخفف مصيبته ويوفر أجره والجزع والتسخط والتشكي يزيد فى المصيبة ويذهب الأجر وأخبر أن الصبر خير كله كما تقدم والشكوى إلى الله عزوجل لاتنافى الصبر فان يعقوب عليه السلام وعد بالصبر الجميل والنبي ﷺ إذا وعد لا يخلف ثم قال : (إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) وكذلك أيوب أخبر الله عنه أنه وجده صابرامع قوله (مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) وإنما ينافى الصبر شكوى الله لاالشكوى إليه كما رأى بعضهم رجلا يشكو إلى آخر فاقة وضرورة فقال : يا هذا تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك ، ثم أنشد :

وإذا عرتك بلية : فاصبر لها صبر الكريم فانه بك أعلم
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكوى الرحيم إلى الذى لا يرحم

أفاد ذلك شمس الدين بن القيم الجوزية فى كتابه مدارج السالكين بتصرف .

(١) نظم الآية هكذا (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم) قال الحافظ بن كثير فى تفسيره يقول تعالى مخبراً عما أخبر به فى سوة الحديد (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها) وهكذا قال ههنا ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله. قال ابن عباس : بأمر الله يعنى عن قدره ومشيئته (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) أى ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هدى فى قلبه ويقينا صادقا وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيراً منه اه .

قَالَ عَلْقَمَةَ : هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ (١) .

وَفِى صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « اثْنَتَانِ فِى النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ الطَّعْنُ فِى النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ » .

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعاً : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَى بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ » (٢) .

---

(١) هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبى حاتم وعلقمة هذا هو ابن قيس بن عبيد الله النخعى الكوفى ولد فى حياة النبى ﷺ .

(٢) ضرب الخدود ولطمها جزعا على الميت وخص الخد بذلك لكونه الغالب فى ذلك وإلا فضرب بقية الوجه داخل فى ذلك والجيوب جمع جيب وهو ما يدخل فيه الرأس من الثوب وشقها تمزيق الثوب جزعا على الميت ودعوى الجاهلية . قال شيخ الاسلام عليه سحائب الرضوان :

هو ندب الميت ، وقال غيره هو الدعاء بالويل والثبور وقال شمس الدين ابن قيم الجوزية الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء إلى القبائل والعصبية ومثله التعصب إلى المذاهب والطوائف والمشايخ وتفضيل بعض على بعض يدعو إلى ذلك ويوالى عليه ويعادى فكل هذا من دعوى الجاهلية قال الحافظ أبو الفضل شهاب الدين بن حجر فى الفتح قوله ليس منا أى أهل سنتنا وطريقنا وليس المراد به إخراجه عن الدين ولكن .

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ

فائدة إيراده بهذا اللفظ المبالغة فى الردع عن الوقوع فى مثل ذلك كما يقول الرجل لولده عند معاتبته : لست منك ولست منى أى ما أنت على طريقتى ، وقال الزين بن المنير ملخصه : التأويل الأول يستلزم أن يكون الخبر وإنما رد على أمر وجود وهذا بشأن كلام الشارع عن الحمل عليه والأولى أن يقال المراد أن الواقع فى ذلك يكون وقد تعرض لأن يهجر ويعرض عنه فلا يختلط بإجماع السنة تأديبا له على استصحابه حالة الجاهلية التى قبحها الاسلام فهذا أولى من الحمل على مالا يستفاد منه قدر زائد على القول الموجود ، وحكى عن سفيان أنه كان يكره الخوض فى تأويله ويقول ينبغى أن يمسك عن ذلك ليكون أوقع فى النفوس وأبلغ فى الزجر . وقيل : المعنى ليس على ديننا الكامل أى أنه خرج من فرع من فروع الدين وإن كان معه أصله حكاه ابن العربى . ويظهر لى أن هذا النفى يفسره التبرى الآتى فى حديث أبى موسى بعد باب حيث قال : برىء منه النبى ﷺ وأصل البراءة الانفصال من الشىء وكأنه توعده أن لا يدخله فى شفاعته مثلا وقال المهلب قوله ، « أنا برىء أى من فاعل ما ذكر وقت الفعل ولم يرد نفيه عن الاسلام (قلت) بينهما وساطة تعارف مما تقدم أول الكلام وهذا يدل على تحريم ما ذكر من شتق الجيب وغيره وكان السبب فى ذلك ما تضمنه ذلك من عدم الرضا بالقضاء فان وقع التصريح بالاستحلال مع العلم بالتحريم أو التسخط مثلا بما وقع فلا مانع من حمل النفى على الإخراج من الدين اه .

الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِى الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »[1] .

وَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِىَ اللهَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخْطُ » رَوَاهُ التِّرْمِذِىُّ وَقَالَ حَـــدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

فيه مسائل الأولى تفسير آية التغابن الثانية أن هذا من الإيمان بالله الثالثة الطعن فى النسب ، الرابعة شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية . الخامسة علامة إرادة الله بعبده الخير السادسة إرادة الله به الشر . السابعة علامة حب الله للعبد الثامنة تحريم السخط . التاسعة ثواب الرضى بالبلاء .

---

(١) روى هذا الحديث الترمذى وحسنه والحاكم وقوله « يوافى » هو بضم الياء المثناة من تحت آخر الحروف وكسر الفاء ـ أى يجىء بها ولما روى الترمذى هذا الحديث وما بعده باسناد واحد وصحابى واحد جعلها المصنف كالحديث الواحد ومعنى عجل له بالعقوبة فى الدنيا أى صب عليه المصائب والبلاء لما فرط من الذنوب منه فيخرج منها وليس عليه ذنب يوافى به يوم القيامة فالمصائب نعمة لأنها تكفر الذنوب وتدعو إلى الصبر فيثاب عليها وتقتضى الإنابة إلى الله والذل له والاعراض عن الخلق إلى غير ذلك من المصالح العظيمة .

﴿ بَابُ مَا جَاءَ فِى الرِّيَاءِ ﴾ (١)

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) الآيَةَ (٢) ..

---

(١) أى هذا باب فى بيان ماجاء فى الرياء من القرآن والسنة والرياء - بكسر أوله وبالمد - ترك الإخلاص فى العمل بملاحظة غير الله تعالى فيه وحده فعل الخير لإرادة الغير، والفرق بينه وبين السمعة أن الرياء يكون فى الفعل كالصلاة والسمعة تكون فى القول كالقراءة الوعظ والذكر وهو مشتق من الرؤية .

(٢) ونظم الآية هكذا (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) ومعنى الآية والله أعلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين برسالتك إليهم إنما أنا بشر مثلكم فمن زعم أنى كاذب فليأت بمثل ما جئت به فإنى لا أعلم الغيب فيما أخبرتكم به من الماضى عما سألتم من قصة أصحاب الكهف وخبر ذى القرنين مما هو مطابق فى نفس الأمر ولولا ما أطلعنى الله عليه وإنما أخبركم إنما إلهكم الذى أدعوكم إلى عبادته إله واحد لاشريك له فمن كان يرجو لقاء ربه أى ثوابه وجزاءه الصالح فليعمل عملا صالحاً وهو ما كان موافقا لشرع الله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه أحداً وهو الذى يراد به وجه الله عزوجل وحده لاشريك له وهذان ركنا العمل المتقبل لابد أن يكون خالصاً صوابا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم روى ابن أبى حاتم بسنده عن طاوس قال قال رجل يا رسول الله إنى أقف المواقف أريد وجه الله وأحب أن يرى موطنى فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا حتى نزلت هذه الآية (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ اللهُ تَعَالَى : « أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١) .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ؟ قُلْنَا بَلَى ، قَالَ الشِّرْكُ الْخَفِيُّ يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُزَيِّنُ صَلاَتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ » رَوَاهُ أَحْمَدُ (٢) .

---

(١) هذا حديث قدسى قال النووى فى شرح مسلم : هكذا وقع فى بعض الأصول « وشركه » وفى بعضها « وشريكه » وفى بعضها (وشركته) ومعناه أنا أغنى عن المشاركة وغيرها فمن عمل شيئا لى ولغيرى لم أقبله بل أتركه لذلك الغير ، والمراد أن عمل المرائى باطل لا ثواب فيه ويأثم به اهـ ولابن ماجة (فأنا منه برىء وهو الذى أشرك) قال العلامة الطيبى : الضمير المنصوب فى قوله تركته يجوز أن يرجع إلى العمل .

(٢) قوله (أخوف) اسم تفضيل من خيف مبنيا للمفعول على خلاف القياس والمعنى إنى أخاف عليكم من الرياء أكثر مما أخاف عليكم من فتنة المسيح الدجال وسمى هذا العمل شركا خفيا لأن صاحبه يظهر أن العمل لله وقد قصد به غيره أو شركه فيه بتزيين صلاته لأجله .

قال الإمام شمس الدين بن قيم الجوزية : وأما الشرك الأصغر فيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله وقوله لرجل الرجل ماشاء الله وشئت وهذا من الله ومنك وأنا بالله وبك ومالى إلا الله أنت وأنا .

فيه مسائل : الأولى تفسير آية الكهف . الثانية هذا الأمر العظيم فى رد العمل الصالح إذا دخل فيه شيء لغير الله . الثالثة ذكر السبب الموجب لذلك وهو وهو من كال الغنى الرابعة أن الأسباب أنه خير الشركاء الخامسة خوف النبى على أصحابه من الرياء . السادسة أنه فسر ذلك أن المرء يصلى لله لكن يزينها لما يرى من نظر الرجل .

﴿ بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا ﴾ (١)

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا) الآيَتَيْنِ (٢) .

متوكل على الله وعليك . ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا . وقد يكون هذا شركا أكبر بحسب حال قائله ومقصده اه قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى فى قوله : (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) قال أخلصه وأصوبه قيل يا أبا على أخلصه وأصوبه ؟ قال إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص ما كان لله والصواب ما كان على السنة وبالله أعلم .

(١) أى هذا باب فى بيان ماورد أن من الشرك إرادة الانسان بعمله الدنيا . وأراد المؤلف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة ومابعدها أن العمل لأجل الدنيا شرك ينافى كما التوحيد الواجب ويحبط الأعمال وهو أعظم من الرياء لأن مريد الدنيا قد تغلب إرادته تلك على كثير من عمله وأما الرياء فقط يعرض له عمل ولا يسترسل معه والمؤمن يكون حذراً من هذا وهذا ، أفاده الشارح .

(٢) تمام الآية الأولى (وهم فيها يبخسون) والآية الثانية بعدها ؟

وَفِى الصَّحِيحِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ إِنْ أُعْطِىَ رَضِىَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعِسَ وَانْتَكَسَ ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ ، طُوبَى لِعَبْدٍ أَخَذَ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِى سَبِيلِ اللهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةً قَدَمَاهُ إِنْ كَانَ فِى الْحِرَاسَةِ كَانَ فِى الْحِرَاسَةِ ، وَإِنْ كَانَ فِى السَّاقَةِ كَانَ فِى السَّاقَةِ إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ لَهُ » .

وهى (أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ماكانوا يعملون) هود ١٥ ، ١٦ قال الحافظ عماد الدين ابن كثير فى تفسيره عن ابن عباس فى هذه الآية : أن أهل الرياء يعطون بحسناتهم فى الدنيا وذلك أنهم لا يظلمون فقيرا ، يقول من عمل صالحا التماس الدنيا صوما أو صلاة أو تهجدا بالليل لا يعمله إلا التماس الدنيا يقول الله تعالى أو فيه الذى التمس فى الدنيا من المثابة وحبط عمله الذى كان يعمله لالتماس الدنيا وهو فى الآخرة من الخاسرين .

(١) هذا الحديث رواه البخارى فى صحيحه فى موضعين فى كتاب الجهاد وكتاب الرقاق وليس ما ذكره المؤلف موافقاً للفظ أحدهما ولعله

نقله بالمعنى وهاك شرح ألفاظه (تعس) بفتح أوله وكسر ثانيه ويجوز الفتح وهو ضد سعد تقول تعس فلان أى شقى . وقيل معنى التعس الـكب على الوجه قال الخليل : التعس أن يعثر فلا يفيق من عثرته ، وقيل التعس الشر ومنه قوله تعالى: (فتعسا لهم) أراد إلزامهم الشر ، وقيل البعد وقيل الهلاك ، وقيل التعس أن يخر على وجهه والنكس أن يخر على رأسه ، وقيل تعس أخطأ حجته وبغيته وقوله (عبد الدينار) أى طالبه الحريص على جمعه القائم على حفظه فكأن لذلك خادمه وعبده . قال الطيبي طيب الله ثراه قليل خص العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه فى محبة الدنيا وشهواتها كالأسير الذى لا يجد خلاصا ولم يقل مالك الدينار ولا جامع الدينار لأن المذموم من الملك والجمع الزيادة على قدر الحاجة .

وقوله (أن أعطى) الخ يؤذن بشدة الحرص على ذلك ، وقال غيره جعله عبداً لها لشغفه وحرصه فمن كان عبداً لهواه لم يصدق فى حقه ـ إياك نعبد ـ فلا يكون من اتصف بذلك صديقا ، وكذلك يقال فى عبد الدرهم ، والخميصة ـ بفتح المعجمة فكسر ـ ثوب خز أو صوف معلم وهو الكساء المرابع والخميلة ـ بفتح المعجمة كل ثوب له خمل ، وفى بعض روايات صحيح البخارى يدل (الخميلة) القطيفة وفسرت بذلك ، وقوله انتكس بالمهملة أى عاوده المرض وقيل إذا سقط اشتغل بسقطته حتى يسقط أخرى ، وحكى عياض أن بعضهم رواه انتكش ـ بالشين المعجمة وفسره بالرجوع وجعله دعاء له لا عليه والأول أولى وقوله (شيك) بكسر المعجمة وسكون التحتية بعدها كاف ـ أى أصابته شوكة وانتقش بالقاف والشين المعجمة أى فلا قدر على إخراجها بالمنقاش تقول نقشت الشوك إذا استخرجته قال شيخ الإسلام فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الدينار والدرهم وعبد القطيفة وعبد

الخميصة وذكر فيه ما هودعاء بلفظ الخبر وهو قوله تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ، وهذه حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه لم يفلح لكونه تعس وانتكس فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه وهذه حال من عبد المال وقد وصف ذلك بأنه إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط كما قال تعالى (ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) فرضاؤهم لغير الله وسخطهم لغير الله وهكذا حال من كان متعلقا منها برياسة أو بصورة ونحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضى وإن لم يحصل له سخط ؛ فهذا عبد ما يهواه من ذلك وهو رقيق له إذ الرق والعبودية فى الحقيقة هو رق القلب وعبوديته فما استرق القلب واستعبده فهو عبد اه وقوله (طوبى لعبد) هى على وزن فعلى اسم الجنة وقيل هى شجرة فيها وفيها إشارة إلى الحض على العمل بما حصل به خير الدنيا والآخرة وعنان الفرس - بكسر أوله - سير اللجام قوله فى سبيل الله أى فى جهاد المشركين ، وقوله (أشعث) صفة لعبد مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه غير منصرف فى الوصف ووزن الفعل ولفظ (رأسه) مرفوع على الفاعلية ، وقوله (فى الحراسة) هو بكسر الحاء حماية الجيش عن أن يهجم العدو عليهم وهذا من المواضع التى اتحد فيها الشرط والجزاء لفظا لكن المعنى مختلف والتقدير إن كان المهم فى الحراسة كان فيها ، وقيل معنى فهو فى الحراسة أى فهو فى ثواب الحراسة والساقة مؤخرة الجيش يعنى أنه يقلب نفسه فى مصالح الجهاد فكل مقام يقوم فيه إن كان ليلا أو نهاراً رغبة فى ثواب الله تعالى وطلبا لمرضاته جل وعز ؛ قال العلامة ابن الجوزى : المعنى أنه خامل الذكر لا يقصد السمو فان اتفق له السير أسار فكأنه قال إن كان فى الحراسة استمر فيها وإن كان فى الساقة استمر فيها

فيه مسائل : الأولى إرادة الانسان الدنيا بعمل الآخرة الثانية تفسير آية هود الثالثة تسمية الانسان المسلم عبد الدينار والدرهم الخميصة الرابعة تفسير ذلك بأنه أعطي رضى وإن لم يعط سخط الخامسة قوله تعس وانتكس السادسة قوله وإذا شيك فلا انتقش السابعة الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

﴿ بَابُ ﴾

مَنْ أَطَاعَ الْعُلَمَاءَ وَالْأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ فَقَدِ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ (١) .

وقوله (إن استأذن لم يؤذن له) الخ أى ان استأذن على أمير أو حاكم أو غني لم يؤذن له لأنه لا جاه له عندهم ولا منزلة له ليس من طلابها وىما يطلب ماعند الله لا يقصد بعمله سواه وقوله إن شفع هو بفتح أوله وثانيه ولم يشفع بفتح الفاء المشددة يعنى لو ألجأته الحال إلى أن يشفع فى أمر يحبه الله ورسوله لم تقبل شفاعته عند أهل الدنيا الفانية قال الحافظ شهاب الدين ابن حجر فى فتح البارى فيه ترك حب الرياسة والشهرة وفضل الخمول والتواضع والله أعلم .

(١) إطاعة العلماء والأمراء والسلاطين والملوك واجبة فيما أباحه الشارع وأحله وممنوعة فيما لم يبحه الشارع وزجر عنه واستدل المصنف رحمه الله تعالى على أن الناس إذا أطاعوا أمراءهم والعلماء هم فى تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذوهم أربابا من دون الله تعالى بآية (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُوشِكُ أَنْ تَنَزَّلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ أَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ (١) ، وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ

---

(١) قول ابن عباس رضى الله عنهما هـذا جواب لمن قال له أن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما لا يريان التمتع بالعمرة إلى الحج ويريان أن افراد الحج أفضل ، أو كان ابن عباس يرى أن التمتع بالعمرة إلى الحج واجب ويقول إذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط فقد حل من عمرته شاء أم أبى لحديث سراقة بن مالك حين أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يجعلوها عمرة ويحلوا إذا طافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة فقال سراقة يارسول الله ألعامنا هذا أم للأبد ؟ فقال بل للأبد ، وعلى هذا فلا عذر لمن استغنى أن ينظر فى مـذاهب العلماء وما استدل به كل إمام يأخـذ من أقوالهم مادل عليه الدليل إذا كان له ملـكة يقتدر بها على ذلك كما قال الله تعالى (فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول) الآية ولما فى صحيح البخارى ومسلم وغيرهما (أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أهديت ولو أن معى الهدى لأحللت) هذا لفظ البخارى فى حديث عائشة رضى الله عنها ولفظه فى حديث جابر (افعلوا ما أمرتـكم به فلولا إنى سقت الهدى لفعلت مثل الذى أمرتـكم) وأمثال هـــذا كثير وكل هذا يؤيد قول ابن عباس رضى الله عنهما ، وقوله يوشك ـ هو بضم أوله وكسر الشين المعجمة ـ أى يقرب ويسرع . قال الإمام مالك إمام دار الهجرة مامنا إلا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى : أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد وكلام الأئمة فى هذا المكان واسع جداً .

حَنْبَل : عَجِبْتُ مِنْ قَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ وَيَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أَتَدْرُونَ مَا الْفِتْنَةُ الْفِتْنَةُ الشِّرْكُ لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلِكَ (١) .

---

(١) قال فى الشرح : رواه عنه الفضل بن زياد وأبو طالب قيل له أن قوما يدعون الحديث ويذهبون إلى رأى سفيان وغيره فقال الخ ، وسفيان هذا هو العالم المجتهد الزاهد العابد الثقة الفقيه صاحب مذهب وأصحاب وينقل كلامه فى كثير من الكتب المطولة كالمحلى لابن حزم ، فقول الامام أحمد رحمه الله تعالى عجبت لقوم الخ انكار منه لذلك وإنه يؤول إلى زيغ القلوب الذى به المرء كافرا وقد عمت البلوى بهذا المنكر خصوصا ممن ينتسب إلى العلم نصبوا الحبائل فى الصد عن الأخذ بالكتاب والسنة وصدر الناس عن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيم أمره ونهيه فمن ذلك قولهم لايستدل بالكتاب والسنة إلا المجتهد — والاجتهاد — قد انقطع ويقول هذا الذى قلدته أعلم منك بالحديث وبناسخه ومنسوخه ونحو ذلك من الأقوال التى غايتها ترك متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى والاعتماد على قول من يجوز عليه الخطأ وغيره من الأئمة يخالفه ويمنع قوله بدليل فما من إمام إلا الذى معه بعض العلم لا كله فالواجب على كل مكلف إذا بلغه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله وفهم معنى ذلك أن ينتهى إليه ويعمل به وإن خالفه من خالفه كما قال تعالى : (واتبعوا ما أنزل إليكم من

ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) الآية وقال تعالى : (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) وفي كلام الامام أحمد رحمه الله تعالى إشارة إلى أن التقليد قبل بلوغ الحجة لا يذم إنما ينكر على من بلغته الحجة وخالفها لقول إمام من الأئمة وذلك إنما نشأ عن الاعراض من تدبر كتاب الله وسنة رسوله والاقبال على كتب من تأخر والاستغناء بها عن الوحيين وهذا أشبه ماوقع من أهل الكتاب الذى قال الله فيهم (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) فيجب على من نصح نفسه إذا قرأ كتب العلماء ونظر فيها وعرف أقوالهم أن يعرضها على ما في الكتاب والسنة فان كل مجتهد من العلماء ومن تبعه وانتسب إلى مذهبه لابد أن يذكر دليله والحق في المسألة واحد والأئمة يثابون على اجتهادهم فالمصنف يجعل النظر في كلامهم وتأمله طريقا إلى معرفة المسائل واستحضارها ذهنا وتمييز للصواب من الخطأ بالأدلة التي يذكرها المستدلون ويتعرف بذلك من هو أسعد بالدليل من أن تحصر وفي السنة كذلك كما أخرج أبو داود بسنده عن أناس من أصحاب معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث معاذا إلى اليمن قال : كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟ قال أقضي بكتاب الله تعالى قال فان لم تجد في كتاب الله ؟ قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في كتاب الله قال أجتهد برأيي ولا آلو قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله) وساق بسنده عن الحارث بن عمرو عن أناس من أصحاب معاذ ابن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن بمعناه . والأئمة رحمهم الله لم يقصروا في البيان عن تقليدهم إذا استبانت السنة لعلمهم أن من العلم شيئا لم يعلموه وقد يبلغ غيرهم وذلك

كثير كما لايخفى على من نظر فى أقوال العلماء . قال أبو حنيفة رحمه الله : إذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وإذا جاء عن الصحابة رضى الله عنهم فعلى الرأس والعين وإذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال . وقال إذا قلت قولان وكتاب الله يخالفه فاتركوا قولى لكتاب الله قيل إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالفه قال اتركوا قولى لخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فخذوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلت . وقال إذا صح الحديث بما يخالف قولى فاضربوا بقولى الحائط . وقال مالك كل واحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتقدم له مثل ذلك فلا عذر لمقلد بعد هذا ولو استقصينا كلام العلماء فى هذا لخرج بنا عما قصدناه من الاختصار وفيما ذكرناه كفاية لطالب الهدى . قوله لعله إذا رد بعض قوله أى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقع فى قلبه شىء من الزيغ فيهلك . رحمه الله أن رد قول الرسول صلى الله عليه وسلم سبب لزيغ القلب وذلك هو الهلاك فى الدنيا والآخرة كما قال تعالى « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدى القوم الفاسقين »قال شيخ الإسلام رحمه الله فى معنى قول الله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره)فاذا كان المخالف لأمره قد حذر من الكفر والشرك والعذاب الأليم دل على أنه قد يكون مفضيا إلى الكفر والعذاب الأليم ومعلوم أن افضاءه إلى العذاب الأليم هو مجرد فعل المعصية فافضاؤه إلى الكفر إنما هو لما يقترن به من الاستخفاف فى الأمر كما فعل إبليس لعنه الله تعالى ا هـ . وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى عن الضحاك (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة) فقال يطبع على قلبه فلايؤمن أن يظهر الكفر بلسانه فتضرب عنقه . قال أبو جعفر بن جرير أدخلت (عن) لأن معنى الكلام

وَعَنْ عَدِيٍّ بْنِ حَاتِم . أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هٰذِهِ الآيَة : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ) الآيَة « فَقُلْتُ لَهُ إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ قَالَ أَلَيْسُوا يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ الله فَتَحِلُّونَهُ فَقُلْتُ بَلَى قَالَ فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِي وَحَسَّنَهُ (١) .

فيه مسائل : الأولى تفسير آية النور ، الثانية تفسير آية براءة . الثالثة التنبيه على معنى العبادالتي أنكرها عدى . الرابعة تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر وتمثيل أحمد بسفيان ، الخامسة تغير الأحوال إلى هذه الغاية صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال وتسمى الولاية وعبادة الأحبار هي العلم والفقه ثم تغيرت الأحوال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين .

عن أمره ويدبرون معرضين : قوله (أو يصيبهم) في عاجل الدنيا عذاب من الله موجع على خلافهم أمر رسول الله ﷺ :

(١) هذا الحديث يدل على أن طاعة الرهبان والأحبار في معصية الله عزوجل عبادة لهم من دون الله . ومن الشرك الأكبر الذى لايغفره الله تعالى لقوله جل وعز (وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) ونظير ذلك قوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) .

﴿ بَابُ ﴾

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً) الْآيَاتِ (١) .

---

(١) قال العلامة حافظ الشام عماد الدين بن كثير فى تفسيره : هذا إنكار من الله عزوجل على من يدعى الايمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين هو مع ذلك يريد أن يتحاكم فى فصل الخصومات إلى كتاب الله وسنة رسوله كما ذكر فى سبب نزول هذه الآية أنها فى رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصما فجعل اليهودى يقول بينى وبينك محمد وذاك يقول بينى وبينك كعب ابن الأشرف وقيل فى جماعة من المنافقين ممن أظهر الاسلام أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية ؛ وقيل غير ذلك والآية أعلم من ذلك كله فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت ها هنا ولهذا قال (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) إلى آخرها اه وقوله (ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً) بين تعالى ذكره فى هذه الآية أن التحاكم إلى الطاغوت مما يؤمر به الشيطان ويزينه لمن أطاعه ويبين أن ذلك مما أضل به الشيطان من أضله وأكده بالمصدر ووصفه بالبعد فدل على أن ذلك من أعظم الضلال وأبعده عن الهدى . قال فى الشرح : فى هذه الآية أربع أمور الأول أنه من إرادة الشيطان ، والثانى أنه ضلال ، والثالث تأكيده بالمصدر والرابع وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى فسبحان الله ما أعظم هذا القرآن

وَقَوْلِهِ (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) (١) ، وَقَوْلِهِ (وَلاَ تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا) (٢) ،

وما أبلغه وما أدله على أنه كلام رب العالمين أوحاه إلى رسوله الكريم وبلغه عبده الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليهما أجمعين .

(١) قال ابن كثير نقلا عن أبى العالية قال : يعنى لا تعصوا فى الأرض وكان فسادهم ذلك معصية الله لأنه من عصى الله فى الأرض أو أمر بمعصية فقد أفسد فى الأرض لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة ، وقال ابن جريج عن مجاهد : إذا ركبوا معصية الله فقيل لهم لا تفعلوا كذا وكذا قالوا إنما نحن مصلحون ، فالمنافق لما كان ظاهره الايمان اشتبه أمره على المؤمن فكان الفساد من جهة المنافق حاصل لأنه هو الذى غر المؤمنين بقوله الذى لاحقيقة له ووالى الكافرين على المؤمنين ولو أنه استمر على حاله الأولى لكان شره أخف ولو أخلص العمل لله .

وتطابق قوله وعمله لأفلح وأنجح ولهذا قال تعالى : (وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) أى نريد أن نداوى الفريقين من المؤمنين والكافرين ونصطلح مع هؤلاء .

(٢) قال شمس الدين بن قيم الجوزية رحمه الله تعالى : قال أكثر المفسرين لا تفسدوا فيها بالمعاصى والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم فسادا فى الأرض بل فساد الأرض فى الحقيقة إنما هو الشرك به ومخالفة ما أمره ، الشرك والدعوة إلى غير الله وإقامة

وَقَوْلِهِ (أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ)(١) الآيَةَ .

معبود غيره ، ومطاع متبع غير رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أعظم فسادا في الأرض ولا إصلاح لها ولا لأهلها أن يكون الله وحده هو المعبود المطاع والدعوة له لا لغيره والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ فاذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع له ولا طاعة ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح فى الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله وكل شر فى العالم فتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة الله ورسوله والدعوة إلى غير الله ورسله انتهى .

(١) قال الحافظ أبو الفداء عماد الدين ينكر تعالى من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهى عن كل شر وعدل إلى ماسواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التى وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن جنكزخان الذى لهم وضع الياسق،وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الاسلامية وغيرها . وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظره وهواه فصارت فى بنيه شرعا متبعا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه فى قليل ولا كثير قال الله تعالى : (أفحكم الجاهلية يبغون) أى يبتغون ويريدون وعن حكم الله يعدلون (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) أى ومن أعدل من الله فى حكمه فمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله تعالى أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنُ عَمْرُو أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ » قَالَ النَّوَوِيُّ حَدِيثٌ صَحِيحٌ (١)

من الوالدة بولدها فانه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل فى كل شيء .

(١) هذا الحديث رواه الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصفهانى وقيل هو أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسى الشافعى الفقيه الزاهد نزيل دمشق فى كتاب الحجة على تارك المحجة - فى عقيدة أهل السنة رواه محي السنة البغوى فى المصابيح وشرح السنة ، وأخرجه أبو نعيم فى كتابه الأربعين التى شرط فى أولها أن يكون من صحاح الأخبار وجياد الآثار مما أجمع الناقلون على عدالة ناقله ، رواه الطبرانى أيضا وكذا الحافظ أبو بكر بن عاصى الأصفهانى ومعنى الحديث والله الهادى إلى فهمه لا يكمل إيمان أحدكم حتى يكون موافقته الشريعة مثل موافقته لمألوفاته من غير الكلفة ويجوز أن يحمل على نفى أصل الإيمان أى حتى يكون تابعا للشرع اعتقاداً كالمخلصين لاخوفا وإكراما كالمنافقين ويوافق هذا الحديث خبر (لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده وأهله والناس أجمعين) رواه الشيخان ولما صدقت محبة الصحابة له صلى الله عليه وسلم وكان هواهم تبعا لما جاء به قاتلوا معه آباءهم وأبناءهم وبذلوا فى طريقهم مهجهم وأنفقوا أموالهم فطوبى لهم فاكان الهوى - وهو الباطل المطاع المحبوب الاتباع - تابعا لطرق الهدى من الملة البيضاء والسنة الزهراء حتى يصير همومه المختلفة وخواطره المتفرقة التى تنبعث من هوى النفس وميل الطبع هما واحداً يتعلق بأمر ربه واتباع شرعه تعظيما لحقه وشفقته على

خلقه كما قال :

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت إذ رأتك العين أهوائى
وصار يحسدنى من كنت أحسدهم
وصرت مولى الورى إذ صرت مولائى
تركت للخلق دنياهم ودينهم وشغلا بحبك يا دينى ودنياى

فلا يميل إلا بأمر الشرع ولا يهوى إلا حكم الطبع فهو المؤمن الكامل الوحيد الذى يقبل منه التوحيد ومن أعرض عنه متبعا لهواه مبتغيا لرضاه فهو الكافر الخاسر فى دنياه وعقباه ومن اتبع أصول الشريعة دون فروعها فهو الفاسق ومن عكس فهو المنافق والهوى مصدر هواه أحبه وشرعا ميل النفس إلى مشتهيات الطبع دون مقتضيات الشرع . قال الراغب : مثل النفس فى البدن كمجاهد بعث إلى ثغر يراعى أحواله ، وعقله خليفة مولاه لديه ضم إليه ليرشده ويشهد له وعليه وبدنه بمنزلة مركوب . وهواه سائس خبيث ضم إليه ليتفقد مركوبه والقرآن بمنزلة كتاب أتاه من مولاه تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة . والنبى رسول أتاه الكتاب ليبين للناس ما نزل إليهم وأشكل عليهم فان جاهد أعداءه وقهرهم واستعان بالعقل من أمرهم حمد أثره إذا عاد إلى حضرته وهو من المفلحين ومن ضيع ثغره وأهمل رعيته وصرف همته إلى مركوبه وأقام سائس المركوب مقام خليفه ربه فهو فى الآخرة من الخاسرين .

قال الحافظ الامام ابن رجب رحمه الله تعالى فى شرح هذا الحديث : أما معنى الحديث فهو أن الانسان لايكون مؤمنا كامل الايمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاءبه الرسول صلى الله عليه وسلم من الأوامر والنواهى وغيرها فتحب ما أمر به ويكره ما نهى عنه ، وقد ورد القرآن بمثل هذا المعنى فى غير موضع . وذم سبحانه من كره ما أحبه الله أو أحب ما كرهه الله كما قال

تعالى وذلك بأنهم اتبعوا ماأسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ، فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله محبة توجب له الاتيان بما أوجب عليه عنه فان زادت المحبة حتى أتى بما ندب إليه منه كان ذلك فضلا وأن يكره ما يكرهه الله كراهة توجب له الكف عما حرم عليه منه . فان زادت الكراهة حتى أوجبت الكف عما كرهه تنزيها كان ذلك فضلا بمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلب أوجب ذلك له أن يحب بقلبه ما يحب الله ورسوله ويكره ما يكرهه الله ورسوله فيرضى بما يرضى به الله ورسوله ويسخط ما يسخط الله ورسوله ويعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض ، فان عمل بجوارحه شيئا يخالف ذلك بأن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله وترك محبة الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه دل على ذلك نقص محبته الواجبة فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة التى هى ركن العبادة إذا كملت فجميع المعاصى تنشأ عن تقديم هوى النفس على محبة الله ورسوله وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى فى مواضع من كتابه ، فقال تعالى : (فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ولهذا سمى أهلها أهل الأهواء وكذلك المعاصى إنما تنشأ من تقديم الهوى على محبة الله ومحبة مايحبه ، وكذلك حب الأشخاص الواجب فيه أن يكون تبعا لما جاء به الرسول ﷺ . فيجب على المؤمن محبة ما مايحبه من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عموما ، ولهذا كان من علامات وجود حلاوة الايمان أن يحب المرء لايحبه إلا لله فيحرم موالاة أعداء الله ومن يكرهه الله عموما وبهذا يكون الدين كله لله ومن أحب لله

رَوَيْنَاهُ فى كِتَابِ الْحُجَّةِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٌ . وَقَالَ الشَّعْبِيُّ [1] كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَأْخُذُ ورَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ . فَقَالَ الْيَهُودِيُّ نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ عَرَفَ أَنَّهُ الرَّشْوَةَ وَلاَ يَمِيلُ فى الْحُكْمِ [2] وَقَالَ الْمُنَافِقُ نَتَحَاكَمُ إِلَى الْيَهُودِى ، لِعِلْمِهِ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرَّشْوَةَ

وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان ، ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه كان ذلك نقصا فى إيمانه الواجب فتجب التوبة من ذلك . اهـ ملخصا .

(١) الشعبي هو الامام العلامة الحافظ البارع المجتهد عامر بن شراحيل الكوفى ذو الفنون كان يقول رحمه الله تعالى : ما كتبت سوداء فى بيضاء ونسيتها وأدرك خلقا كثير من الصحابة وعاش بضعا وثمانين سنة وفى كلامه هذا ما يدل على أن المنافق يكون أشد كراهة لحكم الله ورسوله من اليهود والنصارى وهو أشد عداوة منهم لأهل الايمان كما هو الواقع فى هذه الأزمنة وقبلها من إعانة العدو على المسلمين وحرصهم على إطفاء نور الإسلام والإيمان ومن تدبر ما فى التاريخ وما وقع منهم من الوقائع عرف أن هذا حال المنافقين قديما وحديثا وقد حذر الله نبيه صلى الله عليه وسلم من طاعتهم والقرب منهم وحضه على جهادهم فى مواضع من كتابه قال الله تعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم) الآية .

(٢) بتثليث الراء هى ما يعطيه أحد الخصمين للقاضى ليحكم له قال ابن القيم هذا دليل على من دعى إلى تحكيم الكتاب والسنة فأبى أنه من المنافقين

فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِى جُهَيْنَةَ فَيَتَحَا كَمَانِ إِلَيْهِ فَنَزَلَتْ (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ) الآيَةَ . وَقِيلَ نَزَلَتْ فِى رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا فَقَالَ أَحَدُهُمَا نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ ، وَقَالَ الآخَرُ نَتَرَافَعُ إِلَى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ إِلَى عُمَرَ فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا الْقِصَّةَ فَقَالَ لِلَّذِى لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَكَذٰلِكَ ؟ قَالَ نَعَمْ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ فَنَزَلَتْ .

فيه مسائل الأولى تفسير آية النساء وما فيها من الاعانة على فهم الطاغوت (١)

الثانية تفسير آية البقرة (وإذا قيل لهم لاتفسدوا فى الأرض) الآية .

الثالثة تفسير آية الأعراف (ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها) .

الرابعة تفسير (أفحكم الجاهلية يبغون) .

الخامسة ما قال الشعبى فى سبب نزول الآية الأولى .

السادسة تفسير الإيمان الصادق والكاذب .

السابعة قصة عمر مع المنافق .

الثامنة كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هو تبعا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(١) يؤخذ من الآية أن من يحكم بغير ما أنزل الله طاغوت وهذا يشمل كل من عرف حكم الله أو أمكنه أن يعرفه وحكم بخلافه كما هو واقع فى هذا الزمان نرجو الله السلامة .

﴿ بَابُ مَنْ جَحَدَ شَيْئاً مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ﴾ (١)

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ) الآيَة .

---

(١) أى هذا باب بيان حكم من جحد شيئاً من أسماء الله تعالى وصفاته وقد استدل المصنف رحمه الله تعالى على كفر من أنكر ذلك بالآية القرآنية وقد ذهب إلى إثبات الله تعالى وأسمائه كما وصف الله بها نفسه أهل السنة والجماعة ومال أهل البدع والأهواء كجهم ابن صفوان ومن تبعه إلى أن أسماء الله عزوجل لاتدل على صفة قائمة بالله تعالى وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم فلهذا كفرهم كثير من أهل السنة قال الإمام شمس الدين بن قيم فى نونيته :

ولقد تقلد كفرهم خمسون فى عشر من العلماء فى البلدان
واللالكائى الإمام حكاه عنهم بل حكاه قبله الطبرانى

قال فى الشرح : فان الكلام فى الصفات فرع من الكلام فى الذات يحتذى حذوه فكما أن هؤلاء المعطلة يثبتون لله ذاتاً لا تشبه الذوات فأهل السنة يقولون ذلك ويثبتون ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من صفات كماله و نعوت جلاله لا تشبه صفات خلقه فانهم آمنوا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يتناقضوه وأولئك المعطلة كفروا مما فى الكتاب والسنة من ذلك وتناقضوا فبطل قول المعطلين بالعقل والنقل ولله الحمد والمنة وإجماع أهل السنة من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين .

وقد صنف العلماء رحمهم الله تعالى فى الرد على الجهمية والمعطلة والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم فى أبطال هذه البدع وما فيها من التناقض والتهافت كالامام أحمد رحمه الله

قَالَ الْبُخَارِىُّ فِى صَحِيحِهِ قَالَ عَلِىٌّ(١) حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُوله وَرَوَى عَبْدُ الرَّازِق عَنْ مُعمر عَنِ ابْنِ طَاوُوسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً انْتَفَضَ(٢) حِينَ سَمِعَ حَدِيثاً النَّبِىِّ ﷺ فِى الصِّفَاتِ اسْتِنْكَاراً لِذَٰلِكَ ،

تعالى فى رده المشهور ، وكتاب السنة لابنه عبد الله ، وصاحب الحيرة عبد العزيز الكتانى فى رده على بشر المريسى ، وكتاب السنة لأبى عبد الله المروزى . ورد عثمان بن سعيد على الكافر العنيد وهو بشر المريسى ، وكتاب التوحيد لإمام الأئمة محمد بن خزيمة الشافعى ـ وهو تحت الطبع ـ وكتاب السنة لأبى بكر الخلال وأبى عثمان الصابونى الشافعى ، وشيخ الإسلام الأنصارى وأبى عمر بن عبد النمرى وخلق كثيرين من أصحاب الأئمة الأربعة وأتباعهم أهل الحديث ومن متأخريهم أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة وشيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه وغيرهم رحمهم الله تعالى فلله الحمد والمنة على بقاء السنة وأهلها مع تفرق الأهواء وتشعب الآراء والله أعلم .

(١) هو ابن أبى طالب ، والنهى والله أعلم عن الأخبار الاسرائلية التى لا تدل على حلال ولا على حرام ولا ينفع العامة علمها بل ربما ضرهم بنحو هذا فسره الشارح .

(٢) بالفاء من الانتفاض أى تحرك واضطراب من هول ما سمع وكذا فى النسخة الخطية بالفاء أيضا وفى الشرح انتقض بالقاف ومعناه على هذه النسخة انتكس وانحل أى فسدت حاله والله أعلم .

فَقَالَ مَا فَرَق [١] هٰؤُلَاءِ يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ [٢] ، انتهى . وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الرَّحْمٰنَ أَنْكَرُوا ذٰلِكَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ) [٣] .

---

(١) هو بفتحتين الخوف (والاستفهام انكارى ليس خوفهم بشيء لإيمانهم ببعض الحديث وكفرهم ببعض .

(٢) عن جماعة من الصحابة المحكم هو الناسخ الذى يعمل به والمتشابه هو المنسوخ وقد يطلق المتشابه على مالا يعرفه حقيقة إلا الله كآيات الصفات وأحاديثها وهذا هو المراد هنا .

(٣) هذا قول ابن عباس رضى الله عنهما فى سبب نزول الآية ، وعن قتادة وابن جريج . ومقاتل أن الآية نزلت فى مشركى مكة لما رأوا كتاب الصلح يوم الحديبية .

وقد كتب على كرم الله وجهه (بسم الرحمن الرحيم)

فقال سهيل مايعرف الرحمن إلا مسيلمة ؟

وقيل سمع أبو جهل قول رسول الله ﷺ ياالله يارحمن فقال إن محمداً ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إلهين فنزلت .

﴿ بَابٌ ﴾

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) [١] الآيَةَ .

قَالَ مُجَاهِدٌ مَا مَعْنَاهُ : هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ هٰذَا مَالِي وَوَرِثْتُهُ مِنْ آبَائِي .

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِاللهِ يَقُولُونَ لَوْلاَ فُلاَنٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا ، وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ يَقُولُونَ هٰذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا .

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ [٢] بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيهِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ « أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ » الْحَدِيث ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ، وَهٰذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَيُشْرِكُ بِهِ .

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ هُوَ قَوْلُهُمْ كَانَتْ الرِّيحُ طَيِّبَةً وَالْمَلاحُ حَاذِقٌ وَنَحْوَ ذٰلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ .

فيه مسائل: الأولى تفسير معرفة النعمةوإنكارها الثانية معرفة أن هذا جارعلى ألسنة كثيرة الثالثة تسمية هذا الكلام إنكار للنعمة الرابعةاجتماع الضدين فى القلب

---

(١) قال أهل التأويل معنى ذلك أنهم يعرفون تعالى ذكره فى هذه أن ما عدد الله تعالى ذكره فى هذه السورة من النعم من عند الله وأن الله هو المنعم عليهم بذلك ولكنهم ينكرون ذلك فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم والله أعلم .

(٢) هو الامام شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وحديث زيدبن خالد تقدم فى باب ما جاء فى الاستسقاء بالانوار.

﴿ بَابُ ﴾

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْـتُمْ تَعْلَمُونَ) [١] .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِى الآيَةِ الْأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ [٢] سَوْدَاءَ فِى ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَهُوَ أَنْ تَقُولَ وَاللهِ وَحَيَاتِكِ يَا فُلاَنَةُ وَحَيَاتِى وَتَقُولَ لَوْلاَ الْكَلْبُ لَأَتَانَا اللُّصُوصُ لَوْلاَ الْبَطُّ [٣] فِى الدَّارِ لَأَتَانَا اللُّصُوصُ وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ لَوْلاَ اللهُ وَفُلاَنٌ لاَ تَجْعَلْ [٤] فِيهَا فُلاَنًا هٰذَا كُلُّهُ بِهِ

---

(١) الأنداد جمع ند وهو المثل والنظير ، وجعل الند لله هو صرف أنواع العبادة أو شىء منها لغير الله كحال عبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم ويشفع لهم ما قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره . قال أبو العالية : لا تجعلوا لله أندادا أى عدلاء شركاء وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة والسدى وأبو مالك وإسماعيل بن أبى خالد : وقال ابن عباس : (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون)أى لا تشركوا بالله شيئا من الأنداد التى لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أن ربكم لا يرزقكم غيره وقد علمتم أن الذى يدعوكم الرسول إليه من توحيده هو الحق الذى لاشك فيه وكذلك قال قتادة ومجاهد لاتجعلوا لله أندادا قال أكفاء من الرجال تطيعونهم فى معصية الله والله أعلم .

(٢) هو الحجر الأملس .

(٣) هو من طير الماء .

(٤) أى لا تجعل فى مقالتك فلانا بل الله وحده .

شِرْكٌ[١] رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِم ، وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ »[٢] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا[٣] .

---

(١) قال فى الشرح ، بين ابن عباس رضى الله عنهما أن هذا كله من الشرك وهو الواقع اليوم على ألسنة كثير ممن لا يعرف التوحيد ولا الشرك فتنبه لهذه الأمور فانها من المنكر العظيم الذى يجب النهى عنه والتغليظ فيه لكونه أكبر الكبائر . وهذا من ابن عباس رضى الله عنهما تنبيه بالأدنى من الشرك على الأعلى .

(٢) قوله (فقد كفر أو أشرك) يحتمل أن يكون شكا من الراوى ويحتمل أن تكون أو بمعنى الواو فيكون قد كفر وأشرك ويكون من الكفر الذى هو دون الكفر الأكبر كما هو من الشرك الأصغر ، وورد مثل هذا عن ابن مسعود بهذا اللفظ أفاده الشارح

(٣) قال فى الشرح: ومن المعلوم أن الحلف بالله كاذباً كبيرة من الكبائر لكن الشرك أكبر من الكبائر وإن كان أصغر كما تقدم بيانه ذلك فاذا كان هذا حال الشرك الأصغر فكيف بالشرك الأكبر الموجب للخلود فى النار كدعوة غير الله والاستغاثة به والرغبة إليه وإنزال حوائجه به كما هو حال الأكثر من هذه الأمة فى هذه الازمان وما قبلها من تعظيم القبور واتخاذها أوثانا والبناء عليها واتخاذها مساجد وبناء

وَعنْ حُذَيفَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ عنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ : « لاَ تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلاَنٌ وَلَـكِنْ قُولُوا مَا شاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلاَنٌ » (١) رَوَاهُ دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ ، وَجَاءَ عنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ (٢) أَنَّهُ يُـكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُل أَعُوذُ بِاللهِ وَبِكَ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ بِاللهِ ثُمَّ بِكَ

المشاهدة باسم الميت لعبادة من بنيت باسمه وتعظيمه والاقبال عليه بالقلوب والأقوال والأعمال وقد عظمت البلوى بهذا الشرك الأكبر الذى لا يغفره أو تركوا الله مادل عليه القرآن العظيم من النهى عن الشرك وما يوصل إليه قال الله تعالى :(ومن أظلم من افترى على الله كذبا وكذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) إلى قوله : (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) كفرهم تعالى بدعوتهم من كانوا يدعونه من دونه فى دار الدنيا وقد قال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) وقال تعالى : قل إنما أدعو ربى ولا أشرك به أحداً قل إنى لا أملك لكم ضراً ولا رشداً) وهؤلاء المشركون عكسوا الأمر فخالفوا ما بلغ به الأمة وأخبر به عن نفسه صلى الله عليه وسلم فعاملوه بما نهاهم عنه من الشرك بالله والتعلق على غير الله .

(١) لأن المعطوف بالواو يكون مساويا للمعطوف عليها لكونها إنما وضعت لمطلق الجمع فلا تقضى ترتيبا ولا تعقيبا وتسوية المخلوق بالخالق شرك إن كان فى الأصغر مثل هذا هو أصغر وإن كان فى الأكبر فهو اكبر كما قال تعالى عنهم فى الدار الآخرة (تالله إن كنا لفى ضلال مبين إذ انسويكم برب العالمين) بخلاف المعطوف بثم فان المعطوف بها يكون متراخيا عن المعطوف عليه بمهلة فلا محذور لكونه صار تابعا والله أعلم .

(١) هو العالم الحافظ الفقيه رأس أهل الكوفة فى زمنه ومفتيها المتوفى

قَالَ وَيَقُولُ لَوْلاَ اللهُ ثُمَّ فُلاَنٌ وَلا تَقُولُوا لوْلاَ اللهُ وَفُلاَنٌ .

فيه مسائل الأولى تفسير آية البقرة فى الأنداد ، الثانية أن الصحابة يفسرون الآية النازلة فى الشرك الأكبر أنها تعم الأكبر والأصغر الثالثة أن الحلف

سنة ٩٦ والنخعى نسبة إلى نخع بفتحتين قبيلة من اليمن . قال فى الشرح وهذا إنما هو فى الحى الحاضر الذى له قدرة وسبب فى الشىء وهو الذى يجرى فى حقه مثل ذلك وأما فى حق الأموات الذى لا إحساس لهم بمن يدعوهم ولا قدرة لهم عن نفع ولاضر فلا يقال فى حقهم شىء من ذلك فلا يجوز التعلق بشىء ما بوجه من الوجوه ، والقرآن يبين ذلك وينادى بأنه يجعلهم آلهة إذا سئلوا شيئا من ذلك ورغب إليهم أحد بقوله أو عمله الباطن أو الظاهر ، فمن تدبر القرآن ورزق فهمه صار على بصيرة من دينه وبالله التوفيق . والعلم له أسباب ولقد أحسن العلامة ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى حيث قال فى نونيته :

والجهل داء قاتل وشفاؤه	أمران فى الترتيب متفقان
نص من القرآن أومن سنة	وطبيب ذاك العالم الربانى
والعلم أقسام ثلاث مالها	من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله	وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهى الذى هو دينه	وجزاؤه يوم المعاد الثانى
والكل فى القرآن والسنن التى	جاءت عن المبعوث بالقرآن
والله ما قال امرؤ متحذلق	بسواهما إلا من الهذيان

بغير الله شرك الرابعة أنه إذا حلف بغير الله صادقا فهو أكبر من اليمين الغموس الخامسة بين الواو وثم فى اللفظ .

﴿ بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْحَلِفِ بِاللهِ ﴾

عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لاَ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِى شَىْءٍ » (١) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ .

فيه مسائل . الأولى النهى عن الحلف بالآباء الثانية الأمر المحلوف له بالله أن يرضى الثالثة وعيد من لم يرض

﴿ بَابُ قَوْلِ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ ﴾

عنْ قُتَيْلَةَ أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ وَتَقُولُونَ وَالْكَعْبَةِ ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ وَأَنْ يَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ (٢) .

---

(١) الحلف بغير الله تعالى تقدم النهى عنه بالحلف بالاباء داخل فيه وقوله ومن حلف بالله فليصدق ورد الحث على الصدق فى كتابه المنزل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كثيراً .

(٢) (قتيلة) ـ بقاف بعدها تاء مثناة من فوق مصغرا ـ بنت صيفى

رَوَاهُ النِّسَائِى وَصَحَّحَهُ ، وَلَهُ أَيْضاً عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ ، فَقَالَ أَجَعَلْتَنِى لِلهِ نِدًّا (١) قُلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ ، وَلِابْنِ مَاجَةَ عَنِ الطُّفَيْلِ أَخِى عَائِشَةَ لِأُمِّهَا قَالَ رَأَيْتُ (٢) كَأَنِّى أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ (٣) مِنَ الْيَهُودِ قُلْتُ إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ (٤) لَوْلاَ

الأنصار صحابية مهاجرة ، وفى الحديث دليل على قبول الحق ممن جاء به كائناً من كان وفيه أيضا النهى عن الحلف بالكعبة مع أنها بيت الله تعالى التى هى بيت الله تعالى التى حجها وقصدها بالحج والعمرة فريضة قال فى الشرح وهذا يبين النهى عن الشرك بالله عام لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا نبى مرسل ولا للكعبة التى هى بيت الله فى أرضه وأنت ترى ما وقع من الناس اليوم من الحلف بالكعبة وسؤالها ما لا يقدر عليه إلا الله ومن المعلوم أن الكعبة لا تضر ولا تنفع وإنما شرع الله لعباده الطواف بها ودعاؤها ممنوع فمن أيها المكلف مايشرع وما يمنع وإن خالفك من خالفك من حيلة الناس الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا وقوله :

« إنكم تشركون تقولون ماشاء الله وشئت » فالعبد وإن كانت له مشيئة فشيئته تابعة لمشيئة الله ولا قدرة له على أن يشاء شيئا إلا إذا كان الله قدشاء كما قال تعالى (لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين) .

(١) أى مثلا وشريكا والمعنى ما ينبغى لك أن تسوينى بالله .

(٢) يعنى فى المنام .

(٣) جماعة أقل من عشرة .

(٤) أى المعتبرون لولا أنكم الخ .

أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عُزَيْرٌ ابنُ اللهِ قَالُوا : وَإِنَّكُمْ لأَنتُمُ الْقَوْمُ لَوْلاَ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ ، ثمَّ أَتَيتُ عَلَى نَفرٍ مِنَ النَّصَارَى فَقُلْتُ إِنَّكُمْ لأَنتُمُ الْقَوْمُ لَوْلاَ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ المسِيحُ ابنُ الله قَالُوا وَإِنَّكُمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ لَوْلاَ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ مَاشَاءَ اللهُ وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ فَلمَّا أَصبَحْتُ أَخبَرتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ ثمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فأَخبَرْتهُ قَالَ هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَــداً ؟ قُلْتُ نَعَمْ . قَالَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ فإِنَّ طُفَيْلاً رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ ، وَأَنَّكُمْ قُلتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِى كَذا وَكَذا (١) إِنِّى أَنْهَاكُمْ عَنْهَا ، فَلاَ تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ، وَشَاءَ مُحَمَّدٌ ، وَلَـكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَحدَهُ .

فيه مسائل : الأولى معرفة اليهود بالشرك الأصغر الثانية فهم الإنسان إذا كان له هواه الثالثة قوله ﷺ (أجعلتنى لله ندا) فكيف بمن قال : مالى

---

(١) كناية عن شيء لم يذكر فى هذه الروايه قال الشارح وفى بعض طرقه كما يمنعنى الحياء اه قلت فان أقل كيف يستحى من الحق فالجواب قد يقع منه ذلك ولكن الله لا يقر بل ينبهه فيصرح بما استحيا من الحق فالجواب قد يقع منه ذلك ولكن الله لا يقر بل ينبهه فيصرح بما استحيا من التصريح به كما فى قصة زينب فى سورة الأحزاب.

من ألوذ به (١) سواك وكذلك البيتين بعده الرابعة أن هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله يمنعني كذا وكذا الخامسة أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي. السادسة قد تكون سببا لشروع بعض الأحكام .

﴿ بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللهَ ﴾

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ)[1] الآيَةَ .

---

(١) يريد قول البوصيري في البرءة لا البردة كما زعم العوام لأن ناظمها سماه البرءة :

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به   سواك عند حلوله الحادث العمم

وقد بالغ البوصيري في غير موضوع من مدائحه ولا تسأل عما كان يعمل ولعله لو نبه على هذا وما يفده الحصر لرجع فالضال كل الضلال هو الذي ينبه على هذا الخطأ ونحوه فيصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم .

قال في الشرح ، فانظر إلى هذا الجهل العظيم حيث اعتقد أنه لا نجاة له إلا بعياذة ولياذة بغير الله وانظر إلى هذا الاطراء العظيم الذي يجاوز الحد الاطراء الذي نهى عنه ﷺ بقوله « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » رواه مالك وغيره اه .

(١) قال الحافظ بن كثير في تفسيره : يخبر تعالى عن دهرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد وقالوا : (ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) ما ثم إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون.

وَفى الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ اللهُ تَعالى « يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهرَ وَأَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ اللَّيلَ وَالنَّهارَ » (١) وَفى رِوَايَةٍ « لاَ تَسُبُّوا الدَّهرَ فإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهرُ » (٢) .

فيه مسائل : الأولى النهى عن سب الدهر . الثانية تسميته أذى الله الثالثة التأمل فى قوله : « فان الله هو الدهر » . الرابعة أنه قد يكون سابا وإن لم يقصده بقلبه

وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركوا العرب المنكرون للمعاد ويقوله الفلاسفة الالهيون ومنهم وهم ينكرون البداءة والرجعة وهذه منهم مكابرة للمعقول وتكذيب للمنقول نسأل الله السلامة .

(١) رواه أيضا النسائى وأبو داود . قال فى شرح السنة حديث متفق على صحته أخرجاه من طريق معمر من أوجه عن أبى هريرة : قال : ومعناه أن العرب كانت من شأنها ذم الدهر أى سبه عند النوازل لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون : أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر فاذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها فكان مرجع سبها إلى الله عزوجل إذ هو الفاعل فى الحقيقة للأمور التى يصنعونها فنهوا عن سب الدهر اه باختصار والله أعلم . وفى الحديث زيادة لم يذكرها المصنف وهى قوله بيدى الأمر » .

(٢) أى إن الله هو الفاعل الحقيقى للأشياء فمن سب الدهر إنما سبه لنسبة الحوادث إليه وهو ليس له فعل فرجع السب إلى الفاعل الحقيقى وهو الله تعالى ذكره .

﴿ بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ ﴾

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاكِ لاَ مَالِكَ إِلاَّ اللهُ » قَالَ سُفْيَانُ مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ ، وَفِي رِوَايَةٍ « أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ » (١) قَوْلُهُ أَخْنَعُ يَعْنِي أَوْضَعْ .

فيه مسائل : الأولى النهي عن التسمي بملك الاملاك الثانية أن ما فى معناه مثله كما قال سفيان ، الثالثة التفطن للتغليظ فى هذا ونحوه مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه الرابعة التفطن أن هذا لإجلال الله سبحانه .

---

(١) أى أبغض رجل عندالله وأخبثه لأنه لما تعاظم بنفسه وعلى الخلق وضعه الله تعالى وجعله أحقر العباد ومن تواضع لله رفعه وقوله (شاهان شاه) هو عند العجم عبارة عن ملك الأملاك ولهذا مثل به سفيان بن عيينة وقوله (أغيظ) من الغيظ وهو مثل الغضب والبغض ، قال فى الشرح هذا من الصفات التى تمر كما جاءت وليس شىء مما وردفى الكتاب والسنة إلا ويجب اتباع الكتاب والسنة فى ذلك واثباته على وجه يليق بجلال الله وعظمته تعالى إثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل والباب كله واحد هذا هو قول أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الفرقة الناجية من الثلاث والسبعين فرقة وهذا التفرق والاختلاف إنما حدث فى أواخر القرن الثالث وما بعده كما لايخفى على من له معرفة بما وقع فى الأمة من التفرق والاختلاف والخروج عن الصراط المستقيم والله المستعان .

﴿ بَابُ احْتِرامِ أَسْمَاءِ اللهِ تَعالى وَتَغْيِيرُ الاِسْمِ لِاجْلِ ذٰلِكَ ﴾

عنْ أَبِي شُرَيْحٍ أَنَّهُ كَانَ يُكَنَّى أَبَا الْحَكَمِ فَقَالَ لهُ النَّبِيُّ ﷺ « إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ » فَقالَ إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلفُوا فى شَيْءٍ أَتُونِى فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ ، فَرَضِيَ كِلاَ الْفَرِيقَيْنِ ، فَقَالَ مَا أَحْسَنَ هٰذَا فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلدِ ؟ قالَ شُرَيْحٌ ومُسْلِمٌ وعبْدُ اللهِ ، قالَ فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ ؟ قُلْتُ شُرَيْحٌ ، قالَ : فأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ » رواهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ .

فيه مسائل : الأولى احترام أسماء الله وصفاته ولو لم يقصد معناه الثانية تغيير الاسم لأجل ذلك الثالثة اختيار أكبر الأبناء للكنية .

﴿ بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ أَوِ الْقُرْآنِ أَوِ الرَّسُول ﴾

وقَوْلِ اللهِ تَعالى : (ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ) [1] الآية .

---

(١) هو من المنافقين اسمه مخشى بن حمير أقول وهذا شأن إخوانهم فى زماننا فكل من رأوه يلهج بالقرآن والسنة ويدعو إليهما يلتمسون له العيوب ويخلقونها له بهتانا لأنه يسمعهم ما يكرهون والعادة أن من تمسك بالحق يعادى .

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَقَتَادَةَ دَخَلَ حَدِيث بَعْضُهُمْ فِى بَعْضٍ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ فِى غَزْوَةِ تَبُوكٍ : مَارَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلاَءِ أَرْغَبَ [١] بُطُونًا وَلاَ أَكْذَبَ أَلْسُنًا وَلاَ أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ [٢] يَعْنِى رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ الْقُرَّاءَ . فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِك كَذَبْتَ وَلَـكِنَّكَ مُنَافِقٌ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَذَهَبَ عَوف إِلَى رَسُول اللهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ ، فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدِ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ تَقْطَعُ بِهِ عَنَاَ الطَّرِيق .

قَالَ ابْنُ عُمَرَ كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِنِسْعَةِ [٣] نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنَّ الْحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ إِنَّا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ » مَا يَلْتَفِتُ [٤] إِلَيْهِ [٥] وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ [٦] .

---

(١) أكثر رغبة فى الأكل (٢) أى أكثر جبناً عند لقاء العدو

(٣) هو سير تشد به الرحال وزن حكمة (٤) فاعله ضمير عائد على رسول الله ﷺ ولم يقبل عذر المنافقين لكذبه (٥) أى إلى المنافقين (٦) أى لا يزيد المنافق على قوله أبالله وآياته شيئا والحديث أخرجه الطبرى فى تفسيره .

فيه مسائل : الأولى وهى العظيمة أن من هزل بهذا أنه كافر .

الثانية : أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنا من كان .

الثالثة : الفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ولرسوله .

الرابعة : الفرق بين العفو الذى يحبه الله وبين الغلظة [1] على أعداء الله .

الخامسة : أن من الاعتذار مالا ينبغى أن يقبل .

﴿ بابٌ ﴾

قَوْلُ اللهِ تَعَالَى (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هذَا لِي) الآيَة .

قَالَ مُجَاهِدٌ هَذا بِعَمَلِي وَأَنَا مَحْقوقٌ بِهِ ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُرِيدُ مِنْ عِنْدِي ، وَقَوْلِهِ (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِى) قَالَ قَتَادَةَ عَلَى عِلْمٍ مِنِّى بِوُجُوهِ الْمَكَاسِبِ .

وَقَالَ آخَرُونَ : عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللهِ أَنِّى لَهُ أَهْل وَهَذا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ أُوتِيتُهُ عَلَى شَرَف [2] .

---

(١) يعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم أغلظ على المنافق كما أمره ولم يصفح عنه لأنه عدو الله .

(٢) وهذه الأقوال ليس فيها اختلاف وإنما هى أفراد المعنى بذلك . قال الحافظ العلامة عماد الدين ابن كثير فى تفسيره (وإذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هى فتنة) يخبر أن الانسان فى الضر يضرع إلى الله تعالى وينيب إليه ويدعوه ثم إذا خوله نعمة منه طغى وبغى وقال إنما

وَعنْ أَبِي هُرَيرةَ أنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقولُ : إنَّ ثَلاثَةَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكاً فَأَتَى الأَبْرَصَ فقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ وَيُذْهِبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَّرَنِي النَّاسُ بِهِ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ فَأُعْطِيَ لَوْناً حَسَناً وَجِلْداً حَسَناً قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الإِبِلُ وَالْبَقَرُ ـ شَكَّ إِسْحَاقُ ـ فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ ، فَقَالَ بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا .

قَالَ فَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ شَعْرٌ حَسَنٌ

أوتيته على علم أنى لما يعلم الله استحقاقى له ولولا أنى عند الله خصيص لما خولنى هذا قال تعالى : (بل هى فتنة) أى ليس الأمر كما زعم بل إنما أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما أنعمنا عليه أيطيع أم يعصى مع علمنا المتقدم بذلك (بل هى فتنة) أى اختبار ولكن أكثر الناس لايعلمون فلهذا يقولون مايقولون ويدعون ما يدعون (قد قالها الذين من قبلهم) أى هذه المقالة وزعم هذا الزعم وادعى هذه الدعوى كثير ممن سلف من الأمم (فما أغنى عنهم ما كانو يكسبون) أى فما صح قولهم ولا نفعهم جمعهم وما كانوا يكسبون كما قال تعالى مخبر عن قارون (إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) إلى قوله (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) قال تعالى (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين) إنتهى .

وَيُذْهِبُ عَنِّى الَّذِى قَدْ قَذَّرَنِى النَّاسُ بِهِ ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ وَأُعْطِىَ شَعْراً حَسَناً ، فَقَالَ أَىُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْبَقَرُ أَوِ الْإِبِلُ ، فَأُعْطِىَ بَقَرَةً حَامِلاً قَالَ بَارَكَ اللّٰهُ لَكَ فِيهَا .

فَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ أَىُّ شَىْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ أَنْ يَرُدَّ اللّٰهُ عَلَىَّ بَصَرِى فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللّٰهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ ، قَالَ فَأَىُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْغَنَمُ ، فَأُعْطِىَ شَاةً وَالِداً فَأُنْتِجَ هٰذَانِ وَوَلَّدَ هٰذَا فَكَانَ لِهٰذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ وَلِهٰذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ ، وَلِهٰذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ .

قَالَ ثُمَّ أَنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِى صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدِ انْقَطَعَتْ بِىَ الْحِبَالُ فِى سَفَرِى فَلَا بَلَاغَ لِىَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللّٰهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِى أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيراً أَتَبَلَّغُ بِهِ فِى سَفَرِى فَقَالَ الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ كَأَنِّى أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ ، فَقِيراً فَأَغْنَاكَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَقَالَ إِنَّمَا وَرِثْتَ هٰذَا الْمَالَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللّٰهُ إِلَى مَا كُنْتَ .

قَالَ وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِى صُورَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهٰذَا ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هٰذَا ، فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ

اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ . قَالَ وَأَتَى الأَعْمَى فِى صُورَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِين وَابْنُ سَبِيل قَدِ انْقَطَعَتْ بِى الْحِبَال فِى سَفَرِى فَلا بَلاغَ لِى الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِى رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِى سَفَرِى هٰذَا ، فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَىَّ بَصَرِى فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ ، فَوَاللهِ لا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَىْءٍ أَخَذْتَهُ لِلهِ . فَقَالَ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِىَ اللهُ عَلَيْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ . أَخْرَجَاهُ (١) .

---

(١) أى أخرج الحديث البخارى ومسلم ، وقوله (أبرص) هو من به داء البرص وقوله (أقرع) من به داء القرع وهو داء يصيب الصبيان فى رؤسهم ثم ينهى بزوال الشعر كله أو بعضه ، وقوله (إن يبتليهم) أى يختبرهم بنعمته (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) وقوله (قد قذرونى) أى عدونى قذرا ووسخا فكرهونى والناقة العشراء ـ بضم العين وفتح الشين وبالمد على وزن حنفاء ـ هى الحامل ، قوله أنتج وفى رواية فنتج معناه تولى نتاجها والناتج للناقة كالقابلة للمرأة وقوله « وولده » هو بتشديد اللام أى تولى ولادتها وهو معنى نتج فى الناقة فالمولد والناتج والقابلة بمعنى واحد لكن هذا للحيوان وذاك لغيره وقوله (انقطعت بى الحبال) هو بالحاء المهملة والباء الموحدة هى الأسباب وقوله (فلا بلاغ) أى ما يبلغنى إلى أهلى من الزاد وقوله

فيه مسائل : الأولى تفسير الآية . الثانية ما معنى ليقولن هذا لى .

الثالثة . مامعنى قوله إنما أوتيته على علم عندى .

الرابعة ما هذه القصة العجيبة العبر العظيمة .

« بعيرا » هو منصوب بمحذوف تقديره أسألك : قوله كابراً عن كابر أى شريفا كبيراً عن شريف كبير ، وقوله لا أجدك معناه لا أشق عليك فى رد شيء تأخذه أو تطلبه من ماله . قال فى الشرح وفيه معتبر فان الأولين جحدوا نعمة الله فما أقراها لله بنعمة ولا نسبا النعمة إلى المنعم بها ولا أديا حق الله فيها بنعمة فحل عليهما السخط ، وأما الأعمى فاعترف بنعمة الله ونسبها إلى من أنعم عليه بها وأى حق الله فيها فاستحق الرضى من الله بقيامه بشكر النعمة لما أتى بأركان الشكر الثلاثة التى لا يقوم الشكر إلا بها وهى الاقرار بالنعمة ونسبتها إلى المنعم وبذلها فيما يحب .

قال الإمام شمس الدين بن قيم رحمه الله تعالى : أصل الشكر هو الاعتراف بانعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبـــة . فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلا بها لم يشكرها ، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها أيضا ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها فقد كفرها ومن عرف النعمة والمنعم بها وأقربها ولم يجحدها ولكن لم يخضع له ولم يحبه رضى به وعنه لم يشكرها أيضا ، ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقربها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضى به وعنه واستعملها فى محابه وطاعته فهذا هو الشاكر لها فلابد فى الشكر من علم القلب وعمل يتبع العلم وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع له .

﴿ بَابُ ﴾

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ [١] شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) الآيَةَ .

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ : اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ [٢] لِغَيْرِ اللهِ كَعَبْدِ عُمَرَ وَ عَبْدِ الْكَعْبَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ حَاشَا [٣] عَبْدَ الْمُطَّلِبِ .

---

(١) رواه أحمد والترمذى وحسنه واستغفر به والحاكم وصححه عن سمرة مرفوعا لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لم يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فانه يعيش فسمته عبدالحارث فعاش فكان ذلك من وحى الشيطان وأمره ، وروى عن ابن عباس موقوفا قال ابن كثير وكان أصله والله أعلم مأخوذ من أهل الكتاب .

(٢) كتسمية عبد الحسين وعبد العباس عند الشيعة وعبد النبي عند غيرهم وكل ذلك حرام ، وابن حزم هذا هو الإمام العلامة الوزير ابن الوزير صاحب التآليف العظيمة عالم الأندلس أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهرى . طبعنا له (المحلى) فى فقه علماء الأمصار جزء ١١ وتم والحمد لله ، وطبعنا له أيضا كتاب الاحكام فى الأصول جزء ٨ وهما أنفس الكتب التى طبعت وأبرزت للناس .

(٣) لأنه من عبودية الرق لأن أهل مكة لما رأوا شيبة مع عمه عبد المطلب حين قدم به من المدينة وكان نشأ بها ورأوا لونه متغيراً بسبب الشمس ظنوه عبدا للمطلب فسموه بذلك .

وَعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فى الآيَةِ : (قَالَ لَمَّا تَغشَّاهَا آدَمَ وَحَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسَ فقَالَ أَنَا صَاحِبُكُمَا الذى أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الجَنَّةِ لِتُطِيعَانِى أَوْ لَأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنِى)[1] إِيَلٍ فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكَ فَيَشُقُّهُ وَلَأَفْعَلَنَّ يُخَوِّفُهَا سَمِّيَاهُ عَبْدَ الحَارِثِ فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ فَخَرَجَ مَيِّتًا ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا فقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ فَخَرَجَ مَيِّتًا ، ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا فَذَكَرَ لَهُمَا فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ الوَلَدِ فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ الحَارِثِ فَذٰلِكَ قَوْلُهُ : (جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) ، وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِى حَاتِمْ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عنْ قَتَادَةَ قَالَ : شُرَكَاءَ فى طَاعَةِ اللهِ ، وَلَمْ يَكُنْ فى عِبَادَتِهِ .

وَلَهُ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فى قَوْلِهِ : (لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا) قَالَ أَشْفَقَا[2] أَنْ لاَ يَكُونَ إِنْسَانًا ، وَذَكَرَ مَعْنَاهُ عَنِ الحَسَن وَسَعِيدٍ وَغَيْرِهِمَا .

فيه مسائل : الأولى تحريم كل اسم معبد لغير الله ، الثانية تفسير الآية ، الثالثة أن هذا الشرك فى مجرد تسمية وإن لم تقصد حقيقتها ، الرابعة أن هبة الله الرجل البنت السوية من النعم ، الخامسة ذكر السلف الفرق بين الشرك فى الطاعة والشرك فى العبادة .

---

(١) على وزن ليم ذكر الأول .
(٢) أى خافا أن لايكون الولد إنسانا .

﴿ بَابُ ﴾

قَوْل الله تَعالى : (وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أَسْمَائِهِ) الآيَةَ [١] .

ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عنْ أَبِي حَاتِمٍ يُلْحِدُونَ فى أَسْمَائِهِ يُشْرِكُونَ وَعَنْهُ سَمَّوُا اللاَّتَ مِنَ الإِلٰهِ وَالْعُزَّى مِنَ الْعَزِيز . وَعنِ الأَعْمَش يدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا .

فيه مسائل : الأول إثبات الأسماء . الثانية كونها حسنى . الثالثة الأمر بدعائه بها . الرابعة ترك من أعرض من الجاهلين الملحدين . الخامسة تفسير الالحاد فيها . السادسة الوعيد لمن ألحد .

---

(١) قال شمس الدين بن قيم رحمه الله تعالى : حقيقة الإلحاد بالإشراك فى أسماء الله تعالى الميل بالإشراك والتعطيل والتكرار وأسماء الرب تعالى كلها أسماء وأوصاف تعرف بها تعالى إلى عباده ودلت على كماله جل وعلا وقال رحمه الله تعالى فالإلحاد إما بجحدها وإنكارها وإما بجحد معانيها وتعطيلها وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات وإما أن يجعلها أسماء لهذه المخلوقات كالحاد أهل الاتحاد فانهم جعلوها أسماء هذا الكون محمودها ومذمومها حتى قال زعيمهم . هو المسمى بمعنى كل إسم ممدوح عقلا وشرعا وعرفا وبكل إسم مذموم عقلا وشرعا وعرفا تعالى الله عما يقولون علوا

﴿ بَاب لاَ يُقَالُ السَّلاَم (١) عَلَى الله ﴾

في الصَّحِيح عنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : « كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيَّ ﷺ في الصَّلاَةِ قُلْنَا السَّلاَمُ عَلَى اللهِ مِنْ عِبَادِهِ السَّلاَمُ عَلَى اللهِ مِنْ عِبَادِهِ السَّلاَمُ عَلَى فُلاَن فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لاَ تَقُولُوا السَّلاَمُ عَلَى الله فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلاَمُ (٣) .

فيه مسائل : الأولى تفسير السلام ، الثانية أنه تحية، الثالثة أنها لا تصلح لله، الرابعة العلة في ذلك الخامسة تعليمهم التحية التي تصلح لله .

﴿ بَاب قَوْل اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ ﴾ (٢)

في الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لاَ يَقُولُ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ وَلَكِنْ لِيعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّ اللهَ لاَ مُكْرِهَ لَهُ » (٤) .

---

(١) هو اسم من أسماء الله كما في آخر الحشر ويكون بمعنى السلامة أيضا وعلى كل منهما لا يصلح قول السلامة على الله .

(٢) أى هذا باب في حكم قول الإنسان : اللهم الخ وأفاد المصنف أن حكمة النهي .

(٣) رواه الشيخان وأبوداود والنسائي وابن ماجة من حديث شقيق بن سلمة عن عبد الله ابن مسعود .

(٤) أى بخلاف المخلوق فانه قد يعطي الشيء وهو كاره ولذلك يقال له إن شئت

وَلِمُسْلِم : « وَلْيُعَظِّمِ (١) الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ (٢) شَيْءٌ أَعْطَاهُ » .

فيه مسائل : الأولى والنهى عن الاستثناء فى الدعاء ، الثانية بيان العلة فى ذلك الثالثة قوله ليعزم المسألة الرابعة إعظام الرغبة ، الخامسة التعليل بهذا الأمر .

﴿ بَابُ لاَ يَقُولُ عَبْدٌ وَأَمَتِي ﴾ (٣)

---

(١) من التعظيم أى ليسأل شيئاً عظيما .

(٢) أى لا يعظم عليه لكمال غناه .

(٣) قال فى الشرح : هذه الألفاظ المنهى عنها وإن كانت تطلق لغة فالنبى صلى الله عليه وسلم نهى عنها تحقيقاً للتوحيد وسداً لذرائع الشرك لما فيها من التشريك فى اللفظ لأن الله تعالى هو رب العباد جميعهم . فاذا أطلق على غيره شاركه فى الاسم فنهى عنه لذلك وأن يقصد بذلك التشريك فى الربوبية التى هى وصف الله تعالى وإنما المعنى أن هذا ملك له فيطلق عليه هذا اللفظ بهذا الاعتبار فالنهى عنه حسما لمادة الشريك بين الخالق والمخلوق وتخفيفا للتوحيد وبعدا عن الشرك حتى فى اللفظ وهذا من أحسن مقاصد الشريعة لما فيه تعظيم الرب تعالى وبعده من مشابهة المخلوقين فأرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى مايقوم مقام هذه الألفاظ وهو سيدى ومولاى وكذا قوله ولايقل أحد عبدى وأمتى لأن العبيد عبيد الله والإماء إماء الله قال الله تعالى (إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً) فنى إطلاق هاتين الكلمتين على غير الله تشريك فى اللفظ فنهاهم عن ذلك تعظيما لله تعالى وأدبا وبعداً عن الشرك وتحقيقا للتوحيد وأرشد أن يقول فتاتى وفتاى وغلامى وهذا من باب حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد فقد

فى الصَّحِيحِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ أَطْعِمْ رَبَّكَ وَوَضِّئْ رَبَّكَ وَلْيَقُلْ سَيِّدِى وَمَوْلَاىَ ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِى وَأَمَتِى وَلْيَقُلْ فَتَاىَ وَفَتَاتِى وَغُلَامِى » .

فيه مسائل : الأولى النهى عن قول عبدى وأمتى ، الثانية لا يقول العبد ربى أو يقال أطعم ربك ، الثالثة التعليم الأول قول فتاى وفتاتى وغلامى ، الرابعة تعليم الثانى قول سيدى ومولاى الخامسة التنبيه المراد وهو حقيقة التوحيد حتى فى الألفاظ .

﴿ بَابُ لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ ﴾[1]

بلغ صلى الله عليه وسلم أمته كل مافيه لهم نفع ونهاهم عن كل ما فيه نقص فى الدين فلا خير إلا دلهم عليه خصوصا فى تحقيق التوحيد ولا شر إلا حذرهم منه صلوات الله وسلامه عليه خصوصا مايقرب من الشرك لفظا وإن لم يقصد وبالله التوفيق .

(١) قال فى الشرح : ظاهر الحديث النهى عن رد السائل إذا سأل بالله لكن هذا العموم يحتاج إلى تفصيل بحسب ماورد فى الكتاب والسنة فيجب إذا سأله السائل ماله فيه حق كبيت المال فيعطى منه على قدر حاجته وما يستحقه وجوبا وكذلك إذا سأل المحتاج من فى ماله فضل فيجب أن يعطيه على حسب حال مسألته خصوصا إذا سأل من لا فضل عنده فيستحب أن يعطيه على قدر حال المسئول ما لا يضر به ولا يضر عائلته وإن كان مضطراً وجب أن يعطيه ما يدفع ضرورته . ومقام الانفاق من أشرف

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « مَنْ سَأَلَ

مقامات الدين وتفاوت الناس فيه بحسب ما جبلوا عليه من الكرم والجود وتخلق بقوة دواعي الإيمان وضدها من البخل والشح فالأول محمود في الكتاب والسنة والثاني مذموم فيها وقد حث الله تعالى عباده على الاتفاق لعظم نفعه وتعديه وكثرة ثوابه قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) إلى قوله : (والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) . وقال تعالى (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) وذلك الانفاق من خصال البر المذكورة في قوله (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين) الآية فذكره بعد ذكر أصول الايمان وقبل ذكر الصلاة وذلك . والله أعلم لتعدى نفعه وذكره تعالى في الأعمال التي أمر بها عباده وتعبدهم بها ووعدهم عليها الأجر العظيم . قال تعالى (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات) إلى قوله (والمتصدقين والمتصدقات) الآية وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه على الصدقة حتى النساء نصحا للأمة وحثا لهم على ما ينفعهم عاجلا وآجلا وقد أثنى الله سبحانه على الأنصار رضى الله عنهم بالايثار فقال الله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) والإيثار من أفضل خصال المؤمن كما تفيده هذه الآية الكريمة وقد قال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) إلى قوله (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولا شكوراً) والآيات والأحاديث في فضل الصدقة كثيرة جدا ومن كان سعيه للآخرة رغب في هذه ورغب وبالله التوفيق .

بِاللهِ فَأَعْطُوهُ وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ (١) فَأَعِيذُوهُ وَمَنْ دَعَاكُمْ (٢) فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ (٣) إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا ماتُكَافِئُوهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ » (٤) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ .

---

(١) أى من استجار بالله فأجيروه .

(٢) هو من الدعوة إلى الطعام وفى الحديث الصحيح « لو دعيت إلى كراع لأجبت » وهذا من حق المسلم على المسلم كما فى حديث آخر .

(٣) بدل له قوله « من أحسن إليكم فأحسنوا إليه » .

(٤) قوله « من دعاكم فأجيبوه » هذا من حقوق المسلمين بعضهم على بعض إجابة دعوة المسلم وتلك من أسباب الألفة والمحبة بين المسلمين . وقوله (ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه) ندبهم صلى الله عليه وسلم إلى المكافئة على المعروف فان المكافأة على المعروف من المروءة التى يحبها الله ورسوله كما دل عليه هذا الحديث ، ولا يهمل على المكافأة المعروف إلا اللئام من الناس وبعضهم اللئام يكافىء على الإحسان بالإساءة كما يقع ذلك كثيراً من بعضهم نسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة بخلاف حال أهل التقوى والإيمان فانهم يدفعون السيئة بالحسنة طاعة الله ومحبة لما يحبه لهم ويرضاه كما قال تعالى (ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون) (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) وقال تعالى (ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا) الآية وهم الذين سبقت من الله

فيه مسائل . الأولى إعادة من استعاذ بالله ، الثانية من إعطاء من سأل بالله الثالثة إجابة الدعوة الرابعة المكافأة على الصنيعة ، الخامسة أن الدعاء مكافأة لمن لا يقدر إلا عليه السادسة قوله حتى تكافئوه ترون أنكم قد كافأتموه .

﴿ بَابُ لاَ يَسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إلاَّ الْجَنَّةَ ﴾ (١)

عَنْ جَابِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « لاَيُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ

تعالى السعادة وقوله فان لم تجدوا ماتكافئوه فادعوا له ، أرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى أن الدعاء فى حق من لم يجد المكافأة مكافأة المعروف فيدعو له على حسب معروفه وقوله (تروا) بضم التاء أى تظنوا (أنكم كافأتموه) ويحتمل أنها مفتوحة بمعنى تعلموا ويؤيده ما فى سنن أبى داود من حديث ابن عمر حتى تعلموا فتعين الثانى للتصريح فيه وفيه من سألكم بالله فأجيبوه . أى إلى ما سأل فيكون بمعنى أعطوه وعند أبى دواد فى رواية أبى نهيك عن ابن عباس من سألكم بوجه الله فأعطوه وفى رواية عبد الله القواريرى لهذا الحديث (ومن سألكم بالله) كما فى حديث ابن عمر (١) حديث الباب من جملة الأدلة المتواترة فى الكتاب والسنة على إثبات الوجه لله تعالى ، فانه صفة كمال وسلبه غاية النقص وتشبيهه بالناقصات كسلبهم جميع الصفات أو بعضها فوقعوا فى أعظم مما فروا منه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . وطريقة أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا الإيمان بما وصف الله به نفسه فى كتابه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فى سنته على ما يليق بجلال الله وعظمته فيثبتون له ما أثبته لنفسه فى كتابه وأثبته له رسول الله صلى الله عليه وسلم وينفون عنه مشابهة المخلوق فكما أن ذات الرب لاتشبه الذوات فصفاته كذلك لاتشبه الصفات فمن نفاها فقد سلبه الكمال

إِلاَّ الْجَنَّةَ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُد .

فيه مسائل : الأولى النهى عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب الثانية إثبات صفة الوجه .

﴿ بَابُ مَا جَاءَ فِى اللَّوِّ ﴾ (١)

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى : (يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَىْءٌ مَا قُتِلْنَا هٰهُنَا) (٢) ، وَقَوْلِهِ : (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا » (٣) .

(١) أدخل المؤلف رحمه الله تعالى أداة التعريف على لفظ لو وهى هنا لا تفيد تعريفا وغرض المصنف رحمه الله يبين ما ورد فى لفظ (لو) من النهى عنه عند حصول الأمور المكروهة كالبلايا والمصائب إذا جرى بها القدر لما فيه من الاشعار بعدم الصبر والأسف على مافات مما لا يمكن استدراكه فالذى ينبغى ويجب أن يسلم لقدر الله ويقوم بحق العبودية الواجبة عليه وهو الصبر على ما أصابه مما يكره (٢) هذا بعض المنافقين يوم وقعة أحد لخوفهم وجزعهم وخورهم من ذلك اليوم .

(٣) قال الحافظ بن كثير أى لو سمعوا فى مشاورتنا عليهم بالقعود وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل قال الله تعالى (قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) أى إذا كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت فينبغى لكم أن لاتموتوا والموت لابد آت إليكم ولو كنتم فى بروج مشيدة فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين قال مجاهد عن جابر بن عبد الله : نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى - يعنى أنه هو الذى قال ذلك .

وَفى الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجِزَن وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَذا وَكَذا لَكَانَ كَذا وَكَذا وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ » [١] .

فيه مسائل : الأولى تفسير الآيتين فى آل عمران ، الثانية النهى الصريح عن قول « لو » إذا أصابك شيء الثالثة تقرير المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان ، الرابعة الإرشاد إلى الكلام الحسن الخامسة الأمر بالحرص على ما ينفعك والاستعانة بالله ، السادسة النهى عن ضد ذلك وهو العجز .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه مطولا واختصر المصنف وفى الحديث إرشاد الرسول ﷺ أمته حيث إذا أصاب أحدكم مكروه فلا يقل لو أنى فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن يقول قدر الله وما شاء فعل أى هذا قدر الله والواجب التسليم للقدر والرضى به واحتسات الثواب عليه وينبغى له أن يحرص على فعل الأسباب التى تنفع العبد فى دنياه وآخرته مما شرعه الله تعالى لعباده من الأسباب الواجبة والمستحبة والمباحة ويكون العبد فى حال فعله السبب مستعينا بالله وحده غنى عن كل ماسواه ليتم له سببه وينفعه ويكون اعتماده على الله .

﴿ بَابُ النَّهْىِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ ﴾ (١)

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هٰذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا ، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هٰذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا ، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ » صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ .

فيه مسائل : الأولى النهى عن سب الريح الثانية الارشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره الثالثة الارشادإلى أنها مأمورة الرابعة أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر .

﴿ بَابُ ﴾

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلهِ) الآيَةَ ، وَقَوْلِهِ (الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) الآية .

---

(١) إنما نهى عن سب الريح لأنها تهب عن إيجاد الله تعالى وخلقه لها وأمره لأنه هو الذى أوجدها وأمرها فسبتها مسبة للفاعل الحقيقى وهو الله جل ذكره ولايفعل السب إلا أهل الجهل بالله ودينه فأرشد النبى أمته أن يقولوا كذا عند هبوب الريح والله أعلم .

قال ابن القيم فى الآية الأولى : فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وإن أمره سيضمحل (١) وفسر أصابهم بظنهم أن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته ففسر بانكار الحكمة وأن إنكار القدر وإنكار أن يتم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يظهره على الدين كله وهذا هو ظن السوء الذى ظن المنافقون والمشركون فى سورة الفتح وإنما كان ظن السوء لأنه ظن غير ما يليق وما يليق به سبحانه بحكمته وحمده ووعده الصادق فمن ظن أنه بدليل (٢) الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل (٣) معها الحق إن أنكره أن يكون ماجرى بقضائه وقدره أن أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة فلذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار وأكثر الناس بالله ظن السوء فيما يختص بهم فيما يفعله بغيرهم ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمه وحمده فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا وليتب إلى الله وليستغفره (٤) ومن ظنه بربه ظن السوء ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له وأنه كان ينبغى أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر وفتش نفسك هل أنت سالم

---

(١) أى يذهب ويتلاشى .

(٢) أى يغلب .

(٣) أى تغليبا .

(٤) فى النسخة الخطية من ظنه باسقاط الواو عليها يكون من فاعل يستغفر وهو الصواب فيه يظهر لنا .

فان تنج منها تنج من ذى عظيمة (١) وإلا فانى لا إخالك ناجيا (٢)

فيه مسائل الأولى : تفسير آية آل عمران . الثانية تفسير آية الفتح . الثالثة الاخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر . الرابعة أنه لايسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه .

﴿ بَابُ مَا جَاءَ فى مُنْكِرِى الْقدر ﴾(٣)

وَقَالَ ابْنُ عُمَر : وَالَّذِى نفسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهبًا ثُمَّ أَنفقَهُ فى سَبِيلِ اللهِ تعالَى مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ حتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَر ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقوْلِ النَّبىِّ ﷺ : « الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكتِهِ وَكُتُبِهِ

---

(١) أى من أمر ذى مصيبة عظيمة .

(٢) هو بكسر الهمز أى أظنك .

(٣) أى هذا باب فى بيان ماورد فى منكرى القدر من الوعيد الشديد وغيره وقد وردت أحاديث كثيرة وآثار فى ذم القدرية وأنهم مجوس هذه الأمة . روى أبو داود عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال (القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم) .

وعن عمر مولى عفراء عن رجل من الأنصار عن حذيفة — وهو ابن اليمانى رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمــــة الذين يقولون لاقدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوهم وهم شيعة الدجال وحق على الله أن يلحقهم بالدجال) .

وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ »[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ[٢] الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه كما قال المؤلف ورواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه دن يحى بن يعمر قال كان أول من تكلم فى القدر بالصبرة معبد الجهنى فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء فى القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبى فظننت أن صاحبى سيكل الكلام إلى فقلت أبا عبد الرحمن أنه قد ظهر قبلنا أناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم يزعمون أن لاقدر وأن الأمر أنف فقال إذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى منهم برىء وأنهم منى براء ووالذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه فى سبيل الله ماقبله الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال حدثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال (بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب) الحديث إلخ وفيه (وتؤمن بالقدر خيره وشره) فأبان فى الحديث أن الإيمان بالقدر من أصول الإيمان بالسنة المذكورة فى الحديث فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد ترك أصلا من أصول الدين وجحده والله أعلم .

(٢) أى حلاوة الإيمان كما فى حديث آخر .

ليُصِيبكَ .سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ فَقَالَ رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ .

يَا بُنَىَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّى » (١) .

وَفى رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ : « إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تعالَى الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ فَجَرَى فى تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

وَفى رِوَايَةٍ لِابْنِ وَهْبٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « فَمَنْ كَانَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ » .

وَفى المسْنَدِ (٢) وَالسُّنَنِ عنْ أَبِى الدَّيْلَمِىِّ قَالَ : أَتَيْتُ أُبَىَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ فى نَفْسِى شَىْءٌ مِنَ الْقَدْرِ فَحَدِّثْنِى بِشَىْءٍ لَعَلَّ اللهَ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِى ،

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وصححه الامام أحمد وفى هذا الحديث ونحوه بيان شمول علم الله تعالى والإحاطته بما كان ومايكون فى الدنيا والآخرة ويشهد له قوله جل ذكره وتعالت أسماؤه : (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما) فهذه الكلية داخل فيها إدراك الجزئيات .

(٢) أى مسند أحمد وسنن أبى داود .

فَقَالَ لَوْ أَنفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُن لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ .

قَالَ فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِت فَكلهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ . حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ الْحَاكِمِ فِي صَحِيحِهِ .

فيه مسائل : الأولى بيان فرض الإيمان بالقدر ، الثانية بيان كيفية الإيمان، الثالثة إحباط عمل من لم يؤمن به ، الرابعة الاخبار أن أحداً لايجد طعم الإيمان حتى يؤمن به . الخامسة ذكر أول ما خلقكم الله السادسة أنه جرى بالمقادير فى تلك الساعة إلى قيام الساعة السابعة براءته ﷺ ممن لم يؤمن به الثامنة عادة السلف فى إزالة الشبهة بسؤال العلماء ، التاسعة أن العلماء أجابوا بما يزيل شبهته وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط .

﴿ بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِين ﴾ (١)

---

(١) أى من عظيم عقوبة الله لهم وعذابه . والمصور هو الذى يصور الصور متشابها بالخالق تعالى وذلك جهل عظيم .

قال الشارح رحمه الله وقد ذكر النبي ﷺ العلة وهى المضاهاة بخلق الله

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : قَالَ اللهُ تعَالَى : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلق بِخَلْقِي فَلْيَخْلقُوا ذَرَّةً (١) أَوْ

لأن الله تعالى له الخلق والامر وهو رب كل شيء ومليكه وهو خالق كل شيء وهو الذى صور جميع المخلوقات وجعل فيها الأرواح التى تحصل بها الحياة كما قال تعالى : (الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون) فالمصور لماصور الصورة على شكل ماخلقه الله تعالى من إنسان وبهيمة صار مضياهيا لخلق الله فصار ما صوره عذابا يوم القيامة وكله أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فكان أشد الناس عذابا لأن ذنبه من أكبر الذنوب . فإذا كان هذا فيمن صور صورة على مثال ما خلقه الله تعالى من الحيوان فكيف بحال من سوى المخلوق برب العالمين وشبه بخلقه وصرف له شيئاً من العبادة التى خلق الله ليعبدوه وحده بما لا يستحق غيره من كل عمل يحبه الله من العبد ويرضاه فتسوية المخلوق بالخالق يصرف حقه لمن لا يستحقه من خلقه وجعل شريكا له فيما اختص به تعالى وتقدس هو أعظم ذنب عصى الله تعالى به ولهذا أرسل رسله وأنزل كتبه لبيان هذا الشرك والنهى عنه وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى فنجى الله رسله ومن أطاعهم وأهلك من جحد التوحيد واستمر على الشرك والتنديد فما أعظمه من ذنب الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق .

(١) الذرة بفتح المعجمة وتشديد الراء . واحدة الذر وهو صغار

وَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً . أَخْرَجَاهُ .

وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ (١) بِخَلْقِ اللهِ » ، وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ » وَلَهُمَا عَنْهُ مَرْفُوعاً « مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ » ، وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ قَالَ : قَالَ لِي عَلِيٌّ أَلاَ أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي

النمل . ويراد بها ما يرى فى شعاع الشمس الداخل فى النافذة ، والمراد بالحبة حبة القمح بقرينته ذكر الشعير أو الحبة أعم . والعرض تعجيزهم تارة بتكليفهم خلق حيوان وهو أشد وأخرى بتكليفهم خلق جماد وهو أهون ومع ذلك لاقدرة لهم على ذلك .

(١) أى يشابهون وإذا كان المصور أظلم الناس فما بالك بولى الشيطان الذى يدعو الناس إلى عبادته وقائلا مهما ضاق بكم الحال فاستغيثوا بى أغثكم أينما كنتم فى مشارق الأرض ومغاربها :

مريدى تمسك بى وكن واثقا أنجيك فى الدنيا ويوم القيامة

وهذا معنى قوله تعالى : (وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان) وقوله (ادعونى أستجب لكم) (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطان فهو له قرين) إلى (مهتدون) وقال الإمام الحجة شهاب الدين الحافظ أحمد بن حجر فى كتابه ـ فتح البارى ـ وقد استشكل كون المصور

أشد الناس عذا بامع قوله تعالى (ادخلوا آل فرعون أشدالعذاب) فانه يكفر بذلك أن يكون المصور أشدعذابا من آل فرعون وأجاب الطبرى بأن المراد هنا من يصور مايعبدون من دون الله وهو عارف بذلك قاصدا له فانه يكفر بذلك فلايبعد أن يدخل مدخل آل فرعون ، وأما من لايقصد ذلك فانه يكون عاصيا بتصويره فقط : وأجاب غيره بأن الرواية باثبات من ثابتة وبحذفها محمولة عليها وإذا كان من يفعل التصوير أشد الناس عذابا وكان مشركا مع غيره وليس الآية ما يقتضى اختصاص آل فرعون بأشد العذاب بل هم فى العذاب لأشد فكذلك غيرهم يجوز أن يكون فى العذاب الأشد، وقوى الطحاوى ذلك بما أخرجه من وجه آخر عن ابن مسعود رفعه (إن أشدالناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبيا أوقتله نبي وإمام ضاله وممثل من الممثلين) وكذا أخرجه أحمد . وقد وقع بعض هذه الزيادة فى رواية ابن أبى عمر التى أشرت إليها فاقتصر على المصور وعلى من قتله نبى . أخرج الطحاوى أيضا من حديث عائشة مرفوعا (أشدالناس عذابا يوم القيامة رجل هجا رجلا فهجا القبيلة بأسرها) قال الطحاوى فكل واحد من هؤلاء يشترك مع الآخر فى شدة العذاب وقال أبو الوليد بن رشد فى مختصر مشكل الطحاوى ماحاصله أن الوليد بن رشد فى مختصر مشكل الطحاوى ماحاصله أن الوعيد بهذه الصيغة إن ورد فى حق كافر فلا إشكال فيه لأنه يكون مشتركا فى ذلك مع آل فرعون ويكون فيه دلالة على عظم كفر المذكور وإن ورد فى حق عاص فيكون أشد عذابا من غيره من العصاة ويكون ذلك دالا على عظم المعصية المذكورة . وأجاب القرطبى فى المفهم بأن الناس الذين أضيف إليهم أشد لا يراد بهم كل الناس بل بعضهم وهم من يشارك فى المعنى المتوعد عليه بالعذاب ففرعون أشد الناس الذين

ادعو [الإلهية عذابا ومن يقتدى به فى ضلالة كفره أشد عذابا ممن يقتدى به
فى ضلالة فسقه ومن صور صورة ذات روح للعبادة أشد عذابا ممن يصورها
لا للعبادة واستشكل ظاهرى الحديث أيضا بإبليس وبابن آدم الذى سن القتل وأجيب
بأنه فى إبليس واضح ويجاب بأن المراد بالناس من ينسب إلى آدم وأما فى ابن
آدم فأجيب بأن الثابت فى حقه أن عليه مثل أوزار من يقتل ظلما ولا يمنع
أن يشارك مثله فى تعذيبه من ابتداء الزنا مثلا فان عليه مثلا أوزار من يزنى بعده
لأنه أول من سن ذلك ولعل عـــدد الزناة أكثر من القاتلين . قال النووى
قال العلماء تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم وهى من الكبائر
لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد وسواء صنعه لما يمتهن . أم لغيره فصنعه
حرام بكل حال وسواء كان فى ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو إناء
أو حائط أو غيرها فأما تصوير ما ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام (قلت)
ويؤيد التعميم فيماله ظل وفيما لا ظل له ما أخرجه أحمد من حديث على أن النبى
ﷺ قال أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثنا إلا كسره ولا صورة إلا لطخها
أى طمسها الحديث وفيه من عاد إلى صنعة شىء من هذا فقد كفر بما أنزل على
محمد وقال الخطابى : إنما عظمت عقوبة المصور لأن الصور كانت تعبد من دون
الله ولأن النظر إليها يفتن وبعض النفوس إليها تميل ، قال والمراد بالصور هنا
التى لها روح وقيل يفرق بين العذاب والعقاب فالعذاب يطلق على مالم من قول
أو فعل كالعتب والانكار والعقاب يختص بالفعل فلا يلزم من كون المصور
أشد الناس عذابا أن يكون أشد الناس عقوبة هكذا ذكر الشريف المرتضى
فى الغرور ونعقب بالآية المشار إليها وعليها انبنى الاشكال ولم يكن هو عرج
عليها فلهذا ارتضى التفرقة والله أعلم . واستدل به أبو على الفارسى فى التذكرة

عَلَيْهِ رَسُول اللهِ ﷺ أَنْ لاَ تَدَعَ صُورَةً إلاَّ طَمَسْتَهَا وَلاَ قَبْراً مُشْرَفاً إلاَّ سَوَّيْتَهُ (١) .

فيه مسائل : الأولى التغليظ الشديد فى المصورين ، الثانية التنبيه على العلة وهو ترك الأدب مع الله لقوله : (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى) الثالث التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله : (فليخلقوا ذرة أو شعيرة) الرابعة التصريح بأنهم أشد الناس عذابا . الخامسة أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسا يعذب بها فى جهنم . السادسة أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح . السابعة الأمر بطمسها إذا وجدت .

على تكفير المشبهة فحمل الحديث عليه وانهم المراد بقوله (المصورون) أى الذين يعتقدون أن الله صورة وتعقب الحديث الذى بعده فى الباب بلفظ إن الذين يصنعون هذه الصورة يعذبون وبحديث عائشة الآتى بعد بابين بلفظ إن أصحاب هذه الصور يعذبون وغير ذلك . لو سلم له استدلاله لم يرد عليه الاشكال المقدم ذكره وخص بعضهم الوعيد الشديد بمن صور قاصداً أن يضاهى فانه يصير بذلك القصد كافراً وسيأتى فى باب من وطىء من التصاوير بلفظ أشد الناس عذابا الذين يضاهون بخلق الله تعالى وأما من عداه فيحرم عليه ويأثم لكن إثمه دون إثم المضاهى (قلت) وأشد منه ما يصور ما يعبدون الله كما تقدم وذكر القرطبى أن أهل الجاهلية كانوا يعملون الأصنام من كل شىء حتى أن بعضهم عمل صنمه من عجوة ثم جاع فأكله .

(١) قال العلامة ابن القيم رحمه الله ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ فى القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضاد الآخر مناقضا له بحيث لا يجتمعان .

فنهى رسول الله ﷺ عن الصلاة فى القبور وهؤلاء يصلون عندها وإليها ونهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله ونهى عن إيقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد السرج عليها ونهى أن تتخذ عيدا وهؤلاء يتخذونها أعياد ومناسك ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيدأو أكثر وأمر بتسويتها كما روى مسلم فى صحيحه عن أبى الهياج فذكر حديث الباب وحديث ثمامة بن شفى وهو عندهم مسلم أيضاً (كنا عند فضالة ابن عبيد بأرض الروم برذوذش فتوفى صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوى ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها وهؤلاء يبالغون فى مخالفة هذين الحديثين ويرفعونها من الأرض كالبيت ويعقدون عليها القباب ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه كما روى مسلم فى صحيحه عن جابر رضى الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تجصيص القبر وأن يعقد عليه وأن يبنى عليه ونهى عن الكتابة عليها كما روى أبو داود فى سننه على جابر أن رسول الله ﷺ نهى عن تجصيص القبور وأن يكتب عليها . قال الترمذى ، حديث حسن صحيح وهؤلاء يتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن وغيره ونهى أن يزاد غير ترابها كما روى أبو داود عن جابر أيضا نهى أن تجصيص القبر أو يكتب عليه أو يزاد عليه وهؤلاء يزيدون الآجر والجص والاحجار . قال إبراهيم النخعى كانوا يكرهون الآجر على قبورهم المقصود أن المعظمين للقبدو الموقوين فيها السرج الذين يبنون عليها المساجد . والقباب مناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ محادون لما جاء به وأعظم من ذلك اتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها وهو من الكبائر ، وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيره .

﴿ بَابُ مَا جَاءَ فِى كَثْرَةِ الْحَلِفِ ﴾

وَقَوْلُ اللهِ تعَالَى : (وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ)[١]

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ « الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مُمْحِقَةٌ لِلْكَسْبِ »[٢] أَخْرَجَاهُ . وَعَنْ سَلْمَانَ

بتحريمه قال أبو محمد المقدسى ولو أبيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله ولأن فيه افراطنا فى تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام قال : ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر ولأن النبى ﷺ قال « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا » متفق عليه ولأن تخصيص القبور يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والقرب إليها وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم والتمسح بها والصلاة عندها .

(١) الأيمان جمع يمين أمرهم الله تبارك وتعالى بحفظ الأيمان وعدم المسارعة إليها أو إلى الحنث بها وفيه النهى عن كثرة الحلف والنكث مالم يكن على فعل بر أو إصلاح بين الناس لما رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال « إنى والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يمينى وأتيت الذى هو خير » .

(٢) ـ الحلف بفتح المهملة وكسر اللام ـ أى اليمين الكاذبه ، وقوله «منفقة» ـ بفتح الميم والفاء بينهما نون ساكنة ـ مفعلة من النفاق ـ بفتح النون ـ وهو الرواج ضد الكساد ، والسلعة بكسر السين المتاع وقوله ممحقة بهاء مهملة وقاف وزن الأول ، والمعنى والله أعلم : أن الحلف الكاذب وإن زاد فى المال فانه يمحق البركة من البيع لأن الثمن وإن زاد لكن محق البركة يفضى إلى اضمحلال الزيادة

أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « ثَلاثَة يُـكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ : أُشَيْمِطُ زَانٍ ، وَعَائِلٌ مُسْتَـكْبِرٌ ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهُ بِضَاعَتَهُ لاَ يَشْتَرِى إلاَّ بِيَمِينِهِ وَلاَ يَبِيعُ إلاَّ بِيَمِينِهِ »[1] رَوَاهُ الطَّبَرَانِى بِسَنَدٍ صَحِيحٌ .

• وَفى الصَّحِيحِ عَنْ عِمْرَان بْن حُصَيْنٍ رَضِىَ اللهُ عَنْـهُ قَالَ : قَالَ

---

(١) الأشيمط مصغره أشمط وهو الذى خطه الشيب وصغر تحقيرا له وذلك لأن داعى المعصية ضعف فى حقـه فدل على أن الحامل له على الزناجية المعصية والفجور وعدم خوفه من الله وضعف الداعى إلى المعصية مع فعلها يوجب تغليظ العقوبة عليه بخلاف الشاب فإن قوة داعى الشهوة منه قد تغلب مع خوفه من الله وقد يرجع على نفسه بالندم ولومها على المعصية فينتهى ويرجع وكذا العائل المستكبر ليس له ما يدعوه إلى الكبر لأن الداعى إلى الكبر فى الغالب كثرة المال والنعم والرياسة والعائل الفقير لاداعى له إلى أن يستكبر فاستكباره مع عـدم الداعى إليه يدل على أن الكبر طبيعة له كامن فى قلبه فعظمت عقوبته لعدم الداعى إلى هـذا الخلق الذميم الذى هو أكبر المعاصى . قوله : (ورجل جعل الله بضاعته) : بنصيب الاسم الشريف أى الحلف بعد جعله بضاعته لملازمته له وغلبته عليه وهـذه أى تدل على أن صاحبها إن كان موحد فتوحيده ضعيف وأعمـاله ضعيفة وأعماله بحسب ما قام بقلبه وظهر على لسانه وعمـله من تلك المعاصى العظيمة على قلة الداعى إليها نسأل الله السلامة والعافية ونعوذ بالله من كل عمل لايحبه ربنا ولا يرضاه .

رَسُولُ اللهِ ﷺ « خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » . قَالَ عِمْرَانُ : فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ [1] .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه وأخرجه البخارى بلفظ (خيركم) ورواه أبو داود والترمذى قوله (خير أمتى قرنى ثم الذين يلونهم) الخ لمعنى الصحابة ثم التابعين وقال العلامة ابن الأثير فى النهـــاية القرآن أهل كل زمان وهو مقدار التوسط فى أعمار أهل كل زمان مأخوذ من الاقتران وكأنه المقدار الذى تقترن فيه أهل ذلك الزمان فى أعمارهم وأحوالهم وقيل القرن أربعون سنة وقيل ثمانون سنة وقيل مائة سنة وقيل هو مطلق من الزمان وهو مصدر قرن يقرن اه قال فى الشرح قوله (خـير أمتى قرنى) لفضيلة أهل ذلك القرن فى العلم والإيمان والأعمال الصالحة التى يتنافس فيها المتنافسون ويتفـــاضل فيها العاملون ، فغلب الخير فيها على أكثر أهله وقل الشر فيها ، واعتز فيها الإسلام والإيمان وكثر فيها العلم والعلماء ثم الذين يلونهم ففضلوا على من بعدهم لظهور الاسلام فيهم وكثرة الدعوة إليه والراغب فيه والقائم به وما ظهر فيه من البدع أنكر واستعظم وأزيل كبدعة الخوارج القدرية والرفضة فهذه البدع وإن كانت قد ظهرت فأهلها فى غاية الذل والمقت والهوان فيمن عاند منهم ولم يتب قوله (فلاأدرى أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا) هذا شك من راوى الحديث

وَفِيهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِىءُ قَوْمٌ تَسْبَقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ » قَالَ إِبْرَاهِيمُ : كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ[1] .

عمران بن حصين رضى الله عنه . والمشهور فى الروايات أن القرون المفضلة ثلاثة الثالث دون الأولين فى الفضل لكثرة البدع فيه لكن العلماء متوافرون والإسلام فيه ظاهر والجهاد فيه قائم . ثم ذكر ما وقع بعد القرون الثلاثة من الجفاء فى الدين وكثرة الأهواء فقال : إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون لاستخفافهم بأمر الشهادة وعدم تحريهم الصدق وذلك لقلة دينهم وضعف إسلامهم ، قوله « ويخونون ولا يؤتمنون » يدل على أن الخيانة قد غلبت على كثير منهم أو أكثرهم « وينذرون ولا يوفون » أى لا يؤدون ما وجب عليهم ، فظهور هذه الأعمال الذميمة يدل على ضعف إسلامهم وعدم إيمانهم ، قوله : ويظهر فيهم السمن « لرغبتهم فى الدنيا ونيل شهواتهم والتنعم بها وغفلتهم عن الدار الآخرة والعمل لها وفى حديث أنس « لا يأتى زمان إلا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم » قال أنس : سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فمازال الشر يزيد فى الأمة حتى ظهر الشرك والبدع فى كثير منهم ممن ينتسب إلى العلم ويتصدر للتعليم والتصنيف . قلت بل قد دعوا إلى الشرك والضلال والبدع وصنفوا فى ذلك نظما ونثرا فنعوذ بالله من موجبات غضبه .

(١) لما كان الناس فى ذلك العصر على غاية من التقوى وقوة الإيمان ومعرفتهم بربهم وقيامهم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كانوا

فيه مسائل : الأولى الوصية بحفظ الايمان . الثانية الاخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة . الثالثة الوعيد الشديد لمن لا يبيع ولا يشترى إلا بيمينه . الرابعة التنبيه على أن الذنب يعظم من قلة الداعى (١) . الخامسة ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون . السادسة ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة وذكر ما يحدث . السابعة أن ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون. الثامنة كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد .

﴿ بَابُ مَا جَاءَ فِى ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ ﴾

وَقَوْلِهِ : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) (٢) الآيَةَ .

حريصين على فعل كل ما ينفع واجتناب كل ما يضر ، ولا يخفى على العاقل أن الطفل إذا نشأ على حب عمل الخير وكراهة فعل الشر ينتظر منه فى المستقبل ما ينفع أمته ويرفعها إلى أوج الكمال ، وفيه تمرين الصغار على طاعة ربهم ونهيهم عما يضر بصالحهم والله أعلم .

(١) أى مع قلة داعى الشهوة فى الأشمط وداعى التكبر فى الفقير .

(٢) قال حافظ الشام علامة عصره ابن كثير فى تفسيره : هذا مما يأمر الله تعالى به وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الإيمان المؤكدة ولهذا قال (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) ولاتعارض بين هذه وبين قوله : (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) الآية وبين قوله تعالى : ذلك الكفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم أى لاتتركوها بلا كفارة وبين قوله عليه السلام فيما ثبت عنه فى الصحيحين أنه عليه السلام قال : « إنى والله إن يشاء الله الا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذى هو خير منها وتحللتها »

عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيراً عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللهِ ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْراً ثُمَّ قَالَ « اغْزُوا بِسْمِ اللهِ فِى سَبِيلِ اللهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدُرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيداً ، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ ـ أَوْ خِلَالٍ ـ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ . ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ ،

وفى رواية (وكفرت عن يمينى) لاتعارض بين هذا كله ولا بين الآية المذكورة ههنا وهى قوله (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) لأن هذه الأيمان المراد بها الداخلة والعهود والمواثيق لا الأيمان التى هى واردة على حث أومنع ولهذا قال مجاهد فى قوله (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) يعنى الحلف أى حلف الجاهلية ويؤيده ماروا الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن محمد هو ابن أبى شيبة حدثنا ابن نمير . وأبو أسامة عن زكريا ـ هو ابن أبى زائدة ـ عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عن جبير بن مطعم قال رسول الله ﷺ « لا حلف فى الإسلام وأيما حلف كان فى الجاهلية فانه لايزيده الإسلام إلا شدة » وكذا رواه مسلم عن ابن أبى شيبة به ومعناه أن الإسلام لايحتاج معه إلى الحلف الذى كان أهل الجاهلية يفعلونه فإن فى التمسك بالإسلام كفاية عما كانوا فيه والله أعلم .

وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذٰلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا أَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُوا كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ تَعَالَى وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْأَلْهُمُ الْجِزْيَةَ ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ وَلٰكِنْ اجْعَلْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ إِنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ وَلٰكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا » [1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه فى الجهاد وهاك بيان كلماته اللغوية قوم (إذا أمر) أى جعله أميراً والسرية هى قطعة من الجيش تخرج منه تغير وترجع إليه وحصرها بعضهم بأربعمائة فارس أو نحو ذلك وقوله

(ولا تغلوا) من الغلول وهو الأخذ من الغنيمة قبل القسمة وقوله (ولا تغدروا) بكسر الدال المهملة (ولا تمثلوا) أى ولا تشوهوا القتلى بقطع شىء من أجسادهم كقطع أنفه وأذنه والعبث به الوليد الصبي ، وقوله (ثم ادعهم إلى الإسلام) قال النووى فى شرحه : هكذا هو فى جميع نسخ صحيح مسلم (ادعهم) [قال القاضى عياض رضى الله تعالى عنه : صواب الرواية أدعهم باسقاط (ثم) وقد جاء باسقاطه على الصواب فى كتاب أبى عبيد وفى سنن أبى داود وغيرهما لأنه تفسير للخصال الثلاث وليست غيرها وقال المازرى ليست ثم هنا زائدة بل دخلت لاستفتاح الكلام والأخذ اه قوله (إلى دار المهاجرين) وهى المدينة المنورة وكان فى أول الأمر وجوب الهجرة إلى المدينة على كل من دخل فى الإسلام وقوله (فإن أبوا أن يتحولوا) أى فان امتنعوا بعد أن اسلموا من الهجرة ولم يجاهدوا لا يعطون من الخمس ولا من الفىء شيئاً قال النووى رحمه الله تعالى أنهم إذا أسلموا استحب لهم أن يهاجروا إلى المدينة فان فعلوا ذلك كانوا كالمهاجرين قبلهم فى استحقاق الفىء والغنيمة وغير ذلك وإلا فهم أعراب كسائر أعراب المسلمين الساكنين فى البداية من غير هجرة ولا غزو فتجرى عليهم أحكام الإسلام ولا حق لهم فى الغنيمة والفىء وإنما يكون لهم نصيب من الزكاة إن كانوا بصفة استحقاقها ، قال الشافعى الصدقات للمساكين ونحوهم ممن لا حق له فى الفىء - والفىء - للأجناد - قال ولا تعطى أهل الفى من الصدقات ولا أهل الصدقات من الفىء واحتج بهذا الحديث ، وقال مالك وأبو حنيفة المالان سواء ويجوز صرف كل واحد منهما إلى النوعين ، وقال عبيدة : هذا الحديث منسوخ قال وإنما كان هذا الحكم فى أول الإسلام لمن لم يهاجر ثم نسخ ذلك بقوله تعالى (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض)

فيه مسائل : الأولى الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وبين ذمة المسلمين ، الثانية بسم الله الارشاد إلى أقل الأمرين خطرا ، الثانية قوله اغزوا بالله فى سبيل الله . الرابعة قوله قاتلوا من كفر بالله ، الخامسة قوله استعن بالله وقاتلهم ، السادسة الفرق بين حكم الله وحكم العلماء . السابعة فى كون الصحابى يحكم عند الحاجة بحكم لايدرى أيوافق حكم الله أم لا .

وهذا الذى ادعاه أبو عبيدة لايسلم اه والجزية هى المال الذى يعقد الكتابى عليه الذمة وهى فعله من الجزاء كأنها جرت عن قتله وفيه دليل لمالك والأوزاعى ومن وافقهما فى جواز أخذ الجزية من كل كافر عربيا كان أو عجميا كتابيا أو مجوسيا أو غيرهما ، وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه تؤخذ الجزية من جميع الكفار إلا مشركى العرب ومجوسيهم وقال الشافعى لا تقبل من أهل الكتاب والمجوس عربا كانوا أو عجميا ويحتج بمفهوم آية الجزية وبحديث (سنوا بهم سنة أهل الكتاب) لان إسم المشرك يطلق على أهل الكتاب وغيرهم وكان تخصيصهم معلوما عند الصحابة واختلفوا فى قدر الجزية تعلم من مواضعها فى كتب الفقه : وقوله (ذمة الله) قال العلماء الذمة هنا العهد وقوله (تخفروا) هو بضم التاء يقال أخفرت الرجل إذا نقضت عهده وخفرته أمنيته وحميته قالوا وهذا نهى تنزيه أى لاتجعل لهم ذمة الله فانه قد ينقضها من لايعرف حقه وينتهك حرماتها بعض العرب وسواد الجيش وقوله (وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله) الخ قال النووى رحمه الله تعالى هذا النهى ايضا على التنزيه والاحتياط وفيه حجة لمن يقول ليس كل مجتهد مصيبا بل المصيب واحد وهو الموافق لحكم الله تعالى فى نفس الأمر والله أعلم .

﴿ بَابُ مَا جَاءَ فِى الْأَقْسَامِ عَلَى اللهِ ﴾ (١)

عنْ جندبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « قَالَ رَجُلٌ وَاللهِ لايَغفِرُ اللهُ لِفُلَانَ فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ ذَا الَّذِى يَتَأَلَّى (٢) عَلى أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ . فإِنِّى قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطتُ عَمَلَكَ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

---

(١) أى هذا باب ماجاء فى الإنسان يقسم ويحلف على الله تعالى من الأحاديث .

(٢) (قوله يتألى) يحلف ويحكم على الله وهو من الآلية - بتشديد الياء المثناة من فوق - أى اليمين يقال آلى يولى إيلاء وتدلى يتألى تأليا والاسم الآلية قال فى الشرح . وصح من حديث أبى هريرة قال البغوى فى شرح السنة وساق بالسند إلى عكرمة بن عمار قال دخلت مسجد المدينة فنادانى شيخ قال بايمانى تعالى وما أعرفه قال لا تقولن لرجل والله لايغفر الله لك ابدا ولا يدخلك الجنة قلعه ومن أنت يرحمك الله ؟ قال أبو هريرة فقلت وإن هذه كلمة يقولها أحدنا لبعض أهله إذا غضب لزوجته أو لخادمه قال فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول إن رجلين كانا فى بنى إسرائيل متحابين أحدهما مجتهد فى العبادة والآخر كأنه يقول مذنب فجعل يقول أقصر عما أنت فيه . قال فيقول خلنى وربى قال فوجده يوما على ذنب استعظمه ، فقال أقصر فقال خلنى وربى أبعثت على رقيبا ؟ فقال ، والله لايغفر الله لك ولا يدخلك الجنة أبدا قال فبعث الله إليهما ملكا فقبض أرواحهما فاجتمعا عنده فقال للمذنب ادخل الجنة برحمتى وقال للآخر أتستطيع أن تحظر على عبدى رحمتى قال لا يارب قال اذهبوا

وَفِى حَـــدِيثٍ : وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ الْقَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ تَـكَلَّمَ بِـكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ(١) دُنْيَاهُ وَآخِرَته .

به إلى النار ، قال أبو هريرة والذى نفسى بيده تكلم بكلمة أوبقيت دنياه وآخرته ورواه أبو داود فى سننه وهـذا لفظه عن أبى هريرة رضى الله عنه يقول كان رجلان من بنى إسرائيل متواخين فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد فى العبادة فـكان لايزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول اقصر فوجده يوما على ذنب فقال له اقصر فقال خلنى وربى أبعثت على رقيبا قال والله لايغفر الله لك ولا يدخلك الجنة فقبضت أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد أكنت بى عالما أو كنت على مافى يدى قادراً ؟ فقال للمذنب اذهب فادخل الجنة وقال للآخر اذهبوا به إلى النار قوله فى حديث أبى هريرة أن القائل رجل عائد يشير إلى قوله فى هـذا الحديث أحدهما مجتهد فى العبادة وفى هذه الأحاديث بيان خطر اللسان وذلك يفيد التحرز من الـكلام كما فى حديث معاذ قلت يارسول الله وانا لمؤاخذون بما نتـكلم به ؟ قال ثـكلتك أمك يامعاذ وهل يـكب الناس فى النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم والله أعلم .

(١) أى هلـكت .

(٢) هو سير النعل وهذا كناية عن شدة القرب .

﴿ بَابُ لا يسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلى خلْقِهِ ﴾

عنْ جُبَيْرِ بْن مُطْعِمٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ قَالَ : جاءَ أَعْرَابِىٌّ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فقَالَ يا رَسُولَ اللهِ نهكَت الأَنْفُس وَجَاعَ الْعِيَـــالُ وَهلَـكَتِ الْأَمْوَال فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ فإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ وَبِكَ عَلى اللهِ ، فقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : سُبْحَانَ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عرفَ ذٰلِكَ فى وُجُوهِ أَصْحَابِهِ فقَالَ وَيْحَكَ أَتدْرِى مَا اللهُ إِنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذٰلِكَ إِنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ باللهِ عَلى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ (١) ، وَذَكَرَ

---

(١) الاستشفاع طلب الشفاعة ولا يستشفع بالله على أحد لأن الله تعالى رب كل شىء ومليكه والخير كله بيده لامانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولاراد لما قضى وماكان ليعجزه شىء فى السموات ولافى الأرض إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون والخلق وما فى أيديهم ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء وقوله (نهكت الأنفس) بصيغة المجهول أى جهدت وضعفت وقلت وقوله (حتى عرف ذلك الاشارة إلى غضب الأصحاب لغضب الرسول صلى الله عليه وسلم لما سمع من الأعرابى ذلك) قال فى الشرح وأما الاستشفاع بالرسول صلى الله عليه وسلم فالمراد استجلاب دعائه وليس خاصا به صلى الله عليه وسلم بل كل حى صالح يرجى أن يستجاب له فلا بأس أن يطلب منه أن يدعو للسائل

الْحَدِيثُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُد .

بالمطالب الخاصة والعامة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر لما أراد أن يعتمر من المدينة (لا تنسنا يا أخي من صالح دعائك) وأما الميت فانما يشرع في حقه الدعاء على جنازته وعلى قبره وفي غير ذلك وهذا هو الذي يشرع في حق الميت وأما دعاؤه فلم يشرع بل قد دل الكتاب والسنة على النهي عنه والوعيد عليه كما قال تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم) فبين الله تعالى أن دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر به المدعو يوم القيامة أى ينكره ويعادي من فعله كما في آيات الاحقاف (وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) فكأنه ميت أو غائب لا يسمع ولا يستجيب ولا ينفع ولا يضر والصحابة رضى الله عنهم لاسيما أهل السوابق منهم كالخلفاء الراشدين لم ينقل عن أحد منهم ولا عن غيرهم أنهم نزلوا حاجاتهم بالنبي عليه السلام بعد وفاته حتى أوقات الجدب كما وقع لعمر رضى الله عنه لما خرج ليستسقى بالناس خرج بالعباس عم النبي عليه الصلاة والسلام فأمره أن يستسقى عمر رضى الله عنه والسابقون الاولون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبهذا يظهر الفرق بين الحي والميت لأن المقصود من الحي دعاؤه وإذا كان حاضراً فانهم في الحقيقة إنما توجهوا إلى الله بطلب دعاء من يدعوه ويتضرع إليه وهم كذلك يدعون بهم فمن تعدى المشروع إلى ما لا يشرع ضل ولو كان دعاء الميت خيراً لكان الصحابة إليه أسبق وعليه أحرص وبهم أليق وبحقه أعلم وأقوم فمن تمسك بكتاب الله نجا ومن تركه واعتمد على عقله هلك وبالله التوفيق .

فيه مسائل : الأولى إنكاره على من قال نستشفع بالله عليك .
الثانية : تغيره أنه عرف ذلك فى وجوه أصحابه من هذه الكلمة .
الثالثة : أنه لم ينكر عليه قوله نستشفع بك على الله :
الرابعة : التنبيه على تفسير سبحان الله .
الخامسة : أن المسلمين يسألونه الاستغاثة .

﴿ بَابُ مَا جَاءَ فى حَمَايَةِ النَّبِىِّ ﷺ حِمَى التَّوْحِيدَ وَسَدِّهِ طُرَقَ الشِّرْكِ ﴾ (١)

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشخِّيرِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : « انْطَلَقْتُ فى وَفْدِ بَنِى عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْنَا أَنْتَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا ، فَقَالَ السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتعَالى قُلْنَا وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً وَأَعْظَمُنَا طُولاً فَقَالَ : قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضَ قَوْلِكُمْ وَلا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ (٢) .

---

(١) حماية الشىء صونه عما يتطرق إليه من مكروه أو خلل أو أذى وحمى التوحيد صونه عما يشوبه من الأقوال والأعمال التى يضمحل معها التوحيد أو ينقص وما جاء فى ذلك كثير من السنة الثابتة الصحيحة عن رسول الله ﷺ منها ما رواه الترمذى وغيره (لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) .

(٢) الحديث رواه أبو داود فى سننه كما قال المصنف رحمه الله تعالى . وقوله (وأعظمنا طولا) أى فضلا وقدرة ، وقوله (ليستجرينكم)

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ « أَنَّ نَاساً قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا وَسَيِّدِنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ أَنَا مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولُهُ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ » رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ .

فيه مسائل : الأولى تحذير النا.. من الغلو .

الثانية : ما ينبغي أن يقول مـ.. قيل له أنت سيدنا .

الثالثة : قوله لا يستجرينكم الشـ.. طان مع أنهم لم يقولوا إلا الحق .

الرابعة : قوله ما أحب أن ترو.. .. فوق منزلتي .

أي لا يستغلبنكم فيتخذكم جر.. رسولا ووكيلا قال صاحب النهاية وذلك أنهم كانوا مدحوه فكره له المـا.. .. دح فنهاهم عنه يريد تكلموا بما يحضرهم من القول.ولا تتكلفوه كأنكم .. الشيطان ورسله تنطقون عن لسانه وفي الحديث النهي عن تسمية المخلوق .. . واختلف العلماء في ذلك قال شمس الدين ابن قيم في كتابه بدائع الفوائد .. لد.. .. لمعه في إداوتنا ـ اختلف الناس في جواز إطلاق السيد على البشر فمنعه قوم .. عن مالك ، واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له ياسيدنا .. السيد الله تبارك وتعالى وجوزه قوم واحتجوا بقول النبي عليه الصلاة و..سلام (قوموا إلى سيدكم) وهذا أصح من الحديث الأول قال هؤلاء السـ.. أحد مايضاف إليه فلا يقال للتميمي سيد كندة ولا يقال للملك سيد البشر : قال وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم وفي هـذا نظر .. ن السيد إذا أطلق عليه تعالى في منزلة الملك والمولى والرب لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق اهـ .

﴿ بَابُ مَا جَاءَ فِى قَوْلِهِ تعالَى ﴾

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُــــهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) الآيَة (١) .

---

(١) قال الحافظ أبو الفداء عماد الدين ابن كثير فى تفسيره يقول تبارك وتعالى : (وماقدروا الله حق قدره) أى ماقدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره وهو العظيم الذى لا أعظم منه القادر على كل شىء المالك لكل شىء وكل شىء تحت قهره وقدرته قال مجاهد نزلت فى قريش وقال السدى : ما عظموه حق تعظيمه . وقال محمد بن كعب لو قدروه ما كذبوه وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما (وما قدروا الله حق قدره) هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن أن الله على كل شىء قدير فقد قدر الله حق قدره ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره وقــــد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة والطريق فيها وفى أمثالها مذهب السلف وهو امرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف قال البخارى قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره) حدثنا أبو سفيان عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على أصبع والأرضين على أصبع والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع فيقول أنا الملك فضحك رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ رسول الله ﷺ (وما قدروا الله حق قدره .

والأرض جميعا قبضته يوم القيامة الآية ، ورواه البخاري أيضا في غير هذا الموضع من صحيحه والإمام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي في التفسير من سننيهما كلهم من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود رضى الله عنه بنحوه .

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله رضى الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فقال يا أبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يحمل الخلائق على أصبع والسموات على أصبع والأرضين على أصبع والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع ؟ قال فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه قال وأنزل الله عزوجل (وما قدروا الله حق قدره) إلى آخر الآية وهكذا رواه البخاري ، ومسلم والنسائي من طرق عن الأعمش به وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن حسن الأشقر ثنا أبو كدينه عن عطاء عن أبي الضحى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال (مر يهودى على رسول الله ﷺ وهو جالس فقال كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله سبحانه وتعالى السماء على ذه ـ وأشار بالسبابة والأرض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه وكل ذلك يشير بأصابعه قال فأنزل الله عزوجل (وما قدروا الله حق قدره) الآيه وكذا رواه الترمذي في التفسير عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن محمد بن الصلت عن أبي جعفر عن أبي كدينه يحي بن المهلب عن عطاء السائب عن أبي الضحى مسلم بن صبيح به وقال حسن صحيح غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه ثم قال البخاري حدثنا سعيد بن غفير ثنا عبد الرحمن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول . « يقبض الله تعالى الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول

أنا الملك أين ملوك الأرض ، تفرد به من هذا الوجه ، ورواه مسلم من وجه آخر والبخارى فى موضع آخر : حدثنا مقدم بن محمد حدثنا عمى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الأرضين على أصبع وتكون السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك ، تفرد به أيضا من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه ، وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر أبسط من هذا السابق وأطول فقال : حدثنا عفان حدثنا حماد ابن سلمة حدثنا اسحق ابن عبد الله بن أبى طلحة عن عمرو رضى الله عنهما قال :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآيات ذات يوم على المنبر (وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر يمجد الرب نفسه أنا الجبار المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم فرجف رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا ليحزن به ، وقد رواه مسلم ، والنسائى ، وابن ماجه من حديث عبد العزيز ابن أبى حازم ـ زاد مسلم ويعقوب بن عبد الرحمن كلاهما عن أبى عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضى الله عنهما بهنحوه ، ولفظ مسلم عن عبيد الله بن مقسم فى هذا الحديث أنه أنظر إلى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كيف يحكى النبى صلى الله عليه وسلم قال : يأخذ الله تبارك وتعالى سمواته وأراضيه بيده ويقول أنا الملك ويقبض أصابعه ويبسطها أنا الملك حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شىء منه حتى إنى لأقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وقال البزار حدثنا سليمان بن سيف ثنا أبو على الحنفى ثنا عباد المنقرى حدثنى محمد بن المنكدر قال ثنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هــــذه الآية على المنبر

(وما قدروا الله حق قدره) حتى بلغ (سبحانه وتعالى عما يشركون) فقال المنبر هكذا لجاء وذهب ثلاث مرات والله أعلم ورواه الإمام الحافظ أبو القاسم الطبرانى من حديث عبيد بن عمير عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وقال صحيح وقال الطبرانى فى المعجم الكبير حدثنا عبد الرحمن بن معاوية العتبى ثنا حسان بن نافع بن صخر عن جويرية ثنا سعيد بن سالم القداح عن معمر بن الحسن عن بكير بن جنيس عن أبى شيبة عن عبد الملك بن عمير عن جرير رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفر من أصحابه رضى الله عنهم «إنى قارىء عليكم آيات من آخر سورة الزمر فمن بكى منكم وجبت له الجنة» فقرأها ﷺ من عند (وما قدروا الله حق قدره) إلى آخر السورة فمنا من بكى ومنا من لم يبك فقال الذين لم يبكوا يارسول الله لقد جهدنا أن نبكى فقال ﷺ «إنى سأقرأها عليكم فمن لم يبك فليتباك» هذا حديث غريب جداً وأغرب منه مارواه فى المعجم الكبير أيضاً حدثنا هاشم ابن زيد محمد بن إسماعيل بن عياش حدثنى أبى حدثنى ضمضم بن زرعة عن شريح ابن عبيد عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى يقول ثلاث خلال غيبتهن عن عبادى لو رآهن رجل ماعمل بسوء أبدا لو كشفت غطائى فرآنى حتى استيقن ويعلم كيف أفعل بخلقى إذا أتيتهن وقبضت السموات بيدى ثم قبضت الأرضين ثم قلت أنا الملك من ذا الذى له الملك دونى فأريهم الجنة وما أعددت لهم فيها من كل خير فيستيقنونها وأريهم النار وما أعددت لهم فيها من كل شر فيستيقنوها ولكن عمدا غيبت ذلك عنهم لأعلم كيف يعملون وقد بينته لهم . وهذا إسناد متقارب وهى نسخة تروى بها أحاديث جمة والله أعلم .

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : « جَاءَ حَبْرٌ[1] مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ اللهَ يَجْعَلُ السَّمٰوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى أُصْبُعٍ وَالمَاءَ عَلَى أُصْبُعٍ وَالثَّرَى عَلَى أُصْبُعٍ وَسَائِرِ الخَلْقِ عَلَى أُصْبُعٍ فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقاً لِقَوْلِ الحَبْرِ ، ثُمَّ قَرَأَ : (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) » الآيَة .

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : « وَالجِبَالَ وَالشَّجَرُ عَلَى أُصْبُعٍ ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ أَنَا اللهُ » .

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ : « يَجْعَلُ السَّمٰوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى[2] عَلَى أُصْبُعٍ ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى أُصْبُعٍ » أَخْرَجَاهُ .

وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعاً : « يَطْوِي اللهُ السَّمٰوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

---

(١) أى عالم من علماء اليهود .

(٢) هل المراد التراب والأرض وذهب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن تبعهم بإحسان الإيمان بهذا الحديث ونحوه بلا تحريف ولا إنكار على العليم الحكيم وكذب به الجهمية لحرفوه إلى ما يشتهون .

ثُمَّ يَأْخُذهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ السَّبْعَ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ » .

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : مَا السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمٰنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ .

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنِي يُونُسُ عَنِ ابنِ وَهْبٍ قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ [١] ، قَالَ : قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ « مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ [٢] فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ » .

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُمِائَةِ عَامٍ

---

(١) بضم المثناة صفحة من فولاذ تحمل لاتقاء الضرب بالسيف .

(٢) أي وسط فلاة وهذا يدل على عظم العرش والكرسي والله هو العالم بشكلهما .

وَبيْنَ كُلِّ سماء خمسُمائَةِ عَامٍ وَبيْنَ السَّماءِ السَّابعَةِ وَالكُرْسِيِّ خمْسُمائَةِ عَامٍ وَبيْنَ الكُرْسِيِّ وَالْماءِ خَمْسُمائَةِ عامٍ وَالْعَرْشُ فوْقَ الْماءِ ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ لاَ يَخْفى عَليْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمالِكُمْ . أَخْرَجَهُ ابْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عاصِمٍ عَنْ ذَرٍّ عَنْ عَبْدِ اللهِ .

وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ الْمَسْعُودِيُّ عَنْ عاصِمٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَهُ الْحَافِظ الذَّهَبِيُّ رَحِمهُ اللهُ تَعالى قَالَ وَلَهُ طُرُقٌ (١) .

وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عبْدِ الْمطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « هَلْ أَتَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ ؟ قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلمُ ، قَالَ بيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسُمائَةِ سَنَةٍ ، وَمِنْ كُلِّ سَماءٍ إِلى سَماءٍ مَسِيرَةَ خَمْسُمائَةِ سَنَةٍ وَكَثَفُ كُلِّ سَماءٍ مَسِيرَةَ خَمْسُمائَةِ سَنَةٍ ، وَبيْنَ السَّماءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاَهُ كَمَا بَيْنَ السَّماءِ

---

(١) قال الذهبي : رواه أبو داود باسناد حسن ورواه الترمذى قال حسن غريب اه من الشارح .

وَاللهُ فَوْقَ ذَٰلِكَ ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِى آدَمَ »

أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُه .

فيه مسائل : الأولى تفسير قوله (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) الثانية أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين فى زمنه صلى الله عليه وسلم لم ينكروها ولم يتأولوها ، الثالثة أن الحبر لما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم صدقه ونزل القرآن بتقرير ذلك ، الرابعة وقوع الضحك الكثير من رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما ذكر الحبر هذا العلم العظيم ، الخامسة التصريح بذكر اليدين وأن السموات فى اليد اليمنى والأرضين فى الأخرى . السادسة التصريح بتسميتها الشمال ، السابعة ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك ، الثامنة قوله كخردلة (١) فى كف أحدهم التاسعة عظمة الكرسى (٢) بنسبة إلى السموات العاشرة عظمة العرش بالنسبة إلى الكرسى الحادية عشرة أن العرش غير الكرسى الثانية عشرة كم بين السماء السابعة والكرسى وما بين الكرسى والماء ، الرابعة عشرة كم بين الكرسى والماء ، الخامسة عشرة أن العرش فوق الماء السادسة عشره أن الله فوق العرش السابعة عشرة كم بين السماء والأرض الثامنة عشرة كثف كل سماء خمسمائة سنة التاسعة عشرة أن البحر الذى فوق السموات بين أسفله وأعلاه مسيرة خمسمائة سنة والله أعلم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً :

---

(١) واحدة الخردل وهو حب صغير جداً .

(٢) أى غلظه .

{ تم كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد والحمد لله }

فهرس

كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

(تم الفهرست)

دار الطباعة المحمدية
بالأزهر بالقاهرة

